

الموسوعة الشاملة للتصوف

دراسة في المنهج الصوفي ..مدارسه وأبرز رجاله

عدنان أحمد ياسين الفلاحي الحسني

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى



التصوف .. والشريعة

التصوف والشريعة

((إن علم التصوف، عبارة عن علم انقذح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة فكل من عمل بما انقذح له من ذلك :علوم، وأدب، وأسرار، وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقذح لعلماء الشريعة من الأحكام، حين عملوا بما علموه من أحكامهم.

فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة، إذا خلا عمله من العلل وحفظ النفس، كما أن علم المعاني والبيان زبدة علم النحو، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق .

إن علم التصوف تفرع من عين الشريعة .

ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم، وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات، ومندوبات، وأداباً ومحرمات ومكروهات .

وإيضاح ذلك:

انهم كلهم عدول في الشرع، اختارهم الله عز وجل لدينه، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي أوصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة، ولكن أصل استغراب من ليس له إلمام بأهل الطريق .

إن علم التصوف من عين الشريعة، ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: علمنا هذا مشيد بالكتاب، والسنة رداً على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان، أو غيره، وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل إلا من تبحر في علم الشريعة، وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها.

وتبحّر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعارتها، وغير ذلك فكل صوفي فقيه

ولا عكس .

وبالجلمة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم))^١ .

ويقول ابن خلدون : إن أصل التصوف ((العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامة في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية))^٢

وظاهر من هذا القول ان ابن خلدون قد أرسى التصوف في الاصل على اساسين احدهما روحي يقوم على العبادة والتأمل والزهد ، واخر اجتماعي يقدم حلولاً لمشاكل المجتمع ومشاكل تفشي الامراض الاخلاقية والقلبية فيه ومعالجة لتفشي الاقبال على الدنيا والاعراض عن سيرة الرسول والصحابة والسلف الذي التزم بمنهج الاسلام وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فحينما يكون التصوف كما يراه ابو محمد الجريري^٣ ((الدخول في كل خُلُقٍ سَيِّئٍ ، والخروج من كل خُلُقٍ دَنِيٍّ)) فهو سلوك إلى مراتب القرب والوصول ، من خلال إعادة بناء الإنسان ، وربطه بمولاه في كل خاطرة وخطوة ، في كل قول ، وعمل ، ونية ، وفي كل موقع من مواقع الحياة .

ان اساس هذا التعريف وجوهه ، هو : (التقوى) ... التقوى في أرقى مستوياتها الحسية ، والمعنوية .

^١ الطبقات للشعراني ص ٥ - ٦

^٢ المقدمة ٨٤٢

^٣ ابو محمد الجريري : هو احمد بن محمد بن الحسين ، كان من كبار اصحاب الجنيد كما صحب سهل بن عبد الله التستري ، وهو من كبار مشايخ القوم ، أقعد بعد الجنيد في مجلسه ، لتمام حاله وصحة علمه ، وقد أسند الحديث . توفي سنة احدى عشر وثلاثمائة .

ان التقوى هنا كعقيدة ، وخلق ، تنطوي على التعامل مع الله بحسن العبادة ،
ومعاملة العباد بحسن الخلق ، وهذا جوهر ما نزل به الوحي على كل نبي ، وهذا
هو الاسلام ، حُسْنُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحُسْنُ خُلُقٍ مَعَ خَلْقِهِ .
والشيخ احمد الرفاعي رحمته الله وهو أحد ركائز التصوف وعلمائه ينبّه الى ضرورة
اقتران العمل الصالح بالنية الصالحة .

(اذا انفرد قلبك بحسن نية وطهارة طويته ، وقتلت وزنيت وسرقت وأكلت
الربا وشربت الخمر وكذبت وتكبرت وأغلظت القول ، فما الفائدة من نيتك
وطهارة قلبك ؟

واذا عبدت الله وتعففت ، وصمت وتصدقت وتواضعت ، وأبطن قلبك الرياء
والفساد ، فما الفائدة من عملك ؟)^١

ان هذا التمازج بين النية والعمل هي ما نبّه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه :

(انما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى)^٢

وحينما يفهم أحد شيوخ المتصوفين مثل رُويم بن أحمد^٣ أن ((التصوف استرسال
النفس مع الله تعالى على ما يريد))^٤ ...

وماذا يريد الله تعالى لعباده سوى خير الدنيا والآخرة .. وماذا يريد الله لهم غير

الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٥ ، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٦

^١ البرهان المؤيد ص ٦٨

^٢ صحيح ابن حبان ١١٣/٢ برقم ٣٨٨ وسنن ابن ماجه ٢٦٢/٢ برقم ٤٢٢٧

^٣ رُويم بن احمد بن يزيد البغدادي ، ابو مُجَدِّ المقرئ ولد في بغداد وهو من كبار مشايخها ،

كان فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني ، وكان مقرئاً ، توفي سنة ٣٠٣ هجرية ينظر

طبقات الصوفية ص ١٨٩

^٤ عوارف المعارف ص ٣٩

^٥ سورة ال عمران ١٩

^٦ سورة المائدة ٣

وبهذا الفهم للتصوف فانه يكون شكلاً من اشكال الشريعة الاسلامية بل
وشكلها الأقرب للقلوب والأرواح .

ان الشريعة كغيرها من باقي المصطلحات لها مدلولان ، فهما ومعنيان .
معنى لغوي : (المذهب والملة والطريق الذي يُتوصل منه الى الماء .

اما مجازاً فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين ، وقد شرع لهم يشرع شرعاً أي
سنّ ، والشرائع في الدين المذاهب وشرع : أي نهج وأوضح وبين المسالك)^١
(الشرع في اللغة عبارة عن البيان والاطهار ، يقال شرع الله كذا أي جعله
طريقاً ومذهباً ، والشريعة : سنة وطريقة من شرعه اذا سنه ليسلك ، وفي البحر
: الشريعة في كلام العرب الموضع الذي يرد منه الناس في الأنهار ونحوها ،
فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس منها أمر الله تعالى ورحمته والقرب
منه عز وجل)^٢

فالشريعة ينهل منها طائبا الدين كما ينهل طائبا الماء من المشرعة .
والشرع في اللغة عبارة عن البيان والإظهار يقال شرع الله كذا أي جعله طريقاً
ومذهباً^٣

وفي الاصطلاح فان مفهوم الشريعة الائتثار بالتزام العبودية ، وقيل الشريعة هي
الطريق في الدين^٤

وفي السنة الشريفة وردت الشريعة تحمل اكثر من معنى .

شرع في الأمر بدأ فيه ، لقوله ﷺ (اذا شرع احدكم بالرمح الى الرجل فاذا كان

^١ معجم القرطبي اللغوي ٢ / ٢١٥

^٢ روح المعاني ١٣ / ١٤٧

^٣ التعريفات ص ٥٤

^٤ التعريفات ص ٥٤

سنانه عند ثغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح ^١

وقد يراد بالشرع أيضا حرية الفاعل فيما يخصه ويمتلكة ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رجلا من الأنصار أعطى أمه حديقة من نخل حياتها ، فماتت فجاء إخوته فقالوا : نحن فيه شرع سواء ، فأبى فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقسمها بينهم ميراثا ^٢ .

والشرع نصح الطريق الواضح ، واستعير ذلك للطريقة الإلهية قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ^٣ والمعنى شرع الأصول التي تتساوى فيها جميع الملل وهي أصول التوحيد ، وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ ^٤ يدل على أمرين ^٥ :

أحدهما : ما فطر الله تعالى عليه كل إنسان ، مما قدره الله من وضع يسر له وطريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد وذلك المشار إليه بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ ^٦ .

الثاني : ما فرض الله له من الدين وأمره به ، ليتحراه اختياراً مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ

^١ مجمع الزوائد باب في ما يحرم دم المرء وماله ٢٥/١

^٢ ، أخرجه أحمد في المسند برقم (١٣٧٨٥) وأبو داود في كتاب البيوع ٢٩٥/٣ برقم

(٣٥٥٧)

^٣ الشورى/١٣

^٤ المائدة/٤٨

^٥ لسان العرب ١٧٥/٨

^٦ الزخرف/٣٢

فَاتَّبِعَهَا^١

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الشرعة ما وَرَدَ به القرآن والمنهاج ما ورد به السنّة^٢
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : مَنْ سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً ،
فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبئكم صلى
الله عليه وسلم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في
بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة
نبيكم لضللتم^٣

وعموماً فالشريعة كل ما سنَّه الله لعباده وأوجب عليهم العمل به ليرضى عنهم
مما جاء في كتاب الله تعالى وسنَّه رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتحديد العمل وفق ما
حلَّ الله تعالى العمل به من الحلال ، واجتناب كل ما حرَّمه الله تعالى ، والقيام
بما أمر الله به تعالى من واجبات وما حضَّ عليه من مندوبات، والالتزام بصالح
الأخلاق .

وحينما يقول شيخ الطائفة الجنيد رحمه الله تعالى :

(التصوفُ بيتٌ والشريعةُ بابه)^٤

فأنه بذلك إنما يؤكد العلاقة الوثيقة والمترابطة بين الشريعة والتصوف بل التمازج
بينهما فالباب جزء من البيت .

ويؤكد رحمه الله تعالى ذات الموقف عندما يشير ان التصوف أكمل الطرق الى
الله سبحانه وتعالى وأنه ذات الشريعة التي ارتضاها سبحانه لعباده وجوهرها
حين يقول: (لو علمتُ ان علماً تحت أديم السماء أشرف من علمنا هذا ،

^١ الجاثية/١٨

^٢ أخرجه البخارى في الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس ٦٠/١

^٣ مسلم في كتاب المساجد برقم (٦٥٤)

^٤ الرسالة القشيرية ص ١٣٩

لسعيت اليه والى أهله ، حتى أسمع منهم ذلك) ^١
ان هذه العلاقة المتماسكة والمتداخلة بين التصوف والشريعة من المسلمات ومن
بديهيات المعرفة ، حتى ان الذي يشك بتلك العلاقة والتماسك فهو أقرب
للكفر لأنه أضاع طريقه الى الله .

يقول حجة الإسلام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى (من قال ان الحقيقة
تخالف الشريعة والباطن يخالف الظاهر ، فهو الى الكفر لأقرب) ^٢
وربما تتوضح العلاقة بين الشريعة والتصوف وبشكل أكثر وضوحاً وقوة في قول
الامام الفقيه مالك بن انس ^٣ :

(من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ^٤ ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ^٥ ومن
جمع بينهما فقد تحقق ^٦) ^٧

وهنا يبدو التصوف هو ذات الشريعة وروحها وتبدو الشريعة كاطار التصوف .
بل صار واجباً على المتصوف ان يكون عالماً بالشريعة عارفاً بكل تفاصيلها

^١ تاج العارفين الجنيدي ١٧٣

^٢ احياء علوم الدين ٢ / ٢٥٠

^٣ مالك بن أنس ، ابو عبد الله الحميري ثم الأصبحي ، المدني ، شيخ الاسلام ومفتي دار
الهجرة ، ولد عام ٩٣ هجرية وهو عام وفاة انس بن مالك خدام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، طلب العلم وهو حدث فأخذ عن نافع وسعيد المقبري والزهري وغيرهم ، كان عالم
الحجاز وهو عالم زمانه ، ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالك في العلم والفقه
والحفظ والجلالة . توفي سنة ١٩٧ هجرية ودفن بالبقيع .

^٤ زنديق : صار زنديقاً والزنديق هو الذي يخفي الكفر ويدعي الاسلام

^٥ تفسق : اصبح فاسقاً ، من خرج عن طريق الحق وخرج عن طاعة ربه إلى معصيته وكفر
به قال تعالى (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يونس ٣٣

^٦ أي تمسك بالحق

^٧ قواعد التصوف ص ١٥

متبحراً بعلومها وأصبح العلم بكل ذلك فرض عين عليه .
ان ضرورة التفقه بالكتاب والسنة والإمام بتفاصيلهما ضرورة يؤكدها شيوخ
التصوف ويضعوها شرطاً لمن سلك طريقهم الى الله واتبع منهجهم .
يقول الجنيد رحمه الله تعالى : مذهبنا هذا - يعني التصوف - مقيد بالأصول
بالكتاب والسنة ، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه فلا يُقتدى
به .

لقد كان جميع أئمة التصوف فقهاء في الدين صرفوا جزءاً كبيراً من حياتهم في
تحصيل العلوم الشرعية ومعرفة علومها واستنباط احكامها .
فقد كان الجنيد فقيهاً على مذهب سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، وابو بكر
الشبلي كان فقيهاً عارفاً بمذهب الامام مالك وكتب الحديث ، والجريري كان
فقيهاً بالمذهب الحنفي ، والمحاسبي من علماء المذهب الشافعي والشيخ عبد
القادر الجيلاني كان فقيهاً على المذهب الشافعي والحنبلي ... وغيرهم .
فكان سير كبار شيوخ التصوف سير العارفين الذين تنورت عقولهم بأصول
العلوم الشرعية واحكامها وتنورت قلوبهم بمعارف التصوف وعلومه .
وهذا المحاسبي رحمه الله تعالى يشير بذات الرأي الذي قال به الجنيد من قبله
فمنهج القوم واحد وثابت في تأكيد العلاقة الوثقى بين الشريعة والتصوف حين
يقول :

(وكل أمر لاح لك ضوؤه بمنهاج الحق فاعرضه على الكتاب والسنة والآداب
الصالحة ، فان خفي عليك أمره فخذ فيه رأي من ترضى دينه و عقله)^١
ويظل الكتاب والسنة هو المرجع والمقياس والأصل لتحديد الطريق عند أهل
التصوف .

ان نوعية العلاقة بين التصوف والفقهاء تتجلى فيما روي عن علاقة كبار رجال

^١ علم التصوف وأثره في العبادات ص ٤٨

الفقه بشيوخ التصوف ، وكما يرويها الامام الشعراي :

((وقال القشيري لم يكن عصر في مدة الإسلام، وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا له، وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس انتهى .

قلت: ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام الشافعي رحمه الله، لشيبان الراعي حين طلب الإمام أحمد بن حنبل أن يسأله عن نسي صلاة لا يدري أي صلاة هي، وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك حين قال شيبان: هذا رجل غفل عن الله عز وجل فجزاؤه أن يؤدب.

وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لأبي حمزة البغدادي الصوفي رحمه الله، واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول: ما تقول في هذا يا صوفي فشيء يقف في فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم ، كذلك يكفينا إذعان أبي العباس بن سريج للجنيد حين حضره وقال: لا أدري ما يقول ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل ، وكذلك إذعان الإمام أبي عمران للشبلي حين امتحنه في مسائل من الحيض، وأفاده بسبع مقالات لم تكن عند أبي عمران.

وحكى الشيخ قطيب الدين بن أيمن رحمه الله أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يحثُّ ولده على الاجتماع بصوفية زمانه، ويقول: إنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم تبلغه .

وكان شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول: اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلّوا، وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلّوا، وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر:

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾^١ الكهف: ٦٦

، وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة، كما يجب طلب علم الشريعة وكل عن مقامه يتكلم))^٢ .

يقول السراج الطوسي عن مذهب الصوفية بأنه (المنوط بمتابعة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ والتخلق بأخلاق الصحابة والتابعين ، والتأدب بآداب عباد الله الصالحين)^٣

فالتصوف يغادر كونه عبادة فقط فيصير تخلُّقُ بأخلاق الصالحين في التعامل مع الله سبحانه ومع خلقه .

انه علم القلوب ، التصوف علم مراقبة القلوب ومداواة امراضها وجعلها تسبح في ملكوت الله في عالم من السكينة والرضا ، والزهد في كل ما سوى الله تعالى . وهذا أساس الفهم الصوفي للمنهج ، العلاقة مع الله ومع خلقه ، وفق ما يرضاه الله لأحبابه ويقبل .

يقول ابو الحسن البوسنجي^٤ رحمه الله تعالى :

((التصوف عندي فقر القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالأشكال ، أما فقر القلب ففي قول الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾^٥ ، وخلو اليد لقول الله تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ

^١ سورة الكهف ٦٦

^٢ الطبقات للشعراني ص ٧

^٣ الدلالة في لغة الصوفية ص ٥٧ عن اللمع ص ١١

^٤ البوسنجي : هو ابو الحسن بن احمد بن الحسين البوسنجي احد فتيان خراسان ، سكن نيسابور ولقي الجريري والدمشقي ، من مؤلفاته (البيان الشافي في المعارف والتوحيد)

و(الفتوة والتجريد) توفي سنة ٣٤٨ هجرية .. حلية الأولياء ١٠ / ٣٧٩

^٥ سورة الحشر ٨

وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴿١﴾ ، وقلة المبالاة في قوله عز وجل ﴿وَلَا يَخَافُونَ يَوْمًا
لَا تُمْرُّ﴾^٢

يقول السراج الطوسي : (أنكرت طائفة من أهل الظاهر ، وقالوا لا نعرف إلا علم الشريعة الظاهرة التي جاء بها الكتاب والسنة وقالوا : لا معنى لقولكم علم الباطن وعلم التصوف فنقول وبالله التوفيق : إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين ، الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن يجرد القول في العلم أنه ظاهر أو باطن ، لأن العلم متى ما كان في القلب ، فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر على اللسان فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر)^٣ ، ثم انتهى إلى أن الحقيقة في علم التصوف وهو العلم والفقهاء المستنبط من جميع أعمال الظاهر والباطن ويدل على صحة كل عمل منها ، أي ما يستنبط من علوم الشريعة^٤ وقريب من ذلك قول القشيري: (الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبدته والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر)^٥ ان هذا الحرص على اقتران السلوك بكتاب الله والاحتكام والرجوع اليه لتحديد

^١ سورة البقرة ٢٧٤

^٢ سورة المائدة ٥٤

^٣ علم التصوف وأثره في العبادات ص ٢٠ عن كتاب الزهد الكبير

^٤ اللمع ص ٤٣

^٥ اللمع ص ٤٤

^٦ الرسالة القشيرية ٢٦١/٢

المسار واعتباره الميزان الأدق في الحياة اليومية هو الذي يؤشر الترابط الوثيق بين الفكر الصوفي وارتباطه بالشرعية السمحاء .

فالتصوف بكل مفرداته يدور حول وجوب العمل بجميع الأوامر الالهية الظاهرة من الصلاة والحج والصوم ، والباطنة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واخلاص النية والخشوع والصدق والتوكل والتقوى ، والحذر من امراض القلوب كالحسد والرياء والغيبة وامثالها مما يقع فيه الكثير ، اضافة للحذر من الغفلة والانشغال عن الله سبحانه والزهد بما سوى الله تعالى ، والعمل الدؤوب على تزكية النفس وترقيتها لتبلغ أعلى مراحل الايمان .

فيكون التصوف هو الفقه بمعناه الصحيح .

يقول ابن جزري رحمه الله تعالى (وينخرط التصوف في سلك الفقه ، لأنه في الحقيقة فقه الباطن كما ان الفقه أحكام الظاهر)^١

ان حرص شيوخ التصوف على تنقية القلوب وترقيتها ، له صلة وثيقة بقول رسول الله ﷺ (الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)^٢

وعندما توجب الشريعة على الانسان ان يطبق تعاليم الاسلام في الصلاة والحج والزكاة وسائر التكاليف وفق الحدود المبينة في كتب الفقه ، فإن التصوف يهيئ النفس الانسانية لسلوك طريق الطاعات والفرائض بلذة روحية بعيداً عن إغفال ذكر الله تعالى ، بل ان التصوف أخص من الشرع ، فالشرع لا يعاقب الشخص على نية القيام بالإثم ما لم يرتكبه فعلاً ، اما التصوف فانه يعمل على ترويض

^١ علم التصوف وأثره ص ٤٦

^٢ مسند الامام احمد ٤ / ٢٧٠ برقم ١٨٣٩٨ وصحيح ابن حبان ١ / ٥٣٢ برقم

النفس لتتجنب التفكير في الإثم^١

فالتصوف يجعل الانشغال عن ذكر الله غفلة يستعيد المتصوفون بالله منها ،
فالتصوف لا يكفي بطرد الخواطر السيئة بل يتجاوزها للانشغال الكامل بالله
وعدم الانقطاع عنه .

ان هذا الانشغال الكامل بالله سبحانه هو ما يريده الله لعباده وهو لب العلاقة
التي يريدها عز وجل لأهل خاصته .

فمن حديث رسول الله الذي رواه بسر رضي الله عنه ان اعرابياً قال لرسول الله ﷺ ان
شرائع الاسلام قد كثرت علينا فَبَابٌ نتمسكُ به جامع . قال ﷺ : (لا يزال
لسانك رطباً بذكر الله عز وجل)^٢

يقول الله عز وجل في الحديث على لسان موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة
والسلام ذاكراً عن حاله وحال أخيه هارون عليه وعليهم السلام ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾^٣

وهو ذات ما يراه المتصوفون ويسعون اليه من الانشغال بالله فكراً وتأملاً
وتسبيحاً لحد الفناء فيصبرون محض ارواح تسبح في عوالم الصفاء والسكينة
والرضا بما سيأتي به الغد ... تسليم واستسلام ، انه الرضا بأجمل اشكاله ، فقد
سَلَّمُوا انْفُسَهُمْ بِيَدِ الْحَبِيبِ وَقُلُوبَهُمْ ، يفعل فيها ما يريد ، فكل ما يأتي من
الحبيبِ حبيب .

انه القرب من الله سبحانه وتعالى والشعور الدائم بأن الله مُطَّلِعٌ على خفايا
القلوب وخواطرها .

^١ علم التصوف وأثره في العبادات ص ٤٥

^٢ مسند الامام احمد ٤ / ١٨٨ برقم ١٧٧١٦ وصحيح ابن حبان ٣ / ٩٦ برقم ٨١٤

وسنن ابن ماجة ٢ / ١٢٤٦ برقم ٣٧٩٣

^٣ سورة طه ٣٣

فيكون الالتزام بالشريعة محكوم بعلاقتهم مع الله ، خوفٌ يملأه رجاء ، وحبٌ يملأه الأدب .

ان الكثرة من علماء التصوف يرون في حديث رسول الله ﷺ عن الإحسان أساساً يشير الى مقام من مقامات التصوف .

فمن حديث عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا مُحَمَّد اخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : ((الإسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان مُحمداً رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً)) قال : صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال فأخبرني عن الإيمان . قال : ((ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدرِ خيره وشره)) قال صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان . قال ((ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قال فأخبرني عن الساعة . قال ((ما المسئولُ عنها بأعلم من السائل)) قال فأخبرني عن اماراتها قال ((ان تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)) قال ثم انطلق فلبثت ملياً .

ثم قال لي ((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت الله ورسوله أعلم .

قال ((فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُمْ دينكم))^١

وفي هذا الحديث الشريف يتحدث رسول الله ﷺ عن الاسلام والايمان والاحسان .

فحين يكون الاسلام هو الطاعة والعبادة من صوم وصلاة وحج....وباقى

^١ مسلم كتاب الإيمان ١ / ١٥٠ برقم ١

العبادات ، والايمان عقيدة ونور ، والاحسان مقام مراقبة وشهود : ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهذا أعلى ما يدعوا اليه أهل التصوف انه الانشغال بالله عن سواه ، انه الشعور بأن الله سبحانه معك في كل احوالك مطَّع على افكارك ، على ما يجول بقلبك ثم على افعالك ، الشعور بأن الله معهم الله شاهد عليهم الله ناظر اليهم .

فصار العفو عندهم يسبق القصاص ، والتسامح بديلاً عن البحث عن حقي او حقوق .

انهم الساعون الى الله الراغبون برضاه ، فكل ما سوى الله غير موجود وكل افعال الخلق تصرفات يرون فيها يد القدرة الفاعلة ، فما شاء الله كان وما لم يشاء لا يكون ... فكان التسامح والتسامي والعفو .

(ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً ، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلاً ، وبعد هذا فلا عجب في ان يقال ان رسول الله ﷺ هو اول صوفي في الاسلام وحسبنا في ذلك حياته التعبدية الزهدية وتبتله واختلاؤه)^١

ان هذا القرب بين المتصوف وبين الله سبحانه وتعالى وهذه المعية الدائمة والحضور الدائم وهذا الحب هو الاحسان .

في مقام اهل الاحسان تكون كل الأشياء دالة على الله ومؤشرة لوجوده .

العبادات أفعال تقود الى الله ، فالصلاة حركات جوهرها الخشوع ، حي على الصلاة حي على الفلاح تفتح باباً للدخول الى الحضرة الربانية ، ودخولها يستلزم حال من الطهارة يليق باللقاء فتتطهر القلوب من أثقال الحياة وهمومها كما تتطهر الأجساد بماء الوضوء ، وفي المحراب تكون الصلاة لحظة وقوف بين يدي الله ، فلا همّ يَظَلُّ ولا خواطر تقترب ، انما لحظة الدخول على الملك ، بل

^١ علم التصوف وأثره ص ٧٣

ملك الملوك ، فيتناوب على القلب رهبة اللقاء وفرح القرب ، فيكون خوف في رجاء وحب بأدب ، انما انوار الجلال وانوار الجمال ، فيعيشون لذة اللقاء وجمال المناجاة (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرنا من الدعاء)^١ ... يقولون ان حركات الصلاة الثلاث ، قيام وركوع وسجود هي دلالة على مستويات الشريعة الثلاث اسلام وايمان واحسان ، وعند الجلوس للتحيات تكون لحظة المكافأة ، أليس الأجير يستلم أجره نهاية العمل ؟ فيقدم المصلي تحياته لله ثم يسلم على حضرة النبي ﷺ القريب من القلوب الحاضر في كل المقامات وفي تلك الحضرة ، ثم يسلم على نفسه ضمن السلام على عباد الله الصالحين (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) .

والصوم امسك عن الطعام ما بين الفجر والمغرب ، تلك عبادة ، وعند اهل الاحسان يكون الصوم امسك للجوارح عن كل مخالفة ، فقد يُبطلُ النظر الصيام ، وقد يُبطله السماع او حركة اليد او القدم فيما لا يرضي الله ، كُلُّ ما فيك يمكن ان يكسر صومك او يجرحك ، فالأمر يستدعي مراقبة شديدة لكل الجوارح وكل الاعضاء ، فكل ما فيك يجب ان يصوم حتى تكون صائما . وكل العبادات ، شرط قبولها حضور القلب والبحث عن روح العبادة ، وجعلها موصلة لله تعالى والى رضاه .

وكذلك الحج انه طواف القلوب حول عرش الحبيب ، وتعظيم للحرمات ، (الا وان لكل ملك حمى وحمى الله في أرضه محارمه)^٢ فتعظم في أعينهم حرمت الله ويعظم إتيان المحرم وذلك روح الحج وجوهه . ان للقلوب عندهم حظ في لكل عبادة ، فلا عبادة الا بقلب مُقبِلٌ على الله .

^١ مسند الامام احمد ٢ / ٤٢١ برقم ٩٤٤٢ وصحيح ابن حبان ٥ / ٢٥٤ برقم ١٩٢٨

وسنن النسائي ٢ / ٢٢٦ برقم ١١٣٧

^٢ صحيح البخاري ١ / ٢٨ برقم ٥٢ وصحيح ابن حبان ١٢ / ٢٨٠ برقم ٥٥٦٩

من كل ما تقدم يتبين ان الصوفية ليست طائفة او فرقة لها طريق خاص او معتقدات خاصة في الاسلام ، انما هم قوم أقاموا الشريعة السمحاء واعتبروا العمل بها ينطلق من القلب فأصلحوا باطنهم وانشغلوا بمراقبة أنفسهم في تطبيقهم للشريعة .

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text.

الزهد

في فكر وسلوك رجال التصوف

﴿ الزهد في فكر وسلوك رجال التصوف : ﴾

الزهد : الزهيد الشيء القليل ، والزهاد في الشيء الراغب عنه ، والراضى منه بالزهيد أى القليل ، وقد ورد الزهد في قوله تعالى عن يوسف : ﴿ وَشَرُّهُ بِبَيْنٍ يَبْمَنٍ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾^١ أى ارتضوا في بيعه بالقليل^٢ .

وورد الزهد أيضا في السنة في عدة روايات ، منها ما روى عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك ، أوثق مما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ، أرغب فيها لو أنها أبقيت لك^٣ ان التصوف كعقيدة ومنهج ينعكس على كل سلوك المتصوف وعلى كل جزئية من حياته بل حتى في نومه ، فهو ينام على الذكر ويستيقظ عليه بحثاً عن اليقين الصادق .

فحب الصوفي وشوقه الدائم لمولاه جعله لا يجد نفسه الا حين يكون مع الله تعالى ، فالأنس به والانشغال به .

لا ينشغلون عنه سبحانه طرفة عين ، ولا يفترون عن الذكر ، ليس عن قصد بل انعكاساً لحبهم له ، فهم لا يملّوا حبه ولا يكتفون بأي قدر من هذا الحب، انه الشوق ، الشوق الذي جعل جنوهم تتجافى عن المضاجع . زهدوا فيما سوى الله لأنهم لم يروا ما سواه ، فلا موجود على الحقيقة الا هو . يقول سمنون رحمه الله تعالى :

^١ سورة يوسف ٢٠

^٢ المفردات ص ٢١٥ ، ولسان العرب ١٩٦/٣

^٣ أخرجه الترمذى في كتاب الزهد برقم (٢٣٤٠) ٥٧١/٤ وابن ماجه في كتاب الزهد برقم (٤١٠٠) ١٣٧٣/٢ .

يا مُعطشي بوصولِ انت واهبُهُ هل فيك راحةٌ ان صحتُ واعطشي

فهل يمكن ان يروي العطاش سوى الماء ؟

ويقول الجنيد رحمه الله تعالى :

يا موقد النار في قلبي بقدرته لو شئتَ أطفأتَ عن قلبي بك النار

فمن كانت النار بقلبه أتراه يلتفت الى شيء ؟ ام هل تراه يرغب في شيء ؟

انهم يزهدون بأشياء لم يروها ، وربما لم يعرفوا انها موجودة ، وان عرفوا بوجودها

فإنها لم تقع في قلوبهم ، فقلوبهم مملوءة بحب الله تعالى .

لهذا كان الزهد يأخذ حيزاً كبيراً في فكرهم وفي حياتهم وأسلوب معيشتهم .

❁ الزهد .. في القرآن الكريم :

يجتل الزهد في الدنيا وزينتها مكانة كبيرة في الفكر الاسلامي ، فكلما تحدّثت

الآيات الكريمة في القرآن عن متاع الدنيا وزينتها وزخرفها يجيء مرادفاً معها ذكر

الموت او الآخرة .

وذلك منهج قرآني في التربية فقد خلق الله الانسان لعبادته وكل ما في الأرض

مخلوق لتيسير العبادة وتمكين العابد من الوصول الى الله ❁ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ

الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ((^١

القلب لله ، ذلك هو الأساس والجوهر ، وأن لا يشغل شيء من ذلك الزخرف

مكاناً في القلب ، ولا يتعلق به ❁ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ

إِيَّاهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ((^٢

انه امتحان واختبار وفتنة ، وطريق النجاة هو الزهد في ذلك المتاع فهو زائل

للمحالة .

^١ سورة الاعراف ٣٢

^٢ سورة هود ١٤ و ١٥

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾^١

مُتَعَةٌ زَائِلَةٌ وَبَاطِلَةٌ يُتَمَتَّعُ بِهَا قَلِيلًا ثُمَّ يَفْنَى .

انه تحذير ... وتبيان

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا ﴾^٢

ويعمضي القران وتتسلسل آيات التحذير من زخرف الدنيا والتعلق بها .

﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^٣

ويقول تبارك وتعالى محذراً عباده

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْئَلًا

تَعْقِلُونَ ﴾^٤

قد يكون الزخرف جميل ، لكن ، ما عند الله أجمل ، وأبقى

﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^٥

الآخرة عند ربك لمن أعرض عن هذا الزخرف الزائل ، لكن ذلك لا يصل اليه

الا من أفرغ قلبه لله وزهد فيما سواه .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾^٦

وتتابع الآيات وتستمر وهي كثيرة ، كلها يمتدح الزهد ويبين فضله واهميته وانه

الطريق الى رضا الله سبحانه وتعالى والقرب منه .

^١ سورة آل عمران ١٨٥

^٢ سورة النساء ٧٧

^٣ سورة التوبة ٣٨

^٤ سورة القصص ٦٠

^٥ سورة الزخرف ٣٥

^٦ سورة الحديد ٢٠

❁ الزهد .. في السُّنة النبوية :

السُّنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، يتوافق فيها الحديث النبوي الشريف وآيات القرآن الكريم ليرسما نفس الصورة فيما يرضاه الله لعباده ويأمرهم به ، وما ينهاهم عنه سبحانه وتعالى .

وبنفس النسق يأتي حديث رسول الله ﷺ ليمتدح الزهد في متاع الدنيا الزائل وان يكون القلب لله ومع الله سبحانه وتعالى .

((تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطينة وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان مُنِعَ سخط))^١

فالرضا والسخط ينبغي ان يكونا فيما يرضي الله والزهد بالدينار والدرهم وما سواهما من المتاع الزائل .

ويقول ﷺ : ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))^٢ ويرسم لنا ﷺ الطريق الأجل من خلال سلوكه الأشرف والأعظم في التعامل مع الدنيا .

((لو كان عندي مثل أحد ذهباً لسرني ان لا تمر عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء الا شيئاً أرصده لدين))^٣

ويستمر ﷺ بذات المنهج حين يصف علاقته بالدنيا ويصف نفسه ﷺ بالمسافر المستظل بظل شجرة ، وانه سيتركها لأنه مسافر ، وان لم يتركها فالظل سيتحرك ويتركه فالظل ليس بثابت فالدنيا غير باقية وكل ما فيها زائل .

((ما انا والدنيا انما انا والدنيا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها))^٤

^١ صحيح ابن حبان ٨ / ١٢ برقم ٣٢١٨ و سنن البيهقي ٩ / ١٥٩ برقم ١٨٢٧٩

^٢ البخاري ٥ / ٢٣٦٨ برقم ٦٠٨١ و مسند احمد ٢ / ٢٦١ برقم ٧٥٤٦

^٣ البخاري ٥ / ٢٣٦٨ برقم ٦٠٨٠

^٤ سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٧٦ برقم ٤١٠٩

وقد سرى ذلك الخلقُ الزاهد للنبي ﷺ فيمن حوله حتى صار صفة له ﷺ تُنقلُ عنه .

((عن موسى يقول سمعت ابي يقول سمعت عمرو بن العاص يخطب الناس بمصر يقول ما أبعد هديكم من هدي رسول الله ﷺ ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا واما أنتم فأرغب الناس فيها))^١
كان سلوك رسول الله ﷺ هو الشكل الأوضح للزهد وبأروع صورته وبأجمل اشكاله .

((عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : رأيت رسول الله ﷺ يلتوي ما يجد ما يملأ به بطنه من الدقل))^٢

رسول الله ﷺ سيد الخلائق وحبیب الله ومصطفاه من خلقه ومن أُعطي الشفاعة العظمى يتلوى جوعاً ولا يجد أقل أنواع التمر جودة ليملاً بطنه الشريفة منه .

أي زهد هذا في الدنيا ، فحتى نعرف عظيم زهد النبي يجب ان نعرف عظمة الزاهد ﷺ ، ونعرف بساطة المفقود فرغم كثرة العوائد والفيء وما كان يثول اليه فلم يُبق لنفسه حتى التمر البسيط .

اختار ﷺ الجوع راغباً فيه وراغباً عن الدنيا وما فيها .

كان ﷺ يربي صحابته على الزهد ويحصنهم من محبة الدنيا والسعي اليها .

((عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى))^٣

^١ مسند احمد ٤ / ١٩٨ برقم ١٧٨٠٨

^٢ مسند احمد ١ / ٢٤ برقم ١٥٩ و صحيح ابن حبان ١٤ / ٢٥٣ برقم ١٣٤٢

^٣ صحيح ابن حبان ٢ / ٤٧١ برقم ٦٩٨ و سنن البيهقي ٣ / ٣٦٩ برقم ٦٣٠٤

وبذات الروحية والفهم وبذات النهج يمضي عليه الصلاة والسلام في تربية الصحابة .

((عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته فمرّ بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بإذنه ثم قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم فقالوا ما نحب انه لنا بشيء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون انه لكم ؟ قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت .

فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم))^١

يضع ﷺ الشرط لمحبة الله ، والكل يسعى لها ، ومحبة الناس ، والكثيرون يسعون لها فيقول :

((عن سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ما في ايدي الناس يحبوك))^٢

وهذا بعض حديث رسول الله في الزهد وأهميته .

كان منهجه ﷺ هو الزهد في الدنيا والزهد في زخرفها .

كانت حياته ﷺ زهداً مستمراً وجوع مستمر .

(يقول أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر

فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين))^٣

❖ الزهد .. والتصوف :

ليس سهلاً الكتابة عن الزهد كسلوك منفصل عن باقي القيم والمفاهيم الصوفية.

فالتصوف كعقيدة ووحدة فكر تُنتج سلوكاً كاملاً والزهد احدى جزئياته .

فكيف نفهم ترك ملاذ الحياة وكبح الشهوات وترك المال وإيثار الغير بشك

^١ صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٢ برقم ٢٩٥٧

^٢ سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٧٣ برقم ٤١٠٢ والترغيب والترهيب ٤ / ٧٤ برقم ٤٨٥٥

^٣ ضوع الطيب ص ٢٤٩

منفصل عن حب الله ، انه ذات الدافع الذي يجعل الرجل يترك فراشه منتصف الليل في الليلة الباردة ويقوم ليصلي او يناجي ربه .
انه حُبُّ ينتج عنه ذوقٌ خاص فيصبح لكل الأشياءِ طعمٌ جديد ، او وَقَعٌ جديدٌ في القلب .

وكما ان الحب حالة يصعب وصفها بالكلمات ويصعب مناقشتها بالعقل صار الزهد حالة يستعصي شرحها بالكتابة او تعليلها بالكلمات ، اضافة لكون التعبير عن تجربة خاصة ذات طبيعة فردية بلُغَةً عامة لأناس لم تخضعها تجربتهم ولم يعهدوها او يستندوقوها يشكل صعوبة مضافة .

ولأن اصحاب التوجه الزاهد للحياة قِلَّةٌ في مجتمع يلهث أغلبه خلف المال ولا يبالي أمرٌ حلال حصَّله ام من حرام ، صار الزهد غريباً وشرحه صعب ، انه سلوك الخاصة من اهل الذوق الخاص .

ويكفي الزهد شرفاً انه طريق آثره رسول الله ﷺ في حياته ، وأوصى به صحابته رضي الله عنهم ، وارتضاه لأمته كما جاء في الأحاديث التي حذر عليه السلام من الركون الى الدنيا والسعي الى زخرفها وأن السلامة ترك ما فيها .
وكان ذلك مسلك اهل التصوف وطريقهم .

يقول حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى :

(وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يُتَوَصَّلَ بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتخليته بذكر الله .

فظهر لي أن أخصَّ خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وكم من الفرق أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعاناً؟ وبين أن تعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على

معادن الفكر، وبين أن تكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر، وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء. الطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة. فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا .

فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال)^١

لكننا يمكن ان نقترّب من فهم الزهد من خلال تتبّع بعض اقوال أهله .

يقول القشيري رحمه الله تعالى في حديثه عن الزهد :

الزهد مقام شريف وهو أساس الأحوال الرضيّة والمراتب السنيّة ، وهو أول قدم القاصدين الى الله عز وجل ، والمنقطعين الى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يُحْكِم أساسه في الزهد لم يَصِحَّ له شيء مما بعده ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة^٢

وقال رحمه الله تعالى :

الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك .. فيسهل عليك الإعراض عنها^٣

والزهد عند أهل التصوف في الحلال الموجود ، أما الحرام والذي به شبهة فتركه واجب .

وحين تكون الدنيا جميعها زائلة والانسان نفسه زائل عنها ، فما التمسك ببعضها ؟

روى عن الفضيل بن عياض: (كان يقال : جُعِلَ الشر كله في بيت ، وجعل

^١ المنقذ من الضلال ١ / ١٢

^٢ اللمع ص ٧٢

^٣ الرسالة القشيرية ص ٢١٥

مفتاحه الرغبة في الدنيا ، وجُعِلَ الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا)^١ .

ونقل عن أحمد بن أبي الخوارى أنه قال : (من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، فمن عرف الدنيا ، زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله أثر رضاه ، و إذا رأيت من قلبك قسوة ، فجالس الذاكرين واصحب الزاهدين ، وأقلل مطعمك ، واجتنب مرادك ، وروض نفسك عن المكاره)^٢

يقول ابو سلمان الدارني (الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي للزاهد ان يلبس صوفاً بثلاثة دراهم ، وفي نفسه رغبة خمسة دراهم)^٣ وينسب لعبد الله بن خفيف (ت: ٣٧١هـ) أنه قال : (علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك ، والزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك)^٤

وروى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : (الدنيا كالعروس ، ومن يطلبها ماشطها ، والزاهد فيها يسخم وجهها ويتنف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها)^٥ .

ويذكر للجنيد بن محمد أنه سئل عن الزهد ؟ فقال : (تخلى الأيدي من الأملاك ، وتخلى القلوب من الطمع)^٦

^١ طبقات الصوفية ص ١٣

^٢ طبقات الصوفية ص ١٠٢

^٣ الرسالة القشيرية ص ٢٢٠

^٤ الرسالة القشيرية ص ٢٢٠

^٥ اللمع ص ٧٢

^٦ الرسالة القشيرية ص ٢٢١

وينسب محمد بن الفضل البلخي أنه قال : (الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا)^١ ،

وروى عن جعفر بن مُحَمَّد الخلدي قوله : (من أراد أن يزهد ، فليزهد أولاً في الرياسة ، ثم ليزهد في قدر نصيب نفسه ومراداتها)^٢ .

يقول الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى سمعت السري السقطي يقول : ان الله سبحانه وتعالى سلب الدنيا عن اوليائه وحماها^٣ عن اصفيائه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ، لأنه لم يرضها لهم^٤

ويقول ايضاً : الزاهد لا يفرح بوجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود^٥ وحين سئل الشبلي رحمه الله تعالى عن الزهد في الدنيا قال : ويلكم أي مقدار لأقل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها^٦

ويقول السري رحمه الله تعالى : لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه^٧ ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه^٨ (يعني عن مولاه) اما يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى فيقول : الزهد يورث السخاء بالملك ، والحب يورث السخاء بالروح^٩

^١ طبقات الصوفية ٢١٤

^٢ طبقات الصوفية ص ٤٣٨

^٣ حماها بمعنى أمسكها

^٤ الرسالة القشيرية ص ٢١٩

^٥ الرسالة القشيرية ص ٢١٩

^٦ التعرف ص ٢١٢

^٧ أي بغيرها عن شهواتها

^٨ اللمع ص ٤٧

^٩ الرسالة القشيرية ص ٢١٩

ويقسم الكاشاني الزهد عند الصوفية إلى أنواع^١ :

(١- زهد العامة : التنزه عن الشبهات بعد ترك الحرام ، حذرا عن المعتبة وأنفة عن الغصة كراهة مساواة الفساق .

(٢- زهد أهل الإرادة : النزاهة عن الفضول ، بترك ما زاد عما يحصل به المسكنة ، وبقاء الرمق بقدر البلاغ من القوت اغتناما للفراغ ، إلى عمارة الوقت والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين .

(٣- زهد خاصة الخاصة : هو إعراضهم عن كل ما سوى الله تعالى ، من الأغراض والأعراض الظاهرة أولا ، والباطنة ثانيا ، وعن كل ما هو غير ثالثا .

(٤- الزهد في الزهد : معناه استحقاقك لما زهدت فيه ، ولهذا كان الزهد في الدنيا سيئة في نظر الخواص ، فإن ما سوى الحق تعالى ، أى شئ هو حتى يرغب فيه أو عنه ، ومن تحقق بهذا النظر ، استوت عنده الحادثات لتحققه شمول إرادة الحق لجميع المرادات

ان الذي اجمع عليه قدماء العارفين من اهل العلم كسفيان الثوري واحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيره ان الزهد : اما هو قصر الأمل وهذا الذي قالوه يحمل على انه من امارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له^٢ ويظل الأقرب لمفهوم الزهد أعلام الزاهدين وشيوخ التصوف هو ان الزهد الوارد في القرآن والسنة ، زهد القلب في الدنيا واعتبارها وسيلة إلى الآخرة ، وهذه الحقيقة يعبر عنها أبو سعيد الخراز (ت:٢٧٩هـ) بقوله :

(لا يكون العبد زاهدا مستكمل الزهد ، حتى يستوى عنده الحجارة والذهب عندها تخرج قيمة الأشياء من قلبه ، فمن ملك من أهل العمل والصدق شيئا

^١ لطائف الإعلام ١/٥١١-٥٠٩

^٢ الرسالة القشيرية ص ٢٢٠

من الدنيا ، فهو معتقد أن الشيء لله عز وجل ، لا له ، وأن الله خوله فيه ، وهو مبلى به ، حتى يقوم بالحق فيه ، فالنعمة بلاء ، حتى يقوم العبد بالشكر فيها ويستعين بها على طاعة الله ، وكذلك البلوى والضراء ، اختبار وابتلاء حتى يصبر ، ويقوم بحق الله فيه ، فالأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون من بعدهم الذين أشعرهم الله بأن أبلاهم في الدنيا بالسعة وخولهم ، كانوا إلى الله عز وجل ساكنين لا إلى الشيء ، وكانوا خزاناً لله جل ذكره ، في الشيء الذي ملكهم يُنفذونه في حقوق الله تعالى غير مقصرين ، ولا مفرطين ، ولا متأولين على الله وكانوا غير متلذذين بما ملكوا ، ولا مشغولى القلوب بما ملكوا ، ولا مستأثرين به دون عباد الله)^١

ورغم ان الزهد ركن أساسي من أركان التصوف ، إلا ان الزهد ليس هو التصوف ، انما هو جزء من أجزاءه ، فهنالك زاهدون ، ولكنهم ليسوا متصوفين ، فالزهد كمذهب أخلاقي قد يرتضيه الكثيرون كنمط سلوكي وكحالة يعيشونها بعيداً عن الطمع والترف ... ولكنهم ليسوا متصوفين وربما غير مسلمين .

فالزهد يكون عند المتصوفين وسيلة لبلوغ غاية أسمى ، بمعنى ان الزهد طريق يوصل لغاية أسمى ، فالأصل والمقياس الذي يحكم زهد المتصوفين هو الغاية من الزهد .

فحين يكون الزهد وترك الملاذ والشهوات لأجل الله وابتغاء الوصول الى مرضاته ، وتفريغ القلب لمحبه سبحانه ، وعدم الإنشغال بالشهوات والتملك ، فذاك زهد المتصوفين وجزء من منهجهم وسلوكهم ...

^١ . انظر كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز ص ٤٣ ، ويشهد لذلك قوله ﷺ : ((لو كان عندي مثل أحد ذهباً لسرني ان لا تمر عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء الا شيئاً أرصده لدين)) حديث أخرجه البخاري ٥ / ٢٣٦٨ برقم ٦٠٨٠ .

الغاية من الترك والقبول عند المتصوف ان يكون كل ذلك لأجل الله سبحانه .
لذلك فكل متصوف زاهد ، وليس كل زاهد متصوف .



التصوف ... والشعر

(التصوف رؤية الكون بعين النقص . بل هو غض الطرف عن كل ناقص ،
ليشاهد من هو منزه عن كل نقص)^١

حين يكون الكون ناقصاً في نظر الصوفي فذاك يعني انه غير حقيقي مما
يستدعي مغادرة الناقص والسعي الى بلوغ عالم الكمال ، عالم الحقيقة المنزه عن
كل نقص .

ان العالم الكامل لا يمكن بلوغه الا بالغياب عن العالم الناقص والتسامي عليه
وهذه الرغبة بالتغيير او الارتقاء كما هي لدى الصوفي تكون عند الشاعر .
ان التسامي عند الصوفي تسامي روحي لا يتأتى الا بإماتة النفس وحواسها وقتل
اشتهائها .

وحين يكون التحرر عند الصوفي والشاعر من عالم النقص وكل ما يربط به
ضرورة لتنطلق الروح الى عوالم الصفاء والنقاء ، او عالم الطموح يصبح البحث
عن ادوات هذا التحرر وسبله ضرورة مُلحّة .

(وحين تتحرر الروح من أسر الجسد منطلقة في عالم الحقيقة اللا متناهي حيث
النور والصفاء .

فهناك فقط تستوي المتناقضات وتتوحد ، وتجيا الأشياء جميعاً في اتساق أزلي
خالد .

ان هذه الحال لا تتحقق الا عبر اشتياق عظيم لا ينطفئ ، وعبر رغبة جامحة

لفناء النفس في الوجود الحق كما يحصل الصوفي على سلام عميق للروح)^٢

ان الشعر الصوفي وليد التجربة الصوفية والدائر على التعبير عن كل ما يتصل
بالصوفي الشاعر بدءاً من خطواته الأولى في عالم التصوف انتهاءً بما وصل اليه

^١ طبقات الصوفية ص ٢٧٨

^٢ الشعر الصوفي ص ٢٦

بمسراه في عوالم النور والصفاء مروراً بكل المقامات التي شهدها في مسيرته وترقيته من صَبْرٍ ورضا وفقر وزهد ... وما سواها في مدارج الارتقاء والترقي .
ان الشاعر والصوفي يلتقيان في استعمالهما للحدس الذاتي واللغة المجازية بما يتسع لما يجلمان به او يسعيان اليه في نزوعهما الى الهجرة من عالم ناقص الى عالم الطموح العالم الأكثر صفاءً ونقاءً .

وفيما تنتهي رحلة الشاعر من عالم الخيال الى عالم الحقيقة ، تستمر رحلة الصوفي لبلوغ حال الفناء التام عن نفسه والعالم والوصول الى عالم الحقيقة عبر مجاهدات ترمي لتصفية النفس من الحجب المظلمة التي تعيقه عن التركي واللقاء.

ان ابداع الشاعر وسلوك الصوفي يتجليان في لحظات من تهيؤ واستعداد الحواس للتأمل المركّز وغياب الوعي بالعالم ، وتنامي الشعور بالصفاء حتى يملأ الروح فيصبح التغيير ضرورة تفرض نفسها . وكأن الروح تعيش حالة من مخاض او توق للانفلات والانطلاق لعالم أكثر سعة .

وكلما اشتدت هذه الحالة كلما أصبح تدفق الصور في القلب أكثر وأصبحت المرئيات تملك دلالات جديدة وقدرة أكثر على التغير ... وكل ما سيمر وقتها في ذهن الشاعر يكون له دلالة جديدة تقود للتأمل في جو من الإلهام ، الإلهام الخلاق الذي ينتج عنه ابداعاً لغوياً عند الشاعر ويقود الصوفي الى عوالم التجلي .

ان هذا الاستغراق يكون منتهاه عند الصوفي فناء تام فيما يؤدي بالشاعر الى الامتزاج أكثر بالعالم .

ان كلاً من تجربة الصوفي والشاعر تعتمد في بداياتها على ذلك الصراع والمخاض الذاتي الذي يتبلور شعراً عند الشاعر وتجلي عند الصوفي .

وفي حين ان هذه الحالة تظل ملازمة للشاعر في اغلب تجاربه ، فإن الصوفي يجب ان يتخلص من هذا الصراع ليتسامى ويتقدم وإلا سيظل أسير بدايته .

وفي حين تتسع اللغة للشاعر للتعبير عن رؤاه وتتسع لإبداعه وايصال ما يريد ايصاله عبر شعره ، فإن اللغة تضيق على الصوفي فلا تتسع للمعاني التي يريدتها . لذلك لجأ الصوفية لمصطلحات ومفردات تشرح مواجيدهم واشواقهم ومعاناتهم . فكلما كُبرت الرؤية واتسعت صار التعبير عنها أصعب .

لذلك كانت وظيفة اللغة مختلفة بين الصوفي والشاعر فالمدلولات عند الصوفية تفقد فيها اللغة قدرتها على التعبير او احتواء احوال الصوفي .

ان لجوء الصوفي للغة الشعر ترجع لسعة المعاني التي يريد التحدث عنها ، والشعر يحتمل الخيال الواسع ، والرمزية والإيحاء .

ومع ذلك فإن الكتابات الشعرية الصوفية فيها اشكالان او صعوبتان :

اولهما هو المصطلحات الصوفية .

وثانيهما الرموز الكثيرة المستعملة في انتاجهم الفني .

اما المصطلحات فقد سلط الضوء عليها الباحثون والمختصون في الأدب الصوفي فصنفوا فيها معاجم ومصنفات شرحت مدلولها ومعانيها .

و ظل الرمز هو ما يحتاج الى تأويل وتفسير وشرح .

والتأويل لا يخضع لمحددات وقوانين .

ولتباين احوال الشعراء والكاتبين ومقاماتهم كانت اعمالهم الكبيرة وأشعارهم مجالاً خصباً لدراساتٍ وابحاثٍ وشروح كثيرة .

فللرموز معنى باطن مخزون تحت معنى ظاهر ... لا يظفر به الا اهله .

قال الفناد :

إذا نطقوا أعجزك مرمى رموزهم وان سكتوا هيهات منك اتصاله^١
ان طبيعة التجربة الصوفية القائمة على الذوق والكشف استدعت هذه الرمزية
الإيحائية البعيدة عن البساطة والوضوح .
وهناك من يرى ان الصوفية عمدوا لاستخدام هذه اللغة الإيحائية ضناً منهم
بعلمهم الباطن اللدني الموهوب لهم من غير طريق العقل .
ويعبر ابن عربي عن علوم الصوفية هذه بالأسرار :
(فهذه الأسرار أجرى الله العادة عند اهل هذه الطريقة ألا يهبها الا للأمناء ..
وهذا العلم نتيجة التقوى في قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)^٢
واليه اشار الحسين بن علي ، وقيل الرضي عليه السلام :

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولأستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا
فعلمهم الذي هو نتيجة التجربة والمجاهدة وبعد كشفاً لا تحصيلاً ، من الضنون
به على غير أهله^٣

^١ اللمع ص ٤١٤

^٢ البقرة ٢٨٢

^٣ الشعر والتصوف ص ٥٦



رحلة

مع شعر التصوف

الشعر ابداع يعتمد استخدام موسيقى لفظية ينقل فيه الشاعر معاناة وأحاسيس بلغة تعتمد الخيال والجمال في اللغة والأسلوب ولأغراض متعددة .
والشعر الصوفي شعر وجداني ذاتي موضوعه الزهد والحب ... الحب الإلهي والذي سيتخذ لاحقاً اشكالاً متعددة .

ولما كان التصوف يعبر عن تجربة خاصة تحكي عن معاناة ذاتية فردية تبتعد عن الاقتباس والتقليد كان هذا حال الشعر الصوفي الذي هو نتاج التجربة الصوفية فكان تعبيراً عن تجربة فردية ذوقية فريدة تعتمد القلب اساساً لها وليس العقل فهو يحكي عن معاناة ولوعة من داخل التجربة وليس من خارجها فكأن المعاناة هي التي تكتب او تفرض نفسها ونمطها وشكلها على الشاعر .

ان التجربة الذاتية التي يعيشها الصوفي والتي تحدد لها مقام الصوفي وحاله وقربه من الله والفيوضات التي من الله تعالى بها عليه تختلف بالضرورة عن تجارب غيره من المتصوفين فلكل مساره ومسراه ومقامه وحاله ، مما جرّ لأن تفرض نفس الذاتية نفسها على الشاعر الصوفي والذي أكسبت شعره الصبغة الذاتية .

والصفة الوجدانية للشعر الصوفي استمدت وجودها بمجملة من البوح الوجداني للشاعر الصوفي .

ولأن التجربة التي يعبر عنها الشعر الصوفي تجربة روحية خالفة تنبع تجلياتها من عالم الروح ، اصبح الشعر الصوفي شعراً روحياً .

وبناء على هذا فإن الشاعر الصوفي مثالي ورمزي يستمد عناصره من قلبه ، منبع حبه ، ومنارة عالمه الذاتي ، وهو يدين بدين الحب وينشد الجمال المطلق بأسمى معانيه .

ولأن الشعر افضل طريقة للتعبير عن مواجيد الصوفية واحوالهم وتجربتهم ، لذا لجأ الصوفية الى لغة الشعر يعبرون عن احوالهم وأذواقهم التي لا تتسع لها لغة العقل ، فشعرهم يعتمد القلب والوجدان .

ان الزهد والحب هما الينبوع الذي شرب منه المتصوفون ورسوموا منه اجمل لوحاتهم شعراً مملوءاً بالوجد والعشق والرغبة بالقرب بل وحتى رؤية الحبيب .

فكان شعر الزهد ابتداءً بما ينطوي على الإعراض عند الدنيا وزخرفها والرضا بالكفاف وبالقليل والذي كان انعكاساً صادقاً لحياتهم واحوالهم ، ثم تبعه شعر الحكمة .. ثم شعر الحب الإلهي ، والتي كانت تجتمع برؤية واحدة تجمع بين السبب والنتيجة ¹ .

وشعر الزهد والحكمة الصوفية وان كان يمتلك استقلاليته ورؤيته الخاصة ومفرداته التي تنبع من خصوصية تجربته وذاتيتها ، فإن شعر الحب الصوفي وان كان نتاجاً صوفياً خالصاً الا انه استمد من الشعر العربي مسمياته واستخدمها كرموز .

لقد شارك الصوفية الأدباء والشعراء في أدبهم فشاركوهم في أدبهم وشعرهم فنقلوه الى احوالهم ومقاماتهم ، واقتفوا أثر شعراء الخمرة فنظموا على غرار خمرياتهم ، كما انهم نسجوا في نظم قصائدهم على منوال شعراء الغزل ، فتغزلوا بليلى وهند ، ولكنهم رمزوا بهذه الأسماء الى العزة الالهية .

لقد ساعد تفقه المتصوفين وعلمهم بأحكام الشريعة وعلوم اللغة والنحو ، ساعد على غزارة الشعر الصوفي وكثرتة ، إلا ان هذه الكثرة وهذه الغزارة لم تمنع من ظهور ومضات ابداعية توهجت معلنة عن ولادة شعراء مبدعين كالإمام محمد بن ادريس الشافعي شاعر الحكمة والحلاج والسهورودي وغيرهم .

¹ السبب هو حبهم لله والنتيجة كل ما ينتج عن هذا الحب من الرضا والصبر والزهد ...

بدايات شعر الزهد :

تحدّث الكثيرون عن نشأة شعر الزهد وامتداده التاريخي حيث أرجعه الغالبية الى العصر العباسي وتحديدًا في القرن الثالث الهجري .

يرى الكثيرون ان أول ما ظهر و اشتهر شعر الزهد كان في العصر العباسي الأول ، وانه في الأصل جاء ردا على تيار اللهو و المجون ، و العيش الترف ، و انتشار الخمر و مجالس الغناء . فقامت طائفة من الشعراء على رأسهم أبو العتاهية بالتصدي لهذه التيارات باستعمال غرض جديد هو الزهد ، فكانت قصائدهم داعية إلى التوبة و الرجوع إلى الله ، و نبذ هذه الظواهر .

وذلك صحيح الا أني أرى ان بدايات الشعر الزهدي الإسلامي الذي يحث على ذم الدنيا وعدم الانشغال بها عن الله ، ظهر قبل العهد الأموي ، وبشكل قصائد متناثرة ، لكنها على قلتها تمثل النشأة الأولى لشعر الزهد الإسلامي ، والتي نمت في العهد الأموي وذاعت في العصر العباسي .

إن الزهد في عصر صدر الإسلام يستمد وجوده في معظم الأحيان من أصول اسلامية بحته متأثراً بالقران الكريم و السنة النبوية .

في صدر الإسلام :

حَقَّتْ صوت الشعر مع بدايات الإسلام الا ما كان من شعرٍ يمدح رسول الله ﷺ او شعرٍ يذود عن الإسلام ويدافع عنه .

فكان هناك شعر النابغة الجعدي وحسان بن ثابت وغيرهم من شعراء أحبوا الله سبحانه وأحبوا رسوله ﷺ ، واستغرقهم هذا الحب حتى تملكهم ثم انعكس شعراً في مدح رسول الله ﷺ او التحدّث عن شمائله الكريمة .

وكان للناس شغل بالقران والحديث الذي يُغني عما سواهما ، ثم ان بينهم رسول الله ينهلون من منهله الشريف ويعيشون تحت لوائه أجمل اشكال المحبة والتعلق . وكان هذا حال المسلمين وكان شعرهم يعبر عن حالهم .

واستمر الأمر على تلك الحال أيام الخلافة الراشدة في عهدها الأول .
لكن بعد ظهور الفتن إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وبعد ما لاقاه الإمام علي والإمام
الحسين بن علي رضي الله عنهما وبعد ان تعددت الفتن ، ظهرت النزعة الى
عكوف البعض في بيوتهم والانصراف للعبادة حتى يحكم الله بينهم .

وهذا ما خلق البيئة المساعدة لبروز بواكير الشعر الزهدي او مبشرات ظهوره .
وفي العصر الأموي تأثر شعر الزهد ، عدا عن العامل الديني المتمثل بالقرآن
الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بعوامل اخرى اقتصادية وسياسية وخارجية ،
بفعل اختلاط العرب بالأمم المغلوبة التي كانت تدين بأديان أخرى، لهم فيها
فلسفتهم الزهدية الخاصة .

ان موضوعات شعر الزهد في العصر الأموي تركزت على الدعوة إلى تحقير
الدنيا وذمها والدعوة إلى التوكل على الله ، والدعوة إلى العبادة.

لقد تميزت لغة شعر الزهد في هذه الحقبة بالسهولة والبساطة والبعد عن
الإفحاش والإغراب ، كما تميزت بأنها خطابية وعظمية تؤثر في عقول الناس و
نفوسهم ، و قد تميز الزهد في هذا العصر كذلك بأنه حلقة تربط بين السابق
واللاحق وقد تبين تأثر الشعراء الأمويين بشعر الزهد عن الجاهليين وعصر صدر
الإسلام كما أثرو في شعر العصور اللاحقة.

ان حياة اللهو والترف الذي تفشى في القرن الهجري الثاني شجعت على ظهور
نزعة للعزلة والابتعاد عن مظاهر الترف وهو الحياة التي طغت ، والانقطاع
للعبادة والتمسك بالزهد فكان الشافعيّ الشاعر الصوفي الذي أبدع في شعر
الحكمة وذم الدنيا وزخرفها وفي شعر الوعظ .

واضافة للشافعي كان هناك الفقيه الشاعر عبد الله بن المبارك .
وقد تكامل التصور الشعري للزهد في شعر ابي العتاهية الذي امتاز شعره
بغزارته وسهولته واستيعابه لكل معاني الزهد .

وكذلك ابو نواس الشاعر التائب الذي رسم اجمل اللوحات الشعرية في الإنابة والعودة الى الله .

عند الحديث عن التميز والإبداع في الشعر الصوفي فإن الحلاج سيفرض نفسه كحالة ابداعية فرضت نفسها بقوة على مسار الشعر الصوفي وحددت اتجاهه وترك بصمته واضحة على شعر التصوف في القرن الهجري الثالث وما بعده .

ان الحسين بن منصور الحلاج مكن الشعر الصوفي بتناوله موضوعات التصوف بوضوح وتفصيل وتركيز واسلوب رقيق كرقعة الحب وانسيابيته ، مكنه من فرض نفسه في الشعر العربي كنموذج له خصوصيته الإبداعية ورؤاه الخاصة ، كما ان ظهور الحلاج كان ايداناً بولادة القصيدة الطويلة في الشعر الصوفي بعد ان كان مقصوراً على مقطوعات قصيرة .

والحلاج الشاعر لم يكن الوحيد في ساحة الشعر الصوفي في القرن الهجري الثالث ... حيث كان هناك سمنون المحب المتوفي عام ٢٩٧ هجرية ، وابو علي الروبادي المتوفي عام ٣٢٢ هجرية اللذين كتبا اسميهما في قوائم المحبين الزهاد .

لقد ظل الشعر الصوفي على المسار الذي ابتدأه الحلاج يسجل ولادات شعراء مبدعين لكنهم لم يسجلوا خروجاً عن المؤلف حتى القرن السادس الهجري وولادة شاعر صوفي مبدع رقيق الشعر مزج رقة شعره بنظرة فلسفية هو شهاب الدين السهروردي المقتول، صاحب القصيدة الذائعة الصيت التي يبدأها بقوله :

أَبْدَأُ نَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ وَوَصَالُكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَى لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاخُ
وَأَرْحَمَةٌ لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا سِتْرَ الْمُحِبَّةِ وَالْهُوَى فَضَّاحُ

لقد ظل الشعر الصوفي محافظاً على اغراضه كالزهد والحكمة والوعظ والإرشاد والحب الإلهي في القرن السادس الهجري كما كان في القرون التي سبقت والقرون التي ستبعه .

وشهد القرن السادس بروز شعراء كتبوا بنفس الأغراض وابدعوا فيها كالصوفي المصري ابن الكيزاني والصوفي الشاعر ابو مدين الغوث التلمساني المتوفي عام ٥٩٤ هجرية .

ومع مجيء القرن السابع الهجري بزغ نجم شاعر مبدع في سماء الشعر الصوفي لُقّب بسلطان العاشقين .. وهذا الشاعر هو ابن الفارض الذي برع في شعر الوجد والشوق والحب الإلهي وبأسلوب متميز يعتمد التركيز والتفصيل ، وهو شاعر فطري وان كان شعره لا يخلو من الاشارات النحوية وفنون البديع .
وسلطان العاشقين هو صاحب قصيدة جميلة مطلعها :

زدني بفرط الحب فيك تحيِّرا
وارحم حشئ بلظي هواك تسعرا
وإذا سألتك أن أراك حقيقةً
فاسمِّحْ ولا تجعلْ جواي لن ترى
يا قلبُ أنتَ وعدتني في حُبِّهم
صبراً فحاذرُ أن تضيقَ وتضجرا

وله سواها قصائد رفعته في سماء العشق سلطانا للعاشقين .
واضافة لسلطان العاشقين فقد شهد القرن السابع الهجري ولادة علم من أعلام التصوف وشاعر من شعرائه لُقّب بالشيخ الأكبر هو الشيخ محي الدين بن عربي والذي كما اختط لنفسه اسلوب خاص في فهم التصوف ومفرداته كان له اسلوبه الخاص في شعره الذي امتاز بتفرد ونزعة فلسفية وبالتعقيد ، وقد زاد هذا الظهور لغة الشعر التصوفي إثراء لغوياً وابداعياً .

والى جانب ابن عربي كان هناك عَلمًا وشاعراً شامخاً في نفس القرن هو الامام البوصيري الصوفي صاحب القصيدة الذائعة الصيت في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويبقى الزهد واحداً من أجمل ما دعا اليه شيوخ التصوف وحببوه الى الناس . وأجمل تعبير عن فكرة الزهد ، ما عرضه الشاعر أبو العتاهية نموذجاً للرجل الفاضل الجليل بقوله:

يا مَنْ تشرفَ بالدنيا وطينتها ليس الترفُّعُ رفعُ الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلهم فانظرِ إلى ملكِ في زيِّ مسكين^١

واستمرت مسيرة الشعر الصوفي تحكي هموم المتصوفين ووجدتهم واشواقهم في رحلتهم بدروب السلوك الى الله تعالى .

^١ ديوان ابي العتاهية ص ٤٣٩



تأملات

في نماذج من شعر الزهد

ومثلما كان الزهد والتخلي عن متاع الدنيا وعدم الانشغال بها ، ورؤية كل ما سوى الله عائقاً عن صدق محبته والوصول اليه ، مثلما كان ذلك طريقهم ومنهجهم في هذا السلوك وهذه الرحلة ، كذلك كان الزهد محوراً مهماً من محاور شعرهم وموضوعاً مهماً من مواضيعه .

ورغم ان الزهد عند المتصوف انعكاس لحب غامر فاض فغمر كل مفردات التفكير والسلوك ، الا ان اشعارهم فيه ظلت تعبر عن غرض أخلاقي تعبدي أكثر من تعبيره عن الجانب الروحي الباطني الذي كان التعبير عنه شعراً في مواضيع أخرى .

وهذا بشر الحاني يفضل حياة الفقر والقناعة على حياة الترف والغنى في ظلّ الرضا بمشيئة الله والقناعة بفضله ، فيقول :

قَطْعُ اللَّيَالِي مَعَ الْأَيَّامِ فِي حَلْقِ

وَالنَّوْمِ تَحْتَ رَوَاقِ الْهَمِّ وَالْقَلْقِ

أَحْرَى وَأَعْدُرُ بِي مِنْ أَنْ يُقَالَ غَدَا

أَبِي التَّمَسُّتُ الْغَنَى مِنْ كَفِّ مُخْتَلِقِ

قَالُوا رَضِيَتْ بَذَا قَلْتُ: الْقَنُوعُ غَنَى

لَيْسَ الْغَنَى كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ وَالْوَرَقِ

رَضِيَتْ بِاللَّهِ فِي عُسْرِي وَفِي يُسْرِي

فَلَسْتُ أَسْلُكُ إِلَّا وَاضِحَ الطَّرِيقِ^١

ويفص الشبلي حال الدنيا وطالبيها فيقول :

قد نادى الدنيا على أهلها

لو ان في العالم من يسمع

^١ طبقات الصوفية ص ٤٤

كم واثق بالعمر واريسته

وجامع فرقت ما يجمع^١

وله أيضاً ينشد والحيرة تملأه عن مصيره في الدنيا وبعدها :

ليت شعري كيف ذكري	عند من يعلم سري
ليت شعري كيف حالي	عند احضاري وحشري
أجميل أم قبيح	أجميل أم قبيح
أترى يقبل قلبي	أم ترى يشرح صدري ^٢

ويربط يحيى بن معاذ الرازي بين قطع العلائق بالدنيا والظفر بالنعيم الخالد فيقول:

سَلِّمْ عَلَى الْخَلْقِ وَارْحَلْ نَحْوَ مَوْلَاكَ

واهجر على الصدق والاخلاص دنياكا

عساک فی الحشر تُعْطَى مَا تُؤْمَلُهُ

ويُكْرَمُ اللهُ ذُو الْآلَاءِ مَثْوَاكَ

ومن زهديات أبي نواس يحذّر من الدنيا وهواها :

إِذَا مَا خَلَوْتَ، الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تُقُلْ	خَلَوْتَ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تُحْسَبَنَّ اللهُ يَغْفِلُ سَاعَةً	وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
هُنُونًا، لَعَمْرُ اللهِ، حَتَّى تَتَابَعَتْ	ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
فَيَا لَيْتَ أَنْ اللهُ يَغْفِرُ مَا مَضَى	وَيَأْذُنٌ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُوبٌ
إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ	وَحُلْفَتٌ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

^١ ديوان الشبلي ص ١١٠

^٢ ديوان الشبلي ص ١٠٣

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
نَسِيبِكَ مَنْ نَاجَاكَ بِالْوَدِّ قَلْبُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ نَسِيبُ
فَأَحْسِنَ جَزَاءً مَا اجْتَهَدْتَ فَإِنَّمَا بَقْرَضِكَ بُجْزَى وَالْفُرُوضُ ضُرُوبُ^١

ويضيف أبو نواس في نفس الغرض :

لَا تَفْرُغِ النَّفْسُ مِنْ شُغْلِ بَدْنِيَّاهَا رَأَيْتُهَا لَمْ يَنْلَهَا مِنْ مَمْنَاهَا
إِنَّا لَنَنْفُسُ فِي دُنْيَا مُوَلِّيَةٍ وَنَحْنُ قَدْ نَكْتَفِي مِنْهَا بِأَدْنَاهَا^٢

ان الغنى الحقيقي لا يتأتى الا بالتعفف وعدم الطمع في الدنيا وما فيها واليأس
بما في أيدي الناس ، يقول ذو النون في هذا المعنى :

لبست بالعفة ثوب الغنى فصرت أمشي شامخ الراس
أنطق الصبر لي لساني فما اخضع بالقول لجلّاسي
إذا رأيت التيه من ذي غنى تهت على التائه باليأس^٣

يقيم ذو النون مقارنة بين الغنى الروحي متمثلاً بالعفة والغنى المادي وآثاره من
مال وجاه ، فهو ينشد العفاف ثوباً لغنى النفس التي يصيرها العفاف والقناعة
شامخة الرأس قادرة على مواجهة الجلّاس الذين يحاولون التكبر .

يجول الغنى والعزُّ في كل موطنٍ ليستوطننا قلب امريء ان توكلنا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه وكان له فيما يحاول معقلا

^١ ديوان ابي نواس ص ١٠٣

^٢ ديوان ابي نواس ص ٦٨٧

^٣ حلية الأولياء ١٠/٣٧٢

وعلى هذا أكثر النصح بين المتصوفين والتوصية في ذم الدنيا والصبر على المكاره بانتظار اللقاء .

يقول مُجَّد بن منصور :

انما الدنيا وإن سرّت قليل من قليل
ليس تعدو ان تبدّي لك في زي جميل
ثم ترميك من المأمن بالخطب الجليل
انما العيش في جوار الله في ظل ظليل

وهكذا يحكم شعر المتصوفين هذه النزعة في الإعراض عن الدنيا والزهد بما فيها واستبدالها بحياة القناعة والرضا بالكفاف والصبر على نوازل الدهر وشكران النعمة وصدق التوكل في كل الأحوال .

وكل ذلك الصبر بلا تكلف بل برضا تام وقناعة كاملة لأن همهم ليس الدنيا وما فيها فهّمهم أكبر ومطمحهم أعلى .

أليسوا هم المحبون ؟

فتلك حال المحبين الذين يعيشون بجهم ولحبهم .

وتظل تلك الثنائية من الخوف والرجاء تتناوب على قلوبهم وتشغلهم عن الدنيا ، فهم في شغل عنها .

يقول الواسطي :

الخوف والرجاء زممان على النفوس لئلا تخرج الى رعوتها^١

وبناء على ذلك فقد أكثر ذم الدنيا والدعوة للإعراض عنها

ومما قاله البهلول في عهد الخليفة الرّشيد :

^١ الرسالة ص ٦٦

دع الحِرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمَع
ولا تجمع من المال فلا تدري لمن تجمع^١

انه التذكير والإرشاد ، والنصيحة بالزهد .

كما يتخذ النصح شكل التذكير بالموت ، النتيجة الحتمية لكل الخلائق ،
يقول ابو العتاهية في التذكير به وبعدم قدرة الإنسان على رده :

أُنْسَاكَ مَحْيَاكَ المماتا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَاتَا
وَوَثِقْتَ بِالدُّنْيَا وَأَذْنَتْ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبْوَيْهِ فِيهِ مَا قَدْ رَأَى كَانَا فماتَا^٢

وربما تكثر الأبيات في القصيدة ، وكلها تدور حول ذات الموضوع وذات الغرض
وأبو العتاهية مثال ذلك في شعره ، خاصة بعد نظمه قصيدة "بذات الأمثال"
المكوّنة من أربعة آلاف بيت، وتتميّز هذه القصيدة بوحدة القافية في صدر
أبيات القصيدة فقط، ومن أبياتها :

حسبُك ما تبغيه القُوت ما أكثر القُوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكِفَافا من اتقى الله رجا وخافا^٣

لقد امتاز شعر الزهد بالحفاظ على وحدة البنية للقصيدة ؛ لتلتزم بغرض الرُّهد
من أول القصيدة إلى آخرها .

^١ الزهد في العصر العباسي ص ٢٧

^٢ ديوان ابي العتاهية ص ٩٣

^٣ الزهد في العصر العباسي ص ٢٨

مع استخدام الأوزان الشعريّة القصيرة، والمجزوءة في محور الشّعر؛ للتناسب مع أهداف الرّهد .

فمثلاً عمد أبو العتاهية إلى استخدام وزن مجزوء محور الكامل، والوافر، والبسيط، والرّمل، كذلك الشّاعران أبو نؤاس وابن المبارك.

مراعين استخدام الصّور الفنيّة البسيطة، والتي تُناسب غرض شعر الرّهد، وفي الوقت نفسه تكون ذات طابع مُبتكر يجعل السّامع لها يعيش اجوائها ويتضامن مع مضمونها .

ثم ان المباشرة في التّعبير مع الابتعاد عن كثرة استخدام الصّور، والمجازات، كل تلك الخصائص وغيرها جعلت النّاس يقبلون على شعر الرّهد؛ فالمعنى يتمّ ويصل السامع بلا غموض أو تعقيد .

وأضف لذلك صدق الشاعر الذي يتلمّسه السامع ، فما يخرج من القلب يصل الى القلوب .

وعند الحديث عند المبدعين من شعراء الزهد والحكمة فلا بد من الوقوف امام الشافعي حكيم الشعر وشاعر الحكمة .

ومن شعره :

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا	وكن رجلا على الأهوال جلدا
وإن كثرت عيوبك في البرايا	وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب	يغطيه كما قيل السخاء
ولا تر للأعادي قطُّ ذلاً	فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترج السماحة من بخيل	فما في النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه التأي	وليس يزيد في الرزق العناء

ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بؤس عليك ولا رخاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين فما يغني عن الموت الدواء

ويلاحظ في هذا النص الشعري فنياً لغته الشعرية السهلة البسيطة، والبعد عن التعقيد اللغوي للألفاظ، والأسلوب الرقيق في التعابير ، والمعاني المليئة بالحكمة. ويقول في فرج الله القريب :

ولرب نازله يضيق لها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجتِ وكنت اضنّها لا تُفرج

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

إليك إله الخلق أرفع رغبتى وإن كنتُ يا ذا المِرِّ والجود مجرماً
ولما قسا قلبي وضاق مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلتُ ذا عفو عن الذنب لم تنزل تجؤد وتعفو منّة وتكرماً

الشعر الصوفي المعاصر

ومع انطلاق الشعر العربي المعاصر أو ما يُسمَّى بشعر التفعيلة منذ منتصف القرن العشرين، بدأ الشعراء يشغلون التراث في شعرهم و يوظفون التراث الأسطوري والتاريخي ويعمدون الى استخدام الأقنعة الدينية والفنية والأدبية والصوفية، وتشغيل الرموز المكانية والطبيعية واللغوية من أجل خلق قصيدة الرؤيا والانزياح التي تتجاوز طرائق الاجترار والامتصاص والاستنساخ في التعامل مع التراث إلى طريقة الحوار والتناص قصد خلق تعددية صوتية تحيل على المعرفة الخلفية للكاتب ومرجعياته الثقافية وسمو حسه الشعري، وجمعه بين المتعة والفائدة في شعره.

وقلما نجد شاعرًا عربيًا معاصرًا يكتب شعر التفعيلة أو الشعر المنثور بدون أن يوظف التراث أو يشغل الكتابة الصوفية أو يستلهم الشخصيات الصوفية أو يستعمل تعابير المعرفة اللدنيّة أو يستحضر مقتبسات المتصوفة والوعاظ أو ينحو منحاهم في التخييل والتجريد واستعمال الرموز و الاستعانة برشاقة الأسلوب وتلوين النصوص الشعرية بنفحات الدين والعرفان الباطني.

(إن استعارة الشخصيات الصوفية مثلت ظاهرة واضحة في الشعر المعاصر، وقد اختار شعراؤنا المعاصرون شخصيات عديدة من أهل التصوف واجهوا بها قارئ قصادهم، واتخذوا منها قناعًا يتحدثون به ومن ورائه عن مشاغلهم ومعاناتهم ومواقفهم. وليس ذلك فحسب، بل نجد الشاعر المعاصر أحيانًا يندمج في الشخصية الصوفية ويحل فيها حلولًا صوفيًا. ويتحد بأبعادها بفعل تشابه أحواله بأحوالها.

ومن الشعراء الذي وظفوا الخطاب الصوفي نذكر :

بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي، وأدونيس، وصلاح عبد الصبور، ومُحَمَّد الفيتوري، وخليل حاوي، ومُحَمَّد عفيفي مطر، ومُحَمَّد مُجَدِّد

الشهاوي، «أحمد الطرييق أحمد، ومُجَّد السرخيني، وحسن الأمراني، ومُجَّد بنعمارة،
وعبد الكريم الطبال، وأحمد بلحاج آية، وارهام، ومُجَّد علي الرباوي، وآخرين) ^١
وقد حفلت القصائد في الشعر العربي المعاصر بشعر يحمل إيماءات صوفية او
رموز تحمل نكهة التصوف ورؤاه .
تقول نازك الملائكة:

أطفئ الشمعة فالرُوحانِ في ليلٍ كثيفٍ
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لون الخريف
أولا تُبصرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرود
أولا تسمعُ؟ قلبانا انطفاءً وخبوً
صمتنا أصداً إنذارٍ مخيفٍ
ساخرٌ من أننا سوف نعودُ
غرباءُ

^١ الأثر الصوفي في الشعر ص ٢٦٦



الحب ... الإلهي

حين يستغرق الحبُّ الإنسانَ ، حتى تصير حياته محض حبٍّ ... وشوق ...
ومحطات انتقال بين مراحل الحبِّ ذاك .

وحين يستغرق الحبُّ المحبَّ فيغدو محور حياته .

فإنَّ كتاباته وشعره تصير صوراً ورسوماً لذلك الحب وأحاديث عنه .

وكذلك المتصوفون الذين عاشوا للحب في رحلتهم بالله اليه ، كانت اشعارهم
مثل احاديثهم عن طريقهم وسلوكهم ومعاناتهم وأشواقهم في السلوك الى الله
تحكي عن حبِّ وسلوك وانتظار اللقاء .

شعرٌ ... تغلّفه ذات الحيرة التي أحاطتهم ، فهذا الشاعر ابو بكر الشبلي يقول :

ان الله موجود عند الناظرين في صنعه ، مفقود عند الناظرين في ذاته^١

صيرهم حبهم محض أرواح تسعى في حياتها بين الذكر والفكر ، بعد ان امتلأت
قلوبهم حُباً وفاضت رحمة وجمالاً .

وكأنهم منذ خوطبت أرواحهم من قبل النور الأقدس بخطاب " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"
في عالم الذرِّ، تذوقوا الحب من أصفى منابعه فتاهت ارواحهم سكرى في عوالم
العشق يؤرقهم كل حجاب بينهم وبين محبوبهم ويذبيهم البعد فيعيشون على أمل
الوصال .

رأوا الجمال بكل شيء فكل ما حولهم يذكرهم بالحبيب حتى استعاذوا من لحظة
نسيان او انشغال .

عاشوا مع الجمال في أدق تفاصيل حياتهم ، في أشعة شمس تنكسر على امواج
نحر تجري ، او تغريدة بلبل او نسمة صباح تداعب قلوب العاشقين فتذكرهم
بالحبيب .

وفي المساء حين تجافت جنوبهم عن المضاجع كان القمر نديم سهرهم يبثوه
نحوهم ويشكون لوعة الحب ، فالبوح في شرعهم حرام والشكوى ذنب والنسيان

^١ حلبة الأولياء ١٠ / ٣٧١

خطيئة .

عاشوا غمار تجربتهم او تصوّفهم بحثاً عن الله او قربت منه او ... او وصال ،
وذات السؤال يتردد في ارواحهم (أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ) فالحب لا يطفى سعيره الا
اللقاء او الرؤيا او القرب .

ومما زاد في لوعتهم انهم أحسّوا المحبوب في أنفسهم ، وفي الآفاق ، وفي الكون ،
وفي القران بين الآيات ، وفي نسيمات الصباح وفي رجع الناي .

والقلب لسان الروح ، واللسان ترجمان القلب والعقل ، وقانونهم : من ييح
بالسر شيمته القتل ، والروح تضيق في تكتم حبها وتجاهد لإخفائه ، ويشتد
بهم الشوق ويزداد في ارواحهم العشق ، ويعيشون اللوعة واللهفة والوجد ،
والبوح حرام وذنب ، ويضيقون بما حَمَلُوا وَحَمَلُوا ... ويتعاضم الحب ، فيتفجر
شعراً يسكنه وجدٌ لا يدريه إلا من يسكنُ فيه ، حب تملأه الرموز ،
والاصطلاحات ، الشرح فيه تلميح وتلويح وإشارة .

فهم يخشون ان يُفتضح حبههم ويُكشف سرهم ، وقد عاهدوا على الكتمان .
وقديماً قال المتنبي يشرح ما كابد :

وعذلتُ أهلَ العِشْقِ حَتَّى دُقْتُهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ بَمُوتِ مَنْ لَا يَعِشُقُ
وَعَدَرْتَهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي
عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيْتُ فِيهِ مَا لُقُوا

ويقول جلال الدين الرومي حاكياً عن العشق الإلهي :

(ولا يُمكن تعلِيمُ درس العِشْقِ برسائِلِ الفلسفةِ وعلم الكلامِ والمنطقِ؛ لأنَّ
العِشْقَ ليسَتْ لَهُ أجدِيَّةٌ، وكُلِّ سَعِيٍّ إِلَى بِيانِ العِشْقِ وإيضاحِهِ وتفسيرِهِ لا طَائِلَ
مِنْ ورائِهِ) .

ان علاقة الحب بين السالك ومولاه تمتد موعلة قَدَمًا الى بداية العطاء الرباني (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) ^١ فكان التشريف الالهي الذي اختص به مَنْ اجتبي من اهل رضوانه ، فاستجابت قلوبهم الى النداء الأعظم فهاموا بأقدس حب وأصفاه .
وتهم القلوب فخراً ووجداً وتطرب الأرواح حين يسمعون قوله تعالى :
(والذين آمنوا أشد حبا لله) ^٢

يصف الله حبههم بالشديد فهل فوق ذلك فخر .
ويؤسس سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ قواعد الحب الإلهي ويحدد ابجديته وهو يدعو الله تبارك وتعالى ان يرزقه حبه ، حين يقول في

دعائه ﷺ : (أسألك حبك، وحب عمل يقربني إلى حبك) ^٣
ويُشكِّل الحب محور العلاقة بين المسلم وربّه في حديث الرجل الذي سأل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال له : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير عمل، إلا أني أحب الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام : (المرء مع من أحب) ^٤

لقد منّ الله بالعطاء على الجميع وكانت نفحاته الكريمة تملأ الآفاق (وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ^٥ ، فمنهم من تعرّض للنفحات فانفتح قلبه واستلم وهام في عوالم الحب ، ومنهم من أغلق قلبه وحرّم نفسه ذاك العطاء .

يقول الشيخ الألوسي رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة الذاريات :
(ومما قاله بعض اهل الإشارة في بعض الآيات :

^١ المائدة ٥٤

^٢ المائدة ٥٥

^٣ مسند احمد ٢٤٣/٥ برقم ٢٢١٦٢ و

^٤ احمد ١٠٤/٣ برقم ١٢٠٣٢

^٥ الإسراء ٢٠

(وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا)^١ اشارة الى الرياح التي تحمل أنين المشتاقين المعرّضين لنفحات الألطاف الى ساحات العزة ، ثم تأتي نسيم نفحات الحق الى مشام المحبين فيجدون راحة من غلبات اللوعة (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا)^٢ اشارة الى سحائب الطاف الألوهية تحمل امطار مراحم الربوبية فتمطر على قلوب الصديقيين برياح العناية في بحر التوحيد على أيسر حال (فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا)^٣ اشارة الى الملائكة النازلين من حظائر القدس بالبشائر والمعارف على قلوب اهل الإستقامة ، وان شئت جعلت الكل اشارة الى انواع رياح العناية فمنها ما يطير بالقلوب في جو الغيوب ، وقد قال العاشق المجازي :

خذ من صبا نجد أماناً لقلبه نسيم كاد ريتاها يطير بلبه
وياكما ذاك النسيم فإنه متى هبَّ كان الوجد أيسر خطبه

ومنها (الْحَامِلَاتِ وِقْرًا)دواء قلوب العاشقين كما قيل :
ومنها (الجاريات) من مهاب حضرات القدس الى افئدة اهل الأنس بسهولة لتنعش قلوبهم ، ومنها (الْمُقْسِمَاتِ) ما جاءت به مما عقب بها من اثار الحضرة الالهية على نفوس المستعدين حسب استعداداتهم وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبِّكَ^٤
اشارة الى سماء القلب فإنها ذات طرائق الى الله عز وجل (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)^٥ اشارة الى جنات الوصال وعيون الحكمة ... وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ^٦

^١ الذاريات ١

^٢ الذاريات ٢

^٣ الذاريات ٤

^٤ الذاريات ٧

^٥ الحجر ٥

^٦ الذاريات ١٨

يطلبون غفر أي ستر وجودهم بوجود محبوبهم .

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ^١ أي ليعبدون ، وهي اشارة الى ما

صححوه كشفاً من روايته عَلَيْهِ السَّلَام عن ربه سبحانه انه قال :

(كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لأعرف) ^٢

^١ الذاريات ٥٦

^٢ روح المعاني ٢١/١٤

بدايات الحب

لما كان الحب مئة ربانية وعطاءً ألهي اودع الله سبحانه بذرتة في قلوب محبيه ،
وحين كان حب العباد انعكاساً لحبه تعالى لهم ، كان هذا الحب طبع في تلك
القلوب مفطورة عليه وفاءً منها لخالقها .

يقول سمنون الحب :

جرى فيّ الهوى مذكنت طفلاً فما لي قد كبرت عن التصابي^١

ويقول ابو يزيد عن بدايات حبه :

غرست الحب غرساً في فؤادي فلا أسلو الى يوم التنادي
على ان البعض يُرجع بدايات ذاك الحب الغامر الى رسول الله ﷺ المحب الأكبر
، حيث يرى الامام الغزالي :

(ان المحبة اول حال الرسول حين تبتل في حراء ، حتى قالت العرب : ان مُحمّداً
عشيق ربه)^٢

قال أبو طالب المكي (أن المحبة أكمل مقامات العارفين ... وهي إثارة من الله
تعالى لعباده المخلصين)

ويقول رحمه الله تعالى (فالمحبة تكون هبة من الله تعالى لأصفيائه من الأولياء ،
وهي أكمل أنواع المقامات التي يحققها المؤمن)

(كل مؤمن بالله فهو محب لله ، ولكن محبته على قدر إيمانه ، وكشف
مشاهدته ، وتجلي المحبوب له على وصف أوصافه)^٣

ويقول القشيري : أن الحب هو تفضيل الله لجماعة معينة من الناس هم عباد


^١ الطبقات ص ١٩٣

^٢ المنقذ من الضلال ص ٥٣

^٣ قوت القلوب ١ / ٥٠

الله المخلصين بقوله (الحب حالة شريفة ، شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر
عن محبته للعبد)^١

^١ الرسالة ص ٣١٨



رحلة
مع نماذج من شعر
الحب الإلهي

رابعة العدوية ... شهيدة العشق الإلهي

وحين يكون الحديث عن الحب الإلهي فلا بد ان يكون البدء مع رابعة العدوية اول من نادت بالحب الالهي بعد ان كانت العلاقة بين السالك ومولاه علاقة خوف وبكاء من الذنوب والبحث عن الإنابة والتوبة .

ورابعة الزاهدة العارفة بالله (المتوفاة ١٨٥ هجرية) اول من صاغ هذا الحب غرضاً شعرياً خالصاً، لتتطور مدرسة شعر الحب الإلهي بعدها على يد كثيرين ، كابن الفارض، وابن عربي، والحلاج ، والجنيد ، وابو يزيد البسطامي، وسهل بن عبد الله التستري، وابن عطاء الله السكندري، والحارث المحاسبي، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم من شعراء هامت قلوبهم في عوالم عشق انعكست قصائد حب غنية بالأغنام القدسية، والألحان العلوية التي أبدعوها وبما تغنوا فيه بحب إلهي عشقاً وهيأها .

وما كان من الحب الالهي فهو موجود وهو علّة الوجود في هذا الكون وأساسه لكن ، نقله الى الواجهة وبهذا الوضوح وبهذه الكيفية فهو ما يُحسب لرابعة العدوية التي اعتزلت الناس وانطلقت في عوالم الحب الإلهي فنذرت نفسها بكليتها لله فكان حبها بلا علّة ولا غاية بل هو حب لأن المحبوب هو الله ولا يمكن ان تكون العلاقة بين العبد وبينه الا علاقة حب .

و (يميل مؤرخو التصوف الإسلامي إلى القول بأن الزاهدة رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ) هي أول من أخرجت التصوف من الخضوع بسبب "الخوف" إلى الخضوع بسبب "الحب" ، وأنها أول من استخدم لفظ "الحب" استخدامها صريحاً في مناجاتها وأقوالها المنتثرة والمنظومة، وعلى يديها ظهرت نظرية "العبادة"

من أجل محبة الله ، وليس بسبب الخوف من النار أو الطمع في الجنة^١ قال الطوسي بأنها هي حال (لعبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به ، وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل^٢)

وتعبر رابعة عن حبها في مناجاة جميلة فتقول :

أحبك حبين حب الهوى	وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى	فذكرت شغلته به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفتك الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ويشرح الغزالي هذه الأبيات لرابعة بقوله (ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها ، وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبه بما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما)^٣ وبيروى عن رابعة أنها قد أصيبت بمرض ، وقالت لزوارها عندما سئلت عن سبب مرضها (والله ما أعرف لعلتي سبباً ، غير أنني عرضت عليّ الجنة فملت بقلبي إليها ، ، فأحسب أن مولاي غار علي فعائني ، فله العتبي)^٤ وتلوم رابعة نفسها لأن مالت الى الجنة ، فقلب يمتلئ بحب الله كيف تراه يتسع لحب غيره ؟

^١ المقدمة ص ٤٦٧

^٢ المقدمة ص ٤٦٧

^٣ إحياء علوم الدين ٤ / ٢٦٦

^٤ التعرف ص ١٨٤

انه الحب وبأروع اشكاله ، الحب بلا غاية ، وبلا مطمع سوى رضا الله وقربه .
أليست رحمها الله تعالى من تقول :

يا حبيب القلب مالي سواك فارحم اليوم مذنباً قد أتاك
يا رجائي وراحتي وسروري قد أبي القلب ان يجيب سواك^١

ونظرت رحمها الله الى رياح القيسي وهو يقبل صبيّاً من قومه ويضمّه اليه
فقلت: أتجبه يا رياح ؟ قال : نعم .

قلت : ما كنت أحسب ان في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره^٢
وكانت تذكر الأنس في وجدها وترتفع الى وصف معنى الخلة في قولها السائر :

اني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليلس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن جميل شعرها رحمها الله تعالى تصف حال المحبين قولها :

وارحمتا للعاشقين قلوبهم في تيه ميدان المحبة هائمه
قامت قيامة عشقهم فنفوسهم أبداً على قدم التدلل قائمه
أما الى جنات وصلٍ دائماً أو نار صدٍ للقلوب ملازمه

^١ رابعة العدوية ص ١٦

^٢ رابعة العدوية ص ١٩

ابن الفارض سلطان العاشقين :

هو (أحد أقطاب العاشقين وأعظم شاعر صوفي في اللغة العربية على الإطلاق)^١

هكذا يصف ابو العلا عفيفي شاعر الحب الإلهي ابن الفارض .

لقد برز موضوع الحب الإلهي بصورة جديدة عند صوفي تميّز عن غيره من الصّوفية السابقين له هو عمر بن الفارض (٥٧٧ - ٦٣٢ هجرية) ، الذي عبّر عن حبه لرّبه عن طريق الشعر ، وكان هو الصّوفي العربي الوحيد الذي انطلقت روحه جيّاشة بالتعبير عن الحب الإلهي من خلال النظم شعراً وترك لنا ديواناً من الشعر يتنقل من يقرأه بين الصور الجماليّة الرائعة للحب الإلهي في أجلى صورته ، وأطلق عليه لقب (سلطان العاشقين)^٢

أليس هو القائل في تائيته الصغرى :

نعم بالصّبا قلبي صبا لأحبتني	فيا حبذا ذاك الشذى حين هبّت
سرت فأسرت للفؤاد غديّة	أحاديث جيران العذيب فسرت
مهيمنة بالروض لذنّ رداؤها	بها مرض من شأنه بُرء عتي
لها بأعيشاب الحجاز تحرّش	به لا بحمّر دون صحي سكرتي
تذكّرني العهد القديم ^٣ لأنها	حديثه عهد من أهيل مودتي ^٤

وحين تشتاق روحه ، وارواح العاشقين بشوق مستمر ، يقول :

^١ التصوّف ، الثورة الروحيّة في الإسلام ص ٢٢٧

^٢ ابن الفارض والحب الإلهي ص ١٠

^٣ العهد القديم اشارة الى قول الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) الأعراف ١٧١

^٤ ديوان ابن الفارض ص ٨٣

روحي للقاءك يا منها اشتاقت والأرض عليّ ، كاختيالي ، ضاقت
والنفس لقد ذابت غراماً وجوى في جنب رضاك في الهوى ما لاقت^١

ولأن ابن الفارض عاش الحب حتى أصبح حب الله سبحانه محور حياته ، بل
كل حياته ، راح يعدّ نفسه متفرداً بحبه ، بل انه قائد العشاق وامامهم :

قل للذين تقدّموا قبلي ومن بعدي ومن أضحي لأشجاني يرى
عني خذوا وبني اقتدوا ولي اسمعوا وتحدّثوا بصبابتي بين السورى

ويزداد الحب عند (سلطان العاشقين) ويزداد الوجد ويقوى ضيرام الجوى فلا
يطفى لظى القلب الا رؤية المحبوب ، ثم ان الذي سمعه موسى عليه السلام
بأنك لن ترى ، لا تنفع في حال ابن الفارض ، فشوقه وحبه من نوع خاص .

زدي بفطر الحب فيك تحيراً وارحم حشى بلظى هواك تسعراً
وإذا سألتك أن أراك حقيقةً فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى^٢

وحين يتحقق اللقاء يعيش العاشق لذّة الوصال والقرب :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرّ ارقّ من النسيم إذا سرى
وأباح طرفي نظرة أملتتها فغدوت معروفاً و كنت منكرا
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا^١

^١ ديوان ابن الفارض ص ٩٥

^٢ ديوان ابن الفارض ص ١٢٧

ويظل ابن الفارض يعيش لذة القرب ويشعر بجلاوة المنة الربانية والعطاء الإلهي
فيشدو :

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا
فيك معنى حلاك في عين عقلي وبه ناظري معنى حلاكا
فقت أهل الجمال حسناً وحسناً فبهم فاقه إلى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا

وفي هذه الأبيات ينصب ابن الفارض نفسه سلطاناً للعاشقين ، وإماماً ومرجعاً
المرجع الأول والأخير ، وان العشاق جمعاً لا بد ان ينهلوا من مشربه وإلا ، فهم
العطاشا وهو الساقى .

نسخت بحبي آية العشق من قبلي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل
وكل فتى يهوى فأني إمامه وإني بريء من فتى سامع العذل
ولي في الهوى علم تجل صفاته ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل
ومن لم يكن في عزة الحب تائهاً بحب الذي يهوى فبشره بالذل^٢

والحب الصوفي الذي طرفه رب العزة والجلال هو الجمال بل هو كل الجمال ،
وحينها يصير صعباً ان نختار الأجل والأحلى فكل ما يتصل بالله سبحانه جميل
وعذب .

لكن ... قصيدتان لابن الفارض كانتا مفعمتين بالجمال والرقه .
قصيدة "ته دلالاً" ، والتي يقول فيها :

^١ ديوان ابن الفارض ص ١٢٩

^٢ ديوان ابن الفارض ص ١٧٤

تَه دِلَالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِدَاكَ وَتَحَكَّمْ فَالْحُسْنُ قَدْ أَعْطَاكَ
 وَمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ اخْتَبِرْنِي فَاخْتِيَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ
 فَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَنْتَ مِنِّي بِي أَوْلَى إِذْ لَمْ أَكُنْ لَوْلَاكَ
 وَكَفَّيَانِي عِزّاً بِجُبُكَ دُؤْبِي وَخُضُوعِي وَلَسْتُ مِنْ أَكْفَاكَ
 وَإِذَا مَا إِلَيْكَ بِالْوَصْلِ عَزَّتْ نِسْبَتِي عِزَّةً وَصَحَّ وَلَاكَ
 فَاتِّهَامِي بِالْحُبِّ حَسْبِي وَأُنِّي بَيْنَ قَوْمِي أَعْدُو مَنْ قَتَلَاكَ
 لَكَ فِي الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ فِي سَبِيلِ الْهَوَى اسْتَلَدَّ الْهَلَاكَ^١

أما قصيدة "عذب بما شئت"، فكانت واحدة من أعذب ما أنشده سلطان
 العاشقين ، والتي جاء فيها:

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَحْدَاقِ وَالْمَهْجِ أَنَا الْقَتِيلُ بِلَا إِثْمٍ وَلَا حَرَجٍ
 لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ شَوْقاً إِلَيْكَ وَقَلْبٌ بِالْغَرَامِ شَجٍ
 وَأَضْلَعُ نَحَلْتُ كَادَتْ تُقَوِّمُهَا مِنَ الْجَوَى كَيْدِي الْحَرًّا مِنَ الْعَوَجِ
 وَأَدْمَعُ هَمَلْتُ لَوْلَا التَّنْفُسُ مِنْ نَارِ الْهَوَى لَمْ أَكْدُ أَنْجُو مِنَ اللَّجَجِ
 عَذَّبَ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ أَوْ فِي مَحَبِّ بِمَا يُرِضِيكَ مُبْتَهَجِ
 وَحُذِّ بَقِيَّةً مَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقٍ لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ إِنْ أَبْقَى عَلَى الْمَهْجِ
 مَنْ لِي بِإِتْلَافِ رُوحِي فِي هَوَى رَشَأُ حُلُومِ الشَّمَائِلِ بِالْأَرْوَاحِ مُنْتَرَجِ
 أَعْوَامٌ إِقْبَالِهِ كَالْيَوْمِ فِي قِصَرٍ وَيَوْمٌ إِعْرَاضِهِ فِي الطَّوْلِ كَالْحِجَجِ
 فَإِنْ نَأَى سَائِراً يَا مُهْجَتِي ارْتَحَلِي وَإِنْ دَنَا زَائِراً يَا مُقْلَتِي ابْتَهَجِي

^١ ديوان ابن الفارض ص ١٥٢

وابيضّ وجهه غرامي في محبته واسودّ وجهه ملامي فيه بالحجج
أنظر إلى كبدٍ ذابت عليك جوىً ومثقلةً من نجيع الدمع في الجُجج^١

ان صور الحب الإلهي في شعر ابن الفارض أكبر من أن تحصى وتعد ، وقوافل
الشعر ما كان لها ان تمضي دون ان تحط ركابها عند خيام ابن الفارض .
الصوفي الشاعر الذي أفنى حياته وهو يسعى للتقرب إلى الله .

^١ ديوان ابن الفارض ص ٩٧

أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج

محبُّ قتلته عشقه

حين ينبض القلب بالحب وتمتلئ به الروح ، ويضيق الكون بالحب فكلُّ ما حوله يذكّره بالحبيب ، حتى تصير كل المرئيات حوله انعكاساً لحبه ، ويصبح كل كلام يسمعه وكل همسٍ ، قصة تذكّره بعشقه ، ويكونُ الحبيب شكل الحياة وطعمها ، يستحيل البعد حينها الى سجن ويصبح البوح موت ، حينها ...

لا يبقى للمحب إلا ان يموت مقتولاً ... لعله يلتقي بمن أحب .
ومحاولة الولوج الى عالم الحلاج صعبة ، فحياته تتعدى منطق عالم الشهادة وتتعداه الى عالم الغيب وبما ينعكس في كتابات المتابع لحياته وشعره باتجاهات متباينة يحكمها مقدار استعداد الكاتب الذوقي ومقدار توغله في عالم النور ، ومن هنا كانت الصعوبة .

هو (ابو مغيث الحسين بن منصور المولود عام ٢٤٤ هجرية في قرية الطور شمال شيراز ، ثم ينتقل وهو طفل الى واسط مع أسرته ثم يغادرها الى تستر ثم البصرة ثم بغداد وبعدها الحجاز التي تردد عليها ثلاث مرات ثم طاف في الأرض حتى يصل الهند وتركستان واطراف الصين الغربية ثم يعود لبغداد)^١
وفي طرقات بغداد يسير والحيرة تلقّه وقد استغرقه حال من الوجد عجيب فيصرخ بين الناس :

(يا اهل الإسلام أغيثوني ، فليس يتركني ونفسي فأنس بها ، وليس يأخذني من نفسي فاستريح منها ، وهذا دلال لا أطيعه .

^١ انظر الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٩ - ٤٢

ثم أنشد :

حويت بكلّي كلّ كُلك يا قدسي تكاشفني حتى وكأنك في نفسي
أقلّب قلبي في سواك فلا أرى سوى وحشتي منه وانت به أنسي
فها أنا في حبس الحياة مُمنَعٌ عن الأُنس فاقبضني اليك من الحبس^١

والذي يلوح ان الحلاج عاش الحب بكل جوارحه ، بل وهب كل حياته لحبه ،
فهو يذكر حبيبه مع كل طلوع شمس ومع كل غروب ، ومع كل احساس
بالعطش يحس بعطشه لرؤية الحبيب ، فهو يذكر الحبيب في كل احواله .

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقروناً بأنفاسي
ولا خلوت الى قوم أحدثهم الا وكنت حديثي بين جلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رأيت خيلاً منك في الكاس
مالي وللناس كم يلحونني سَفْهاً ديني لنفسي ودين الناس للناس^٢

ثم ان حب الحلاج كالعطش الذي ليس بعده ارتواء ، فهو في عطش دائم
ومستمر ، يقول رحمه الله تعالى :

يا نسيم الروح قولي للرشا لم يزدني الورْدُ الا عطشا
لي حبيب حبه وسط الحشا ان يشا يمشي على خدي مشى
روحه روحي وروحي روحه ان يشا شئت وان شئت يشا^٣

^١ الحلاج فيما وراء المعنى ص ٤٤

^٢ ديوان الحلاج ص ٢٠

^٣ ديوان الحلاج ص ٢١

انه الحب له فعلٌ في قلوب العاشقين التي أدمنت الوجع والقلق والأسقام ، يقول
الحلاج :

ان ذكرتك كاد الشوق يقلقني وغفلتي عنك أحزان وواجعٌ
وصار كلّي قلوباً فيك واعية للسقم فيها وللأوجاع إسرأع^١

يقول الحلاج يصف مكان الحبيب بأنه وسط القلب يجري مجرى الدموع من
العين :

انت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من أجفاني
وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان^٢
وكدأب المحبين فالحلاج العاشق تملكه الحيرة ، والحيرة تلفُ العاشقين ، تلفُ
يومهم وغدهم ... يقول الحلاج عن حيرته في حبه :

عجبت منك ومني يا منية المتمني
أدنيتني منك حتى ظننت انك أني
وغبتُ في الوجد حتى أفنيتني بك عني
مالي بغيرك أنس من حيث خوفي وأمني
وان تمنيت شيئاً فأنت كل التمني^٣

أما لقاء الحلاج بحبيبه فهو مستمر ومنقطع في ذات الوقت ، قريب اليه بعيد
عنه في عين الوقت ... فلا هو غائب فيبحث عنه ولا هو قريب فيلذ اللقاء
ويطيب الوصل ... يقول الحلاج :

^١ ديوان الحلاج ص ٢٢

^٢ ديوان الحلاج ص ٢٧

^٣ ديوان الحلاج ص ١٠

لي حبيب أزور في الخلوات حاضر غائب عن اللحظات
ما تراني أصغي اليه بسمعي كي أعي ما يقول من كلمات
حاضر غائب قريب بعيد وهو لم تحوه رسوم الصفات^١

^١ ديوان الحلاج ص ١٦

جلال الدين الرومي

(هناك سبل كثيرة لتصل الى الله ... وانا اخترت الحب لأصل اليه)

الرومي

او كما يطلق عليه محبوه مولانا جلال الدين الرومي ،

قطب من أقطاب التصوف الإسلامي،

إليه تُنسب الطريقة المولوية، وإن كان الرومي ليس بصاحب طريقة بعينها، إذ إن الرومي إنسان كونيٌّ، يتجاوز كل الطرق والبناءات المذهبية والدينية، وكذلك الأعراق ، حتى لو تنازعه أهل إيران والأفغان باعتبار أصله البلخي، ولسان ديوانه ومثنويته الفارسية ، أو الأتراك باعتبار مقامه في (قونية)، أو العرب باعتباره إرثاً إسلامياً قرأ القرآن وتأمل القرب كما نصحه والده .

يقول عشاقه أنه كان شديد التبع للقران في حياته يقرأه بعشق وتأمل .

محبٌ واسعٌ وسع الكل بمحبته ونادى بمحبة الكون بأجمعه وبكل ما فيه ، أليس الإسلام دين للعالم ورسوله مبعوثٌ رحمة لكل العالمين ؟

ويوم التقى بشمس ذلك الصوفي المغرق بالغموض ، كان لقائه به اشبه بلقاء موسى النبي بالعبد الصالح القادم من اعماق المجهول ، حتى ان القران لم يطلق عليه اسماً .

وعن ذلك اللقاء سال الكثير من حبر الكاتبين حتى امتزج اللقاء بالخيال والاسطورة .

ويوم افترقا كان غروب شمس التبريزي بزوغاً لشمس شمس الإبداع الشعري والغزل الصوفي عند جلال الرومي .

ما الذي فعله ذلك الصوفي الساحر الغريب بأستاذ علوم الدين الورع الرصين حتى صار بجرأ زاخراً في الغزل الصوفي .

لقد صيّرهُ التصوف عاشقاً ... يقول ﷺ :

أمامك الف عام طريقاً لتصبح مسلماً
وألف سنة أخرى لتكون انساناً
فكان هذا كلام صوفي عارف لا مجتهد فقيه .
فالإنسانية جمعاء تلتقي في الإيمان ، لأن خالق الكون واحد ، أما الأديان فطرق
مختلفة ، لكن غايتها واحدة .
فلنكي يكون الآدمي مسلماً فعليه ان يرتقي بآدميته حتى يرى الإنسانية كلها في
شخصه ... وذاك سمو الروح .
لقد خلّف الرومي الشاعر تراثاً كبيراً من الشعر الصوفي ليصل لقراءة سبعين الف
بيت شعرٍ ، منها اربعون الف بيت في الغزل الصوفي والمحبة الالهية في كتابه
ديوان شمس ، والباقي توزع في الحكمة والفلسفة ضمنها كتابه المنوي .
يقول رحمه الله تعالى راسماً لمن حوله طريق العشق :
(العشق هو تلك الشعلة التي عندما اشتعلت أحرقت كل شيء ما عدى
المعشوق ، وأنت بسبب شوكة واحدة تفرّ من العشق ، فماذا تعرف عن العشق
ما خلا الاسم)
ويقول : ما مرّ ذكرك الا وابتسمتُ لهُ ... كأنك العيد والباقون أيام
وكذلك كانت للرومي علاقة بالموسيقى ، لكنها لم تكن علاقة ذوقية ، لأن
الروح لديه ناي قطع من قصباء الوجود الكلي فظلاً يعن حيناً الى أصله .
وكذلك كان له رقصة دائرية ترمز لحركة الكواكب والنجوم والمجرات والكون .
لقد فتح شمس تبريزي باباً على ما لا ينتهي أمام مولانا الذي ترك حلقة الافتاء
واعتزل المريدين وترك درس (القال) لتحيا روحه ويولد إنسانه بالعشق صحبة
السماع، وليجعل كل أيامنا أعياد ميلاد وبعث متجدد.
ولما حان الفراق وتبدد الشمل، كانت الثمرة قد نضجت وأزهرت شجرة الروح.
غنى الرومي ورقص، سجّل الأتباع حديث القمر، رُويت قصة العشق الكامل،

أُعلن ميلاد الإنسان الكوني.

رغم أن مولانا شكى من الشعر لأنه يقيدّه ويحدُّ من انطلاقه عن التعبير عما يريد؛ وشكى أن قومه يمتنون الشعر، وشكى أنهم يريدونه واعظاً يؤلّف عن الزهد ويشرح علوم الدين فحسب .

لقد طوّع مولانا الشعر ولوى أعنة الحروف فكتب عن حبه وبأكثر من لغة قصائد وضع فيها قوانينه ونظرته الكونية في حبِّ فاض فغمر كل من حوله ، كان ﷺ يرى الجمال في كل ما حوله ، والكتابة عنده موظفة لانطلاق الروح في عوالم قدسية في سماء القرب وعوالم النور ، فهو يقول :

(لم أنظّم لك المثنوي لتحفظه أو تعيده،

بل ابتغاء أن تضعه تحت قدميك لتستطيع الطيران)

وحين يعظم في قلبه الوجد ويفعل الحب بقلبه كما فعل في قلب الحلاج قبله ، يستعير بعض قول الحلاج ، فالمعاناة واحدة ووجع العشاق واحد .

يقول ﷺ :

أُقْتُلُونِي أُقْتُلُونِي يَا ثِقَات

يَا مُنِيرَ الْحَدِيدِ يَا رُوحَ الْبَقَا

لِي حَبِيبٌ حُبُّهُ يَشْوِي الْحَشَا

لَوْ يَشَا يَمْشِي عَلَيَّ عَيْنِي مَشَى

ويظهر تصرّف مولانا في هذه الأبيات بشكل واضح، إذ هو يستعير صوت الحلاج وجزءاً من كليمه للتعبير عن عشقه وتجربته .

وحين يجد ﷺ ان الكلمات تعجز عن وصف حاله او لا تتسع لشرح وجدّه ، يقول حينها :

(أخجل من الكلام عن محياك

والله أفعل فمي

ماذا يمكن أن تأخذ قرية من المحيط)

ويقول :

(إنني أفكر في القافية

ويقول حبيبي لا تفكر إلا في لقائي

مفتعلن مفتعلن قتلنتني)

وهكذا كلما كبرت المعاناة صارت العبارة أضيق والتعبير أصعب .

أما عن بداية علاقته بالشعر ، فهو يرجعها الى منُّ إلهي مرتبط بالإلهام حيث

يقول :

(فجراً جاءني من يغار من حسنه الملاك

مال على قلبي وبكى

بكى وبكىثُ إلى الصباح

سألني أئنا العاشق؟ غريبٌ أمرنا قال .

كان هناك دائماً كتابٌ مفتوحٌ بين يديّ

لكن الحبَّ منحني ناقوساً

ومن هذا الفم الذي لم يكن غير تراتيل

خرج سيلٌ قصائد وغزل ورباعي)

انه الحب ، وللهب أفعال بالقلوب عجيبة .

وله في العشق الإلهي

(قد أوحى الله لمحمد: أيها النبي لا تجالس إلا العشاق،

وابتعد عن غيرهم .

مهما أضاءت شعلتك العالم.

فالنار تموت بمرافقة الرماد.

ينعم المؤمنون والعادلون بالحياة الأبدية

الروح النقية تتقبل الموت ليست عقاباً أو ظلماً تلك الموت ، بل تجلٍ،

قبل الموت، كانت الروح تحتضر، تلك كانت آلامها.

اذهبوا بي عند موتي، سلموا معشوقي جسدي.

إن قبل شفتي الجافة، ثم رد إلي الحياة، لا تتعجبوا)

ومن قصيدة له بعنوان لا رفيق سوى العشق :

(لا حب أفضل من حب بدون حبيب،

ليس أصلح من عمل صالح دون غاية،

لو يمكنك أن تتخلى عن السوء والخذق فيه،

فتلك هي الخدعة الماكرة!

أنتصب والواحد الذي أنا

يستحيل إلى مئة مني

يقولون إني أطوف حولك هراء .

أطوف حولي

يطير طائر سموي نحو الجهة الأخرى من العالم

في اتجاه اللا اتجاه يطير

من بيضة السيمورغ كان مولده

فإلى أين يطير

قل لي إن لم يكن نحو السيمورغ

لا رفيق سوى العشق طريق،

دون بدء أو نهاية يدعو الرفيق هناك:

ما الذي يُهملك حين تكون الحياة محفوفة بالمخاطر)

ومن شعره المقفى عنه كتب :

يا ساقى المدامة حي على الصلا املاً زجاجنا بجميًا فقد خلا

جسمي زجاجتي ومحيّك قهوتي يا كامل الملاحاة واللفظ والعلا

إلا وفي الصدور تلاشى من البلا
حاشاك بل لقاءك أمن من البلا
فيها حمائم يتلقين ما تلا
حتى جلا فؤادي من أحسن الجلا
قد خاب من يكون من العشق خاليا
الورى أحياكم جلاي جلّ جلاليا
طوبى لمن يصير لمعناه تاليا

ما فاز عاشق بمحيّاك ساعة
الموت في لقاءك يا بدر طيب
لما تلا هوك صفاتٍ لمهجتي
أسقيتني المدامة من طرفك البهي
يامن لواء عشقك لا يزال عاليا
نادى نسيم عشقك في أنفـس
في وجنة المحب سطور رقيمه

ابن عربي ... والحب الإلهي

إذا حل ذكركم خاطري فرشت حدودي مكان التراب
وأقعدني الذل في بابكم قعود الأسارى لضرب الرقاب

الحب هو روح التصوف، وهو شعاره وِدثاره، والحال المشترك بين المتصوفة جميعاً، هو بداية البداية، كما أنه نهاية النهاية، وكأس المحبة لديهم تكمن فيها كل الأسرار والأنوار.

والحب عند المتصوفة، لا يمكن تحديده ولا تعريفه، ولا شرح حقائقه؛ وإنما يُحَدُّ باللفظ فقط، ويُعرف بالعرْف والاصطلاح، أو كما يقول محيي الدين: «مَنْ حَدَّ الحَبِّ ما عَرَفَه ، وَمَنْ لم يَدُقُّه شَرِبًا ما عرفه ، وَمَنْ قال: رَوَيْتُ منه ما عرفه فالحب شُرِبَ بلا رِيٍّ .

وهكذا هو الحب، حنين متجدد، وشوق مستمر، وظمأ دائم لا حَدَّ له ولا غاية؛ لأنه متجدد مع الأنفاس، فالشوق لا نهاية له؛ لأن أمر الحق لا نهاية له، فما من حالٍ يبلغها المحب إلا ويعلم أن وراء ذلك ما هو أتم وأوفى .

وما في الموجودات عند محيي الدين إلا محب ومحبوب؛ حتى السالب والموجب وهما قوام الوجود، حتى ذرات الطبيعة، إنما يمسكها الحب أن تزول أو تحول، ولولا تعشُّق النفس للجسم ما تَمَّ وجودهما، ولولا حب المعاني للكلمات ما امتزجا ولا عُرفا.

هو محيي الدين مُجَدِّ بن علي بن مُجَدِّ بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي .

وُلد ابن عربي في مرسية في الأندلس، عام ٥٥٨هـ، ما يوافق عام ١١٦٤م، وهو أحد أكبر المتصوفين في التاريخ وأشهرهم أيضاً، وهو فيلسوف من الفلاسفة المسلمين ومن أكثر رجال التصوف شهرة حتى لُقِّب بالشيخ الأكبر .

كان والد محيي الدين بن عربي عالماً من علماء الحديث والفقه، زاهداً تقياً ورعاً

متصوّفاً، وجدّه عالم وقاضٍ من قضاة الأندلس .

توجه ﷺ منذ طفولته لطلب العلم حتى حفظ القرآن الكريم وتفقه في الشريعة وبرز في علم الحديث .

كانت روحه الشريفة توافقة للبحث عن المعرفة وطلب القرب من الله سبحانه ، فترك الأندلس في نهاية القرن السادس الهجري، راحلاً إلى المشرق، ابتغاء للحج وزيارة البقاع المقدسة، لبدأ رحلة ملحمية روحانية عظيمة، استمرت لمدة تزيد عن العشرين عاماً، زار فيها بلاد الشام والحجاز ومصر وبلاد المغرب وأجزاء من الأناضول.

وقد اختتم ابن عربي رحلته تلك في بلاد الشام، عندما استقر في مدينة دمشق حيث قضى بها ما يقرب من سبعة عشر عاماً، وتوفي ودفن فيها في عام ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م وقد ترك الشيخ الأكبر تراثاً شعرياً ضخماً في موسوعته الضخمة المعنونة بالفتوحات المكية، كما تناثرت في بعض مؤلفاته الأخرى.

ويمكن أن نلاحظ أمرين أساسيين يميزان أشعار ابن عربي، وهما الرمزية ، وهذا ما عليه الصوفية عموماً في كتاباتهم وأدبهم الا انها عند الشيخ كانت تأخذ مساحة أكبر .

والميل للتسامح والتصالح مع الأديان والعقائد المختلفة مما جعل مساحة الحب عنده تتسع وتكبر حتى تشمل كل ما حوله .

من أهم قصائد ابن عربي المبلغزة، والتي تحتاج مجهوداً كبيراً في فهم ألفاظها ومفرداتها ومعانيها، تلك التي يقول فيها:

فلله قومٌ في الفراديسِ مذ أبت

قلوبهم أن تسكن الجوّ والسما

ففي العجلِ السرُّ الذي صدعت له

رعودُ اللظى في السفلى من ظاهر العجى

وأبرق برقٌ في نواحيه ساطعٌ
يجلُّهُ من باطنِ الرجلِ في الشوى
فأولُ صوتٍ كان منه بأنفه
فشتمته فاستوجبَ الحمدَ والثنا
وفاجأهُ وحيٌّ من الله أمرٌ
وكان له ما كان في نفسه اكتمى
فيا طاعتي لو كنتِ كنتُ مقرباً
ومعصيتي لولاكِ ما كنتُ مجتبي
فما العلمُ إلا في الخلافِ وسرّه
وما النورُ إلا في مخالفةِ النهي^١
كان الحب في فكر وكتابات الشيخ الأكبر تفرض نفسها على المتتبع لآثار
الشيخ ، كمنهج وتوجهه ، يقول رحمته :

شمس الهوى في النفوس لاحت
فأشرقت عندها القلوب
الحب أشهى اليِّ مما
يقوله العارف اللبيب
يا حبَّ مولاي لا توليَّ
عني فالعيش لا يطيب
لا أنس يصفو للقلب
إلا اذا تجلَّى له الحبيب^٢

^١ ديوان ابن عربي ص ٣٥

^٢ ديوان ابن عربي ص ٣٩

وينصح ﷺ المحبين بأن يرتقوا بحبهم ويرتقوا في اختيار الحبيب :

أحبُّ إذا أحببتَ من يدري ما
جئتُ به من شرفِ الحبِّ
ولا تضيع حقه إنه
في غاية البعد مع القربِ
وأحزنُّ عليه كالضلوعِ التي
قد انخنتُ خوفاً على القلبِ

عاصمته من كلِّ سوءٍ كما

قد عصم الساعدُ بالقلبِ^١

وحين يريد ان ييوح ﷺ بحبه ، ويتحدث عن حبيبه ، يكتب :

أحبتُّ شخصاً جميعُ الناسِ تعرفُهُ	من كانَ في بدوه أو كان في حضره
الشمسُ من نوره فالقلبُ منزله	والمسكُ في ريحه والشهدُ من أثره
إذا أعانته تسري الحياةُ به	في خده فيذوبُ القلبُ من خفره
لما بحثتُ عليه لا أراه سوى	ما قام بالنفس منه فهو من أثره
فما يهيمُ قلباً في الهوى أبداً	إلا تخيله لا غير من نظره
فبالخيالِ نعيمُ الناسِ أجمعهم	كما به الأملُ الآتي على قدره
إذا علمت بهذا قد نعمت بما	تشكو نواه إذا ما غاب في سفره ^٢

^١ ديوان ابن عربي ص ٤٩

^٢ ديوان ابن عربي ص ١٨٢

ان من خصائص العارفين تلك السعة التي خصَّهم الله بها ليحتوا ما شاء لهم
الله ان يحتوه ، وشيخنا تتمثل سعته في حبه فهو يحب كل ما حوله ، فمحبه
الله تعالى ملأته حتى فاضت فنجده يوجه في قصيدته ندائه لاحتضان روح المحبة ،
واستشفافها في كل شيء ، انها قصيدته المسماة "أدين بدين الحب" :

ألا يا حمامات الأراكة والبان	ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا	خفى صباباتي ومكنون أحزاني
أطارحها عند الأصيل وبالضحى	بحنة مشتاق و آنة هيمنان
تناوحت الأرواح في غيضة الغضا	فمالت بأفنان على فأفنياني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرغى لغزلانٍ وديراً لرهبانٍ
ويئت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ	وألواح توراةٍ ومصحف قرآنٍ
أدين بدين الحب أنى توجهت	كتائبه الفحْبُ ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هندٍ وأختها	وقيسٍ وليلى ثم ميسٍ وغيلانٍ ^١

وعندما يزيد به الوجد ، يبحث عن حبيبه ، انه الشوق الى اللقاء والشوق الى
الوصال :

أحبنا أين هم	بالله قولوا اين هم
كما رأيت طيفهم	فهل تريني عينهم
فكم وكم اطلبهم	وكم سألت بينهم
حتى أمنت بينهم	وما أمنت بينهم
لعل سعدي حائل	بين النوى وبينهم

^١ ترجمان الاشواق ص ٥٨

لتنعم العين بهم فلا أقول أين هم^١

ولوعة العاشق انه يرى محبوبه في كل شيء ولا يراه عياناً :

ان قلبي وخاطري صيراني كما ترى
أقطع الليل ساهراً اهجر النوم والكرى
وانيسي من يعمر ال بيدا لا يعمرُ القرى
وتجلى لناظري في سماء وفي الثرى^٢

ويعيط شيخنا اللثام عن محبوبه حين يجعل له ربطاً بالقران الكريم :

ان الذي هيمني حسنه من الذي هام ولا تدري
في سورة الأعلى وأمثالها كالفجر والليل اذا يسري
سبحان من جلّ فما مثله من أحدٍ الا الذي أدري
في سورة الشورى اتى ذكره وانه الان على ذكرى^٣
وله أيضاً :

قِفِ بِالْمَنَازِلِ وَإِنْدَبِ الْأَطْلَالَ
أَيْنَ الْأَحْبَبَةِ أَيْنَ سَارَتِ عَيْشُهُمْ
مِثْلَ الْحَدَائِقِ فِي السَّرَابِ تَرَاهُمْ
سَارُوا يُرِيدُونَ الْعُدَيْبَ لِيَشْرَبُوا
فَقَفَوْتُ أَسْأَلُ عَنْهُمْ رِيحَ الصَّبَا
قَالَتْ تَرَكْتُ عَلَى زُرُودٍ قِبَابَهُمْ
وَسَلِ الرُّبُوعَ الدَّارِسَاتِ سُؤَالَا
هَاتِيكَ تَقَطُّعُ فِي الْيَبَابِ أَلَا لَا
الْأَلُ يَعْظُمُ فِي الْعُيُونِ أَلَا لَا
مَاءً بِهِ مِثْلُ الْحَيَاةِ زُلَالَا
هَلْ حَيَّمُوا أَوْ إِسْتَضَلُّوا الضَّالَا
وَالْعَيْسِ تَشْكُو مِنْ سُرَاهَا كَلَالَا

^١ ترجمان الأشواق ص ١٨٦

^٢ ديوان ابن عربي ص ١٥٥

^٣ ديوان ابن عربي ص ١٩٠

قَدْ أَسْدَلُوا فَوْقَ الْقِيَابِ مَضَارِباً
فَإِنهَضَ إِلَيْهِمْ طَالِباً آثَارَهُمْ
فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَعَالِمِ حَاجِرٍ
قَرَّبْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَا حَتَّ نَازُهُمْ
فَأَنْخِ بِهَا لَا يَرهَبَنَّكَ أُسْدُهَا
فَإِنهَضَ إِلَيْهِمْ طَالِباً آثَارَهُمْ
وَأَرْقُلُ بِعَيْسِكَ نَحْوَهُمْ إِرْفَالاً
وَقَطَّعْتَ أَغْوَاراً بِهَا وَجِبَالاً
نَاراً قَدْ إِشْعَلْتَ الْهَوَى إِشْعَالاً
الإِشْتِيَاقُ يُرِيكُهَا أَشْبَالاً^١

ومن جميل ما قاله الشيخ (وان كان كل يقوله جميل) قصيدة عذبة يقول فيها:

يا حادي العيس لا تعجل بها وقفا
قف بالمطايا وشمّر من أزمّتها
نفسى تريد ولكن لا تساعديني
ما يفعل الصنّع النحرير في شغل
عرج ففي أيمن الوادي خيامهم
جمعت قوماً هم نفسى وهم نفسى
لا درّ درّ الهوى ان لم أمت كمدأ
ومن شعره في الوجد يقول :

ليت شعري هل درّوا

أي قلبٍ ملكوا

وفؤادي لو درى

أي شعبٍ سلّوا

^١ ترجمان الاشواق ص ٩٣

^٢ ترجمان الاشواق ص ٨٩

أتراهم سَلَمُوا
أم تُراهم هلكوا
حار أرباب الهوى
في الهوى وارتبكوا

وله ﷺ :

بأبي الغصون المائلات عواطفاً
المرسلات في الشعور غداً
الساحيات من الدلال ذلالاً
الباخلات بحسنهن صيانة
المونقات مضاحكاً ومباسماً
الحاليات بكل سحر معجب
الساترات من الحياء محاسناً
المبديات من الثغور لآلياً
المنشات من الدموع سحائباً
يا صاحبي بمهجتي خمصانة
نظمت نظام الشمل فهي نظامنا
يا صاحبي قفا بأكناف الحمى
حتى أسائلُ أين سارت عيشتهم
حتى وقفتُ بها برملة حاجرٍ
يقتادها قمرٌ عليه مهابةٌ
قمرٌ تعرّض في الطوافِ، فلم

والعاطفات على الحدود سوالفاً
اللينات معاقداً ومعاطفاً
اللابسات من الجمال مطارفاً
الواهبات متالداً ومطارفاً
الطيبات مقبلاً ومراشفاً
عند الحديث مسامعاً ولطائفاً
تسي بها القلب التقي الخائفاً
تشفي بريقتها ضعيفاً تالفاً
المسمعات من الرفير قواصفاً
اسدت الى اياديا ومعارفا
عريبة عجماء تلهي العارفا
من حاجرٍ، يا صاحبي، قفا قفا
فقد اقتحمتُ معاطباً ومتالفاً
فأريثُ نُوقاً بالأثيلِ حوالفا
فَطَوَيْتُ من حَدَرٍ عليه شراسفا
بسواهُ عندَ طَوافِهِ بي طائفاً^١

^١ ترجمان الأشواق ص ١٤٤

سمنون المحبّ

فإن شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

لقبوه بشمعة الحبّ المضیئة في عالم التصوّف ، وغلب عليه وصف المحبّ فصار يُعرف بسمنون المحبّ .

هو أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص توفّي سنة (٢٩٧هـ - ٩١٠م) ولد بمدينة البصرة وقضى أغلب حياته متعبداً في بغداد، عرف بمصاحبة كبار العلماء وأشهر المتصوفين في بغداد أمثال أبو الحسن سري الدين بن المغلس السقطي وهو أحد أهمّ أعلام التصوّف في القرن الثالث للهجرة، وأبو العباس القلانسي وهو من أشهر متكلمي السنة والإمام الجنيد الصوفي المعروف .

وكان رضي الله عنه ركناً مهماً من أركان الأدب الصوفي في مدرسة بغداد الشعرية في القرن الهجري الثالث في العصر العباسي الثاني .

فُعرف رحمه الله عنه زهده ونُسكه رغم حياة التناقض الفكري والاجتماعي في بغداد وقتها التي اجتمعت فيها حياة البذخ واللهو والترف الى جنب حياة الزهد والتقشف والتصوف .

في ذلك المجتمع المتناقض بذل سمنون المحبّ حياته من أجل الوصول إلى نور الله ليفنى فيه حباً وقرباً بعد الفناء عن نفسه حتى صار من أشهر ضحايا العشق الإلهي في التاريخ العربي الإسلامي .

وسمنون هو القائل :

فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَامْتَحَنِي
إِنْ كَانَ يَرْجُو سِوَاكَ قَلْبِي لَا نَلْتُ سُؤْلِي وَلَا التَّمَنِّي^١

^١ ديوان سمنون ص ٧

وتذكر بعض كتب السير انه تعرض الى ابتلاء بعد ان قال هذين البيتين ،
فَطَلَبُ المعافاةِ خيرٌ من الصبرِ على البلوى .

يروي احد اصحاب الحسن ابن مُحَمَّد الصوفي ببغداد انه (سمنون) كان في حال
اشتداد شوقه وهيجانه ينشد :

ضاعف علي بجهدك البلوى

وابلغ بجهدك غاية الشكوى

واجهد وبالغ في مهاجري

واجهر بها في السر والنجوى

فإذا بلغت الجهد في فلم

تترك لنفسك غاية قصوى

فانظر فهل حال بي انتقلت

عما تحب بحالة أخرى^١

(فعوقب بقطر البول ، فرأى في منامه كأنه يشكو حاله الى بعض المتقدمين
الصالحين فقال له - عليك بدعاء الكتاتيب - فكان بعد ذلك يطوف على
الكتاتيب ويده قارورة يقطر فيها بوله ويقول للصبيان : ادعوا لعمكم المبتلى
بلسانه)^٢

عاش سمنون الوجد وذاق الحب الإلهي الذي استغرق حياته ومَلِك نفسه وفاض
قصائد حب تحكي عن شوقه الى الله ووجدته به تعالى حتى غلب عليه حال
الحب وعُرف به حتى لُقِبَ ب (سمنون الحب) .

والمحبة عند سمنون تسبق المعرفة فالحب هو مبدأ الأمر ، ثم تأتي البقية فأحب
خالقه دون أن يفكر بالمعرفة بل انصب تفكيره كيف يحب أكثر، فأخلص

^١ تاريخ بغداد ٩ / ٣٣٤

^٢ المنتظم في تاريخ ١٣ / ١٢١

حياته في رحاب العشق الإلهي منسلخاً عن ملذات الدنيا زاهداً في طلبها
والسعي ورائها، فجاهد نفسه وتغلب عليها .
(كان سمنون أقيم في مقام المحبة ، وكان اذا تكلم فيها يكاد الصخر يتصدع ،
وكانت قناديل المسجد تتراقص من كلامه .
وتحدّث مرة فتكسرت القناديل من زهو ما سمعت ، وكان مستمعوه من الناس
يهيمون على وجوههم وتتولّه عقولهم .
حتى الطيور كانت تلعوها الدهشة والذهول من كلامه في الحب ، ونزل عليه
طير ذات مرّة وهو يتكلم في الحب فمشى بين يديه حتى قعد في حضنه ثم نزل
عنه وضرب بمنقاره البلاط ، فخرج منه الدم وبقي ينزف حتى مات .
سئل بعض الاكابر : ما بال كلام سمنون في المحبة يؤثر في قلوب الخلق ما لا
يؤثر كلام غيره ؟

فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة)^١

وكان الشعر عند سمنون تعبيراً عن فيض شوقه وحرقة وجده ولواعج عشقه ،
لذلك لم يكتب رحمه الله تعالى الا عن الحب الالهي .
وكان شعره ﷺ مقاطع لا تتعدى كلاً منها بضعة أبيات جرياً على عادة شعراء
التصوف في زمنه ، وكانت مقطوعاته الشعرية أبيات قليلة كأنها ومضات صحو
في دنيا التّيه والحيرة ، او لحظات بوح في عوالم عشق ضاربةً امواجها فليس لها
شيطان تلوح ولا حدود .

تزخر قصائد الشيخ سمنون بموضوعات الصد والجفاء والرجاء والوصال والصبابة
وعذابها ، في وحدة نسيج شعري بسيط تخلو مفرداته من غريب اللفظ ووحشيّه
، تستلهم جمالها من جمال المحبوب وجمال الغرض .

^١ مدارات صوفية ص ٤٨

رغم ان وصف حال العاشقين ووجدهم صعب فالكلمات لا تتسع لشرح
المعاناة او يضيق عن وصفها ، فكما يقول المحب سمنون :
(لا يُعَبَّرُ عن شيء الا بما هو أرق منه ، ولا شيء أرق من المحبة ... فبما يُعَبَّرُ
عنها)

وسمنون يحكي ان اعظم امانيه الرضا ، ان يشعر بأن الله عنه راضٍ ، بل يرضى
بأن يذكر الله سبحانه اسمه :

ولو قيل طأ في النار أعلم أنه رضى لك أو مدن لنا من وصالكا
لقدّمتُ رجلي نحوها فوطئتها سروراً لأني قد خطرْتُ ببالكا

والشاعر يعبر في هذين البيتين عن نار الشوق والوجد التي تكوي قلبه ، وان
وطأ النار ليس بشديد على من أدمن نار الحب وعذابها .

ويختلط الغزل بالشكوى عند شاعرنا اذ يقول :

أنت الحبيب الذي لا شك في خلدٍ منه فإن فقدتكَ النَّفسُ لم تعش
يا مُعطشي بوصالٍ أنت واهبُهُ هل فيك لي راحةٌ إن صحّتُ واعطّشي
ويقول في معنى قريب من ذلك :

وكان قلبي خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح
فلما دعا قلبي هواك أجابه فلسْتُ أراه عن فنائك يبرح
رُميت بين منك إن كنت كاذباً إذا كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيءٌ في البلاد بأسرها ذا غبت عن عيني بعيني يلمح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلسْتُ أرى قلبي لغيرك يصلح

ان ذكر الحبيب هو أصل الحب وحقيقته ، وإن كان قبل ان يطرق الحب الإلهي
قلبه يعتقد بأن ثمة حب يملأ قلبه الا انه تبين ان ليس في الوجود الا حب الله
سبحانه ، وان لا سرور ولا فرح الا بالقرب من الله ووصاله .
ومن جميل ما قاله رحمه الله تعالى :

أحترّ بأطراف النهار صباباً وبالليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفتني وشوقي زائدٌ كأنّ زمانَ الشَّقِّ ليسَ يغيبُ

فالشوق الى الله مستمر وثابت ويزيد .

ومما قاله يشكو وجده وهو يعلم بأن الشكوى لا تزيد القلب الا ألماً ، وان
العتاب يزيد ضرام الشوق

بكيث ودمع العين للنفسِ راحةً ولكنّ دمعَ الشَّقِّ يُنكأ به القلبُ
وذكرى لما ألقاهُ ليسَ بنافعي ولكنَّهُ شيءٌ يهيجُ به الكربُ
فلو قيلَ لي منْ أنت قلتُ مُعدَّبٌ بنارِ مواجيدٍ يضرمُها العتبُ
بليثٌ بمنْ لا أستطيعُ عتابهُ ويعتُبنى حتّى يُقالَ لي الدنْبُ

انه امتزاج التوجع بالشكوى مع الخوف والأدب ، كلها سيقت بنغمات يحملها
الخشوع ، بل هي بكاء ، بكاء الخائف من البوح ربما ، والبوح عند العارفين
حرام ، او ربما هو الخوف من تجاوز حدود الأدب في حضرة المحبوب ، فخوفهم
مزوج برجاء ، ورجاء يحكمه أدب ، وأدب يؤطره خوف .

أفديك بل قلّ أن يفديك ذو دنفٍ

هل في المذلة للمشتاق من عار

بي منك شوقٌ لو أن الصخر يحمله

تفطرّ الصخر عن مستوقد النار

قد دبّ حبّك في الأعضاء من جسدي

ديب لفظي من روحي وإضماري

ولا تنفّست إلا كنت مع نفسي

وكل جارحة من خاطري جاري

لم يتورع “سمنون المحبّ” لحظة في الإفصاح عن عشقه ، بل جعل من المحبّة مقاما تطيب فيه العبادة من أجل الوصول إلى مقام المقربين، فالمحبة عند سمنون هي تلك الأجنحة الخفيّة التي تطير به نحو نور الله الحقّ.

شغلت قلبي عن الدنيا ولذتها فأنت والقلب شيء غير مفترق

وما تطابقت الأحداق من سنة إلا وجدتك بين الجفن والحدق

صحيح أنّ العشق قد سكن قلب سمنون المحبّ ولكنّه كان أيضا مركزاً للتوحيد، فمن خلال هذا القلب العاشق يسعى المتصوف إلى إدراك أعلى المراتب والدرجات في التقرب من الله فحتى في النوم او محاولة النوم فالمحبوب حاضر فليس ثمة ابتعاد او فراق او بين :

يعاتني فينبسط انقباضي وتسكن روعتي عند العتاب

جري فيّ الهوى مذ كنت طفلا فمالي قد كبرت على التصابي

ان المحبة عند سمنون علاقة قدسية تتحدى الزمن ، فحبه كبير يتسع لطفولته وكبره ، كبير يتسع لكل العمر ، ويتسع لكل الأحوال فحتى العتاب يزيد الجوى فكل ما يتصل بالحبيب حبيب .

أنا راض بطول صدك عني ليس إلا لأن ذاك هواكا

فامتحن بالجفا صبري على الود ودعني معلقا برجاكا

وسمنون في حبه كباقي شعراء التصوف يعيش الحيرة فحبهم أكبر من ان يحتويه
عقل او يحدده زمان او يحكمه منطق ، انه حب لا حدود له ، أكبر من القلب
ومن الوعي ومن الشعور

كان لي قلبٌ أعيش به ، ضاع مَنِّي في تقلبه
رب فارده عليّ فقد ضاق صدري في تطلبه
وأغث ما دام بي رمقٌ يا غياثَ المستغيثِ به
انه البحث الدائم الذي يُؤججه الشوق .

وحين يكون الحب كالذي يعيشه سمنون ومن مثله يصبح الصبر صعباً او غير
جائز ، لأنه بُغْدٌ او انشغال :

أمسى بخدي للدموع رسوم
أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحسن في المواطن كلها
إلا عليك فإنه مذموم

وهكذا يمضي سمنون وهذا الحب الذي ملاءه وأبقى لنا هذا البوح الرقيق وهذه
الإعترافات من شاعرٍ تملكه حبه .

السهروردي المقتول

٥٤٩-٥٨٧ هـ / ١١٥٤ - ١١٩١ م

أَحَنَ لِذِكْرِهِ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ وَتَنَهَلْتُ عِبْرَاتٍ تَفِيضُ غُرُوبَهَا
حَيْنُ أُسِيرٍ نَازِحٍ شَدَّ قَيْدَهُ وَأَعْوَالِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبَهَا

شاعر محب وصوفي معروف ذاق مما شرب منه الحلاج فانتهى الى القتل الذي انتهى اليه الحلاج .

وحكاية شهاب الدين يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي لا تختلف كثيرا عن حكاية الحلاج ، فهي تجسّد لطبيعة الصراع بين الفردانية الحرة الباحثة عن آفاق تتسع للجميع وبين من لا يطبق ولا يسمح بهذه الحرية التي تهمّز - إن سُمح لها بالانتشار- الصورة النمطية التي أريد لها أن تكون هي صورة الاسلام السائدة غير القابلة لأي طيران خارج السرب ، بالشعارات ذاتها التي امتدت عبر القرون.

عاش شاعرنا رحمه الله تعالى للمحبة وتحدث بها ونظم شعراً بألفاظ سهلة ومعان واضحة تصب في بحر الروحانيات والتطلع الى المثل الأعلى وذكر المعرفة على صورة الخمر والنار والنور وما الى ذلك من اغراض الصوفية الفلسفية التي اجتمعت في هذا العارف .

وهو اضافة لديوان شعره الذي خلفه ، له تصانيف منها كتاب " التنقيحات " في أصول الفقه، وكتاب " التلويحات "، وكتاب " الهياكل "، وكتاب " حكمة الإشراف "، وله الرسالة المعروفة " بالغرابة الغريبة " على مثال " رسالة الطير " لأبي علي ابن سينا، ورسالة " حي بن يقظان " لابن سينا أيضاً، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها من اصطلاح الحكماء .

هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين، السهروردي الحكيم المقتول بحلب، وهو لم يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره. صوفي شاعر وطبيب وفيلسوف، يلقب بـ (الصوفي القليل) لأنه قُتل بأمر من صلاح الدين الأيوبي بعد أن اتهمه عدد من خصومه من علماء حلب بالكفر والخروج على السنة.

كما يسمى القليل للتمييز بينه وبين أبي النجيب السهروردي (عبد القهار بن عبد الله البكري، وابن أخيه عمر بن مُحمَّد بن عبد الله السهروردي صاحب كتابي عوارف المعارف و رشف النصائح الإيمانية . وقد انتقل شاعرنا من سهرورد وهي منطقة جبلية في الشمال الغربي من إيران ، تنقل رحمه الله تعالى الى اصفهان ثم الى مناطق في تركيا ثم الى الشام يطلب العلم ويتصل بالعلماء وانتهى به المطاف في حلب .

سنحاول ان نطوف مع الشاعر فنلقي الضوء على شيخ الإشراق السهروردي وهو ييوح في قصائده الصوفية عن حبه ووجدته وما يكابد من شوق ، ككل المتصوفة الذين يشتاقون الوصول إلى الحق، والاتصال بالنور الأسمى، كقوله:

أبدأ تحنُّ إليكم الأرواحُ	ووصالكم ريجانها والراحُ
وقلوبُ أهل وداكم تشتاكم	وإلى لذيذ وصالكم ترتاحُ
يا صاح ليس على المحبِّ ملامةٌ	إن لاح في أفق الوصال صباحُ
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى	كتمانهم فسمى الغرام فباحوا
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم	وكذا دماء البائحين تباحُ
ركبوا على سفن الوفا قدموعهم	بحرٌ وشدة شوقهم ملاحُ
حضرُوا وقد غابت شواهد ذاتهم	فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم	أبدأ فكل زمانهم أفرحُ

صافاهم فصفوا له فقلوبهم
 ودعاهم داعي الحقائق دعوةً
 من نورها المشكاة والمصباح
 فغدوا بها مستأنسين وراحوا
 أحفاهم عنهم وقد كُشفت لهم
 حجب البقا فتلاشت الأرواح^١

الفناء الصوفي فناء الذات والبقاء في الله، ويذكر في البيت الأخير أن سطوع
 النور الإلهي على النفس غيَّبها، ولم تبقى آثار من المادة والجسم والهيكل
 الخارجي، واختفى الوجود الذاتي لصالح الوجود العام بذوبان النفس في محبة الله،
 وبعض مما يقوله يشرح حاله وفِعْلُ الشوق في قلبه وجسمه :

كُلَّ يَوْمٍ يَرَوْعُنِي مِنْكَ عَتَبُ أَيِّ ذَنْبٍ جَنَاهُ فَيْكَ الْمِحْبُ
 إِنْ تَكُنْ أَحَدَثْتَ وَشَاتِي حَدِيثُ بِسَلْوِي هَوَاكَ حَشَايَ كَذْبُ
 وَضُلُوعِي هَا هَوَاكَ ضُلُوعَا بَلْ وَقَلْبِي هَا الْمِحْبَةَ قَلْبُ
 مُتُّ مِنْ جَوْرِ سَادَةٍ قَدْ أَحَلُّوا قَتَلَ مَنْ لَأْهُ سِوَى الْعَشِيقِ ذَنْبُ
 صَارَ لِي فِي هَوَاهُ زُبَّةٌ مَا حَازَهَا فِي هَوَاهُمْ قَطُّ صَبُّ
 عِبْرَاتٍ تَهْمِي وَجِسْمٍ نَحِيلٌ وَفُؤَادٌ عَلَى التَّقَاطِعِ يَصْبُو
 وَضُلُوعٌ مِنَ الْجَوَى وَاهِيَاتٍ وَدُمُوعٌ بِذَائِبِ الْقَلْبِ سَكْبُ
 إِنَّ عَيْنِي لِشَمْسٍ وَجِهَكَ شَرِقُ مَا لِدَمْعِي سِوَى الْجَفْنِ غَرْبُ

وفي لحظات الوصل يطيب اللقاء وتسمو الروح في لقاء طال انتظاره تطير في
 عوالم قدسية :

لِأَنْوَارِ نَوْرِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ أَنْوَارُ وَلِلسَّرِّ فِي سَرِّ الْمِحْبِينَ أَسْرَارُ
 وَلَمَّا حَضَرْنَا لِلشَّرَابِ بِمَجْلِسٍ وَخَفَّ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ أَسْرَارُ

^١ ديوان السهرودي ص ٥٨

وَدَارَتْ عَلَيْنَا لِلْمَعَارِفِ قَهْوَةٌ يَطُوفُ بِهَا مِنْ جَوْهَرِ الْعَقْلِ خَمَازُ
فَلَمَّا شَرِبْنَا بِإِقْرَاهِ فَمَهَا أَضَاءَ لَنَا مِنْهَا شُمُوسٌ وَأَقْمَازُ
وَكَاشَفْنَا حَتَّى رَأَيْنَاهُ جَهْرَةً بِأَبْصَارِ صِدْقٍ لَا يُوَارِيهِ أُسْتَارُ
وَخَالَفْنَا فِي سَكْرِنَا عِنْدَ نُحُونَا قَدِيمٌ عَلِيمٌ دَائِمٌ الْعَفْوِ جَبَّارُ
سَجَدْنَا سُجُوداً حِينَ قَالَ تَمَتَّعُوا بِرُؤُوسِنَا إِلَيَّ أَنَا لَكُمْ جَارُ^١

القهوة : اسم من أسماء الخمر تقلي شاربها عن الطعام والشراب ليذهب عن شهوته ويرمز الصوفيون بالخمر إلى شراب المحبة الإلهية .
وحين يزيد الوجد والشوق لا يجد المحب الا الألم والصبر وحرقة في الأحشاء لا يديرها الا من عرف الهوى وذاق الوجد :

إِذَا مَا أَتْنَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ
أَتْنَا بِرِيَاهِ مطَابَ فَطَابَ هَبُوهَا
أَتْنَا بِعَرَفِ خَالِدِ الْمِسْكِ عَنبرٍ
وَرِيحِ حُزَامِي بَاكَرْتَهُ جَنُوهَا
أَحْنُ لِدَكَرَاهُ إِذَا مَا دَكَرْتُهُ
وَتَنهَلُ عِبْرَاتُ تَفِيضُ غُرُوبَهَا
حَنِينُ أُسِيرٍ نَازِحٍ شَدَّ قَيْدُهُ
وَأَعْوَالُ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبِهَا

ومن رقيق شعره قوله في الغزل الصوفي :
يا مُثِيرِ النَّارِ مِنِّي فِي الْحَشَا أَنَا أَهْوَاكُ فَكُنْ كَيْفَ تَشَا

^١ ديوان السهروردي ص ٦٥

كيف يُحَى حب معنك الذي تخجل الأغصان منه ان مشى
يا قضيبياً ما رأينا مثله عُصناً في روضة العز انتشى
وله ايضاً قوله :

عَلَى الْعَقِيقِ اجْتَمَعْنَا نَحْنُ وَسَوْدُ الْعَيُونِ
أَظَنَّ مَجْنُونٌ لَيْلِي مَا جَنَّ بَعْضَ جُنُونِي
إِنْ مُتَّ وَجَدًا عَلَيهِمْ بِأَدْمَعِي غَسَلُونِي
نُوحُوا عَلَيَّ وَقُولُوا هَذَا قَتِيلَ الْعَيُونِ
أَيَا عُيُونِي عِيُونِي وَيَا جُفُونِي جَفُونِي
فَيَا فُؤَادِي تَصَبَّر عَلَى الَّذِي فَارَقُونِي

وعند الحديث عن الحب في الفهم الصوفي فنحن نتحدث عن أمرٍ غير الذي
ألفناه في الحب بين البشر ، انه حب يتجاوز الزمن فلا ماضٍ يحده ولا زمان
يعبر عن بدايته :

بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْمَوَدَّةِ نِسْبَةٌ مَكْتُومَةٌ عَن سِرِّ هَذَا الْعَالَمِ
نَحْنُ اللَّذَانِ تَعَارَفْتُمَا أَرْوَاحُنَا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ اللَّهِ طَيِّبَةً آدَمَ

وهذا الحب ناره لا دواء لها الا اللقاء والوصل او القرب ، يقول رحمه الله تعالى :

بِكُلِّ صُبْحٍ وَكُلِّ إِشْرَاقٍ أَبْكِي عَلَيْكُمْ بِدَمْعِ مُشْتَبَاقٍ
قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةَ الْهُوَى كَبْدِي فَلَا طَيِّبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
إِلَّا الْحَبِيبَ الَّذِي شَغَفَتْ بِهِ فَإِنَّهُ رَقِيَّتِي وَتَرِيَاقِي^١
وله رحمه الله تعالى :

وَمَا شَجَانِي أَنَّمَا يَوْمٌ وَدَّعْتُ تَوَلَّتُ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ حَائِزٌ

^١ ديوان السهروردي ص ٨٠

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ إِلَيَّ التَّفَاتَاً أَسْلَمْتَهُ الْمِحَاجِرُ

والحيرة التي تلت العشاق ، تفعل فعلها بشاعرنا ، حيث لا يدري غير انه يجب
بكليته ، وكل ما سوى ذلك مجهول :

قَدْ بَقِينَا مُذَبذِبِينَ حَيَارَى نَطْلُبُ الْوَصْلَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَدَعَاوَى الْهَوَى تَخَفَّ عَلَيْنَا وَخِلَافَ الْهَوَى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

وقلب الحب بشفافيته يسمو فيتجلى له الكثير ، وشاعرنا كأنه يحس بتلك
النهاية التي سيؤول اليها ، فكأنه يحاكي موته او ينتظره :

شَوْقِي يَجْلُ عَنِ الْوَسَائِلِ وَهَوَى يَنْزَهُ عَنِ مُمَائِلِ
شَوْقِي يُجَدِّدُهُ الزَّمَانَ إِلَيْكَ لَا نَحْوَ الْمَنَازِلِ
بُشِّرْتُ أَنَّكَ قَاتِلِي يَا حَبْدًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَ
رَوْدٍ فُوَادِي نَظْرَةَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ فَهَوَ رَاحِلِ
رُوحِي فِدَاءٍ مُبَشِّرِي إِنْ صَحَّ أَنَّكَ لِي مُوَاصِلِ
مُسْتَشْفَعٌ بِوَسَائِلِ وَأَلَدٌ مِنْ إِحْدَى الْوَسَائِلِ
سَهْرِي لِعَيْرِكَ ضَائِعٌ وَتَيْمَمِي بِسِوَاكَ بَاطِلِ

وما الهوى بمنكنم ، فالبوح يصبح احيانا ضرورة تفرض نفسها ، حين يفيض
الحب ولا تتسع له الروح ، حينها يفرض البوح نفسه :

مَا عَلَى مَنْ بَاخَ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا بِي لَيْسَ يَنْكِتُمُ
رَعَمُوا أَنِّي أُحِبُّكُمْ وَغَرَامِي فَوْقَ مَا رَعَمُوا

وتمضي رحلة شاعرنا مع شوقه ووجدته ومعاناته في الصبر والكنم ، وحين تكون
النهاية ، تكون ليس كما يعرفها الآخرون ، فهي البداية والولادة والانعتاق ، انه
بداية سفرٍ في رحلة الحب ، ولكنه سفر من نوع آخر وبطعم آخر وبشكل آخر

فالقَتيل ينشد قبل موته :

قل لأصحابِ رأوني ميتًا فبكوي إذا رأوني حزنا
لا تظنوني بأبيّ ميت ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفورٌ وهذا قفصي طرت منه وبقي مرثنا^١

أما بعد موته، فقد كتب كاتب على قبره بعد دفنه بظاهر حلب:

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرةً منه إلى الصدف

^١ ديوان السهرودي ص ١٠٣

أبو بكر الشبلي.. تاج الصوفية

يُحِبُّكَ قَلْبِي مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ يُحِبُّكَ عَظْمٌ فِي التَّرَابِ رَمِيمٌ

على درب الحقيقة المطلقة سار الى الله يغمره النور بعد ان ترك الدنيا وزهد
بالمناصب والألقاب .

سبح في بحار الشريعة بعد ان درس فيها فتفقّه على مذهب الإمام مالك ،
واغترف من علوم الحديث النبوي الشريف وروى فيه حتى شغلته العناية عن
الرواية .

تقلّب في مناصب الدولة حتى (صار والياً على البصرة ونهاوند)^١ وصار مقرباً
من الخليفة واتسع مجده وشهرته .

لكن المقادير كانت تدخر له من العناية مالم يدر بخلده .

كان البدء حضوره مجلس الصوفي العارف خير الدين السراج ، أحسّ الشبلي
بكلمات الشيخ تدخل قلبه وتغسل روحه فتورثه عطشاً شديداً وحيرةً ، ولما
طلب الاستزادة نصحه الشيخ بالتوجه الى بغداد حيث شيخ الطائفة الجنيد
البغدادي رحمته الله .

وحين وقع اللقاء كانت بداية الشبلي في السير الى الله بطريق القوم ، حيث
الحبة والزهد ، ثم الصفاء والقرب ، ثم اللقاء فالغناء .

فترك المناصب واكتفى بحرقه الشوق ونار الوجد والصبر على ما لا صبر عليه .

هو (جعفر بن يونس كما كُتِبَ على قبره ببغداد)^٢ .

ولد في سامراء عاصمة الخلافة العباسية يومئذ نحو سنة ٢٤٧ / ٨٦١ في السنة

^١ بحار الولاية ص ٣٧١ ، وفي ديوان الشبلي ص ٣٧ ان الشيخ الشبلي ولي الإمارة على
دُماند وهي من توابع طبرستان وكانت تقع على سفوح جبل دناوند الخصبه على مبعده
مائة كيلومتراً جنوبي طهران الحالية ، والتي فيها الى الآن قلعة يطلق عليها قلعة الشبلي .

^٢ انظر الطبقات ص ٣٣٧

التي قتل فيها الخليفة المتوكل ، من أب تركي الأصل يعود أصله الى قرية شبيلية التي ينسب اليها ، ولأن ابيه كان يشغل منصب حاجب الحجاب فقد نشأ شاعرنا في بيت الخلافة مع الأمراء ، (وكان خاله يشغل منصب أمير الأمراء في الاسكندرية وهو منصب لأكبر رجل بيده الأمر)^١ ، فكان منشأه في بيت عز وجاه وترف .

ولما تحلّى الشبلي رحمه الله تعالى عن المناصب والإمارة والسلطة ، وتوجه الى الله بفقره وزهده ، كان العطاء الرباني والكرم والجود ، ففيما يقوله الشيخ الجنيد رحمته الله : (لكل قوم تاج ، وتاج هؤلاء القوم الشبلي)^٢

نشأ الشيخ وعاش في بغداد وبها توفي ودُفن قرب ضريح ابو حنيفة النعمان يوم الجمعة في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٣٣٤ للهجرة .
يقول الشبلي رحمه الله تعالى :

عودوني الوصال والوصل عذب

ورموني بالصد والصد صعب

زعموا حين أزمعوا ذنبي

فرط حبي لهم وما ذاك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي

ما جزى من يجب إلا بحب^٣

ومنها قوله رحمته الله يصف وجدته وما يلاقيه لوعة :

^١ ديوان الشبلي ص ٣٧

^٢ تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٥

^٣ حلبة الأولياء ١٠ / ٣٧٦

أُقَلِّلُ ما بي فيك وهو كثير وأجُر دمعِي فيك وهو غزير
وعندي دموع لو بَكَيْتُ ببعضها لفاصَت بُحورٌ بعدهن بحور
فُبورُ الورى تحت التراب وللهى رجال لهم تحت الثياب قبور
سأبكي بأجفان عليك قَرِيحةً وأرنو بألحاظِ إِيكَ تُشير

وحين يصبح الحضور دائماً في حضرة المحبوب يصير النسيان صعباً او مستحيلاً
ويكون البعد مستحيلاً ايضاً :

ذكرتك لا أني نسيْتُكَ لمحَّةً وأيسرُ ما في الذكرِ ذكرُ لساني
وكدتُ بلا وَجِدِ أُموتُ من الهوى وهام عليَّ القلبُ بالخفقانِ
فلما أراني الوجدُ أنكَ حاضري شَهدْتُكَ موجوداً بكل مكانِ
فخاطبتُ موجوداً بغير تكلم ولا حظت معلوما بغير عيان^١
ومن جميل ما قاله يصف حاله في حبه القدسي :

يا موضعَ الناظرِ من ناظري

ويا مكانَ السر من خاطري

يا جملةَ الكُلِّ التي كُلتُها

أحبُّ من بعضي ومن سائري

تُراكَ ترثي للذي قلبُهُ

مُعلَّقٌ في مِخْلَبِي طائر

مولهُ حيرانُ مستوحش

يَهْرَبُ من قَفْرِ إلى آخر

يسري وما يَدري وأسرارُهُ

تسري كلمحِ البارقِ النائِرِ

^١ الديوان ص ١٠٢

في لُجِّ بَحْرِ الْفِكْرِ تَجْرِي بِهِ

لَطَائِفٌ مِنْ قُدْرَةِ الْقَادِرِ^١

وحين يكون الحب هو النور الذي يستنير به السالك ، فيكون كالبدر نوراً او
أكثر من بدر فهو دائم الإشراق دائم الوجود :

دَعِ الْأَقْمَارَ تَغْرِبْ أَوْ تُنِيرُ لَنَا بَدْرٌ تَذُلُّ لَهُ الْبُدُورُ

لَنَا مِنْ نَوْرِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ضِيَاءٌ مَا تَغْيِرُهُ الدُّهُورُ

وهذا الحب القدسي يسمو بالحب حيث حضرة القدس وحيث النور والصفاء
فيصبح السالك معروفاً غير مجهول :

قَالُوا تَنْقَبُ وَرُّرٌ فَقُلْتَ لَهُمْ

أَشْهَرُ مَا كُنْتَ حِينَ أَنْتَقِبُ

إِنْ عَرَفُونِي وَأَثْبَتُوا صِفَتِي

أَصْبَحْتَ دُرّاً وَالِدُرُّ يُنْتَهَبُ^٢

وحين تصبح كل اللحظات في البعد محض عذاب وألم ووجد ولوعة فلا حياة الا
في اللقاء ، واللقاء صعب :

أَنْتَ سَوْيٌ وَمَنِيَّتِي دُلَّنِي كَيْفَ حَيْلَتِي

قَدْ تَعَشَّقْتُ وَافْتَضَحْتُ نُوْءٌ وَقَامَتْ قِيَامَتِي

مَحْنَتِي فِيكَ أَنْنِي لَا أَبَالِي بِمَحْنَتِي

يَا شِفَائِي مِنَ السَّقَا م وَإِنْ كُنْتَ عَلْتِي

تَعْبِي فِيكَ دَائِمٌ فَمَتَى وَقْتُ رَاحَتِي

تُبْتُ دَهْرًا فَمَذَعَرَفْتُ تَكُ ضَيَّعْتَ تَوْبَتِي

^١ الديوان ص ١٠١

^٢ حلبة الأولياء ١٠ / ٣٧٢

قربكم مثل بُعديكم فمتى وقت راحتي^١
والشاعر يحس لفرط حبه بأن وجدته يفوق الآخرين ، فحبه يسمو على حب
الآخرين :

لقد فضّلت ليلي على الناس كالتّي على ألف شهرٍ فضّلت ليلهُ القدرِ
فيا حُبّها زدني جوى كلّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيام موعدك الحشر
ويبقى الوصال والقرب هو السعادة وهو الفرح ، وما عداه فجحيم وألم :
والهجر لو سكن الجنان تحولت

نعم الجنان على العبيد جحيما
والوصل لو سكن الجحيم تحولت

ناز الجحيم على العبيد نعيما^٢
وهذا الحب أكبر من الموت وأكبر من ان يحجبه حجاب :

إنّ المحبين أحياءٌ وإن دُفِنوا
في التُّرابِ أو غُرِقوا في الماءِ أو حُرِقوا
أو يُقتلوا بسيوفٍ وسط معركة
أو حتفَ أنفٍ وإن أضناهم الفرقُ
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم
يوما لكبّ له من بالحب يحترق^٣

ويظل البعد بمعنى القتل :

قال سلطان حبه أنا لا أقبل الرشا
فسلوه فديته لم يقتلي تحرّشا

^١ طبقات الصوفية ١٦٨

^٢ الديوان ص ١٢٣

^٣ الديوان ص ١١٣

ويبقى الصبر هو درب السالكين الى الله وعنوان رحلتهم :

عَبْرَاتُ خَطَطَنَ فِي الْخَدِّ سَطْرًا

قَدْ قَرَاهَا مِنْ لَيْسٍ يُحْسِنُ يَقْرَأُ

إِنَّ مَوْتَ الْمَحَبِّ مِنْ أَلَمِ الشُّو

قِي وَخَوْفِ الْفِرَاقِ يُورِثُ عُذْرًا

صَابَرَ الصَّبْرَ فَاسْتَعَاثَ بِهِ الصَّبْرَ

رُ فَصَاحَ الْمَحَبُّ بِالصَّبْرِ صَبْرًا

وللحبيب هيبة تعظم على كل ما سواها :

لَمَّا بَدَأَ طَالِعًا غَابَتْ لَهْيَيْتَهُ

شَمْسُ النَّهَارِ وَلَمْ يَطْلُعْ لَنَا قَمَرٌ

وتبقى معاناة المحبين ذلك البعد ولوعة الوجد والشوق :

رَأَيْتُ فَاوْرَانِي عَجَائِبَ لَطْفِهِ

فَهَمْتُ وَقَلْبِي بِالْفِرَاقِ يَذُوبُ

فَلَا غَائِبَ عَنِّي فَأَسْلُو بِذِكْرِهِ

وَلَا هُوَ عَنِّي مُعْرِضٌ فَأَغْيِبُ^١

ويصف الشاعر انشغاله بالحبيب عن كل ما حوله ، وحتى عن محدثيه :

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى

مَا كَانَ مِنْكَ وَحُبِّكُمْ شُغْلِي

وَأَدِيمُ نَحْوِ مُحَدَّثِي نَظْرِي

أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

والحيرة ، تلفُّ الشاعر كما لفت كل المحبين قبله وبعده :

^١ اللمع ص ٣٢٣

كما ترى حَيْرِي شَرَّدني عن وطني
إذا تغيَّبتُ بدا وإن بدا غيَّبني^١

ولغة الحب هي ذاتها ، لوعة وشوق ، وتحرق :

يا بديع الدَّلِّ والعَنَجِ لك سلطان على المهجِ
إن بيتاً أنت ساكنُهُ غيرُ محتاجِ إلى السُرجِ
وعليلاً أنت عائدُهُ قد أتاه الله بالفرجِ
وجهُك المأمولُ حجَّتْنا يوم يأتي الناسُ بالحُججِ
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرجِ

يقول الشيخ رحمته الله :

لستُ من جملة المحبين إن لم أجعل القلبَ بيته والمقاما
وطوافي إخالُهُ السيرَ فيه وهو زُكْنِي إذا أردتُ استلاماً^٢
وللحيرةِ وعنهما يكتب الشيخ وبنات اللوعة التي كتب فيها قبلاً :

أظلت علينا اليوم منك غمامةٌ أضاءت لنا برقاً وأبطأ رشاشها
فلا غيمُها يجلو فييأس طامعٌ ولا غيْثها يأتي فيروى عطاشُها

عندما يتسع الحب ويكبر ، ويستغرق الروح وكل الحواس ، يصبح كل ما حولنا

يذكرنا بالحب او يجرنا اليه ، فكل شيء جزء من ذلك الحب :

رُبَّ وِرْقَاءِ هتوفٍ في الضُحى ذاتِ شَجْوٍ صدحت في فننِ
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً فبكت حزناً وهاجت حزني
فبكائي ربما أرَّقها و بكاهها ربما أرَّقني

^١ الديوان ص ١٢٨

^٢ اللمع ص ٤٤٣

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
غير أنني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني
وقال عليه السلام في الحب ، وكل ما قاله في الحب :

باح مجنونٌ عامرٌ بهواه وكتمت الهوى ففُزْتُ بوجدي
وإذا كان في القيامة نودي أين أهلُ الهوى تقدّمتُ وحدي^١

ويظل شاعرنا رحمه الله تعالى يعيش بحبه ولحبه وتظل مسيرته رحلة وهجرة الى الله

^١ الديوان ص ٩٩

عفيف الدين التلمساني ٦١٠-٦٩٠هـ

جَادِ لِي بَدْرِي بِوَصْلِ يَا هَنَائِي نَلْتُ قَصْدِي
فَاجْتَمِعْ يَا مَاءَ عَيْنِي وَاَنْطَفِي يَا نَارَ وَجْدِي

من المغرب ، جاء يحمل حبه أو مبشراً به يصدح بالعشق ، عشقٌ بلا قوانين ، عشقٌ يتجاوز العقل وينبغي الروح ، عَزَفٌ على أوتار القلب بنغماتٍ من عالم قدسي ، عالم مملوء بالصفاء ومحكوم باللوعة والوجد .

هو واحد من كبار شعراء التصوف القادمين من المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين، يقول عنه القاضي شهاب الدين بن الفضل : لم يأت إلا بما خفّ على القلوب، وبرئ من العيوب، رقّ شعره فكاد أن يُشرب، ودقّ فلا غرو للقبض أن ترقص وللحمام أن يطرب. ، وابن العماد يقول : وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة .

ويعتبر ديوانه أشهر وأهم مؤلفاته التي تنوعت في مجالي التصوف واللغة. برع في تقديم شروح لعدد من نصوص الصوفية الرمزية والكشف عن أسرارها كمواقف النفري وتائية ابن الفارض وغيرها، وعلى هذه الأفكار نفسها يقوم شعر التلمساني الذي كَفَّرَ الشيخ ابن تيمية وكان من أشد الطاعنين في التلمساني، فأضاف بذلك جدلاً على جدل، فيما يخص أفكاره وشعره كليهما. انه شاعرنا الملقب ب (عفيف الدين) اسمه سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني ، شاعر صوفي ، كومي الأصل (من قبيلة كومة) ولد في الجزائر وتوفي ودفن في دمشق .

وللتلمساني ابن توفي شاباً وكان شاعراً كبيراً رقيق الشعر فصيح العبارة لُقِّب بالشاب الطريف .

والمتتبع لشعر عفيف الدين التلمساني يجد به وحدة نسيج من جمال متصل
يتفجر عبر قصائده حتى يصبح اختيار الأجل بينها صعب للجمال الطاغي
على أكثرها .

لقد كان التلمساني رغم اتهامات خصومه شاعراً كبيراً، وكان له شعر غزلي
يشرحه شرحاً صوفياً على طريقته، ولكن حتى هذا الشعر لم يسلم من نقد
علماء عصره.

كان رَحْلاً يذرع الأرض بحثاً عن لقاء بالحبيب او لحظة وصل ، وكذا حال
المحبين ، في قلق وحيرة وترحال ، فإن سكنت اجسامهم فقلوبهم بترحال وهيام .
ولد بتلمسان، ومات بدمشق، تنقل بآسيا الصغرى، وزار القاهرة وياشر بعض
الأعمال بالشام ، كان يشعر بقربه من ابن العربي فاتبع طريقه في التصوف .
ومن رقيق شعره :

إِذَا مَاسَ مَنْ يَهْوَاكَ تَيْهًا فَلَا عُتْبُ
وَمَنْ ذَا يَرَى ذَاكَ الْجَمَالَ فَلَا يَصْبُو
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُسْمَى بِذِكْرِكَ فَهَوَةٌ
وَلَا يَنْتَنِي تَيْهًا وَيَزْهُو بِهِ الْعُجْبُ
سَبَّيْتُ الْوَرَى حُسْنًا وَأَنْتَ مُحَجَّبُ
فَكَيْفَ بِمَنْ يَهْوَاكَ إِنْ زَالَتْ الْحُجْبُ
وَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقَ الْقُلُوبِ بِأَسْرِهَا
وَمَا ذَرَّةٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لَهَا قَلْبُ
إِذَا سَكِرَ الْعُشَّاقُ كُنْتُ نَدِيمَهُمْ
وَأَنْتَ لَهُمْ سَاقٍ وَأَنْتَ لَهُمْ شُرْبُ
وَإِنْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَمَالُوا صَبَابَةً
فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبُ

وَلَمْ لَا يَذُوبُ الْعَاشِقُونَ صَبَابَةً

وَوَجِدًا وَسُلْطَانَ الْمِلَاحِ لَهُمْ حَبٌّ^١

وللوعة البعد فعلها في قلب الشاعر ، فهو غريب وان كان وسط الناس فلا
حضور الا في لحظات اللقاء :

تَذَكَّرَ بِالْحِمَى قَلْبِي الطَّرُوبُ

لَيْلِي غَابَ عَنْهُنَّ الرَّقِيبُ

وَأَيَّامًا صَفَا عَيْشُ التَّصَابِي

وَمَنْ أَهْوَى نَدِيمِي وَالْحَبِيبُ

عَرِيبُ الْحَيِّ قَلْبِي فِي حِمَاكُمْ

نَزِيلٌ فِي دِيَارِكُمْ عَرِيبُ

رَحَلْتُمْ عَنْ حِمَى الْوَادِي سَحِيرًا

وَسِرْتُمْ وَهُوَ خَلْفَكُمْ جَنِيبُ

عَجِبْتُ لِنَارِكُمْ بَرَبْنَا الْمَصَلَى

وَمِنْهَا الصَّبُّ فِي نَجْدٍ يَذُوبُ

وَنَشْرِكُمْ عَلَى بُعْدٍ وَقُرْبٍ

إِلَى الْمِشْتَاقِ تَحْمِلُهُ الْجُنُوبُ

وَإِنْ أَرْجُوكُمْ وَأَخِيبُ كَلًّا

سِوَاكُمْ قَصْدُ رَاجِيهِ يَنْجِيبُ

وَيِي مَنْ لَا أُسْمِيهِ حَيَاءً

بِحُكْمِ حُضُورِهِ فَهُوَ الرَّقِيبُ

^١ ديوان التلمساني ص ٨٥

يَمِيسُ قَوَامُهُ فَيَكَادُ قَلْبِي

يَطِيرُ مِنَ اللَّذَّازَةِ إِذْ يَطِيبُ

والسكر في خمرة الحب تهيج لوعة الشاعر ، وتزيد الحرقه في روجه :

مِيَاكُ تَهْوَاهُ الْخُمَيَّا أَمَا تَرَى حَشَا الْكَاسِ فِيهِ جُدُوهٌ تَتَوَقَّدُ
وَلَوْلَا بُكَاهَا مَا بَدَا فَوْقَ حَدِّهَا دُمُوعٌ حَكَاهَا اللَّوْلُؤُ الْمَتَبِّدُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي فِتْنَةَ الْعِشْقِ قَبْلَهَا إِلَى أَنْ رَأَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ يُعْبَدُ
إِذَا مَا ارْتَشَفْتَ الرَّاحَ مِنْ نَعْرِ كَاسِهَا أَلَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الْكُونِ مُطْلَقًا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْكَ حُسْنٌ مُقْبَدُ
لَمَّا شَهِدْتُ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْرَةً وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَدُ
عَجِبْتُ لِكَاسٍ قَدْ صَحَّوَتْ بِشْرِبِهَا بِهَا أَبَدًا صَحْوِي عَلَى يُعْرَبُ
أَقَامَتْ عَلَيَّ الْحَدَّ أَسْمَاءُ ذَاتِهَا فَهَلَّا أُقِيمَ الْحَدُّ فَيَمُنَّ يُجَدُّ
رَأَوْا عِطْفَ لَيْلَى قَدْ تَثَنَّى فَأَشْرَكُوا وَقَدْ يَتَثَنَّى وَهَوُ فِي الْحُسْنِ مُفْرَدُ
فَإِنْ حَاوَلُوا مِنِّي الْجُحُودَ أَوْ الرَّدَى فَهَذَا دَمِي حِلٌّ لَهُمْ لَسْتُ أَجْحَدُ^١

ورغم اللوعة ورغم حرقه الوجد ، يبقى الوفاء شيمة الحب والإخلاص خلُقه ،

والنسيان ضرب من المستحيل او شكل من أشكاله :

عِيَاكَ إِنْ سَلَبْتَ نَوْمِي بِلَا سَبَبٍ فَالْتَّهَبُ يَا أُحْتِ سَعْدِ شَيْمَةُ الْعَرَبِ
وَقَدْ سَلَبْتَ رُقَادَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لِذَاكَ جَفُنُكَ كَسْلَانٌ مِنَ التَّعَبِ
هَلْ ذَاكَ لِأَمِيعِ بَرَقِ لَاحٍ مِنْ إِضْمٍ أَمْ ابْتَسَمْتَ فَهَذَا بَارِقُ الشَّنْبِ
وَ تِلْكَ نَارُكَ بِالْجِرْعَاءِ سَاطِعَةٌ أَمْ ذَاكَ حَدُّكَ وَهَاجٌ مِنَ اللَّهَبِ
لَا أَنْقَدَ اللَّهُ مِنْ نَارِ الْجَوْيِ أَبَدًا قَلْبِي الَّذِي عَنْ هَوَاكُمُ غَيْرُ مُنْقَلَبِ
إِنْ عَدَبْتُهُ بِنَارٍ مِنْ مَحَبَّتِهَا نَعَمْ فَذَاكَ نَعِيمٌ غَيْرُ مُحْتَجِبِ

^١ الديوان ص ١٧٩

مَنْ رَامَ ذِكْرَ سِوَاهَا يَلْتَمِسُ أَحَدًا
عَيْرِي فَذِكْرُ سِوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرْبِي
إِنْ حَدَّثْتَهُ الْأَمَانِي أَنِّي أَبَدًا
أَسْأَلُوا هَوَاهَا فَقَدْ أَصْعَى إِلَى الْكَذِبِ^١

ويظل الشاعر يلتمس لحبيبه الأعدار ، فالحب لا يحسن بألم الحب ولا بنار
الشوق اذ تكوي ، فالرضا حال المحب وان كان الموت من نتاج حبه :

لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمًا وَحَدِي
لَعَذَرْتُ عُدَّالِي عَلَى وَجْدِي
أَمَّا وَكُلُّ الْكَوْنِ يَعِشُهُ
فَعَلَامَ أَخْفِي فِيهِ مَا عِنْدِي
هَامَ النَّسِيمُ بِطُفْهِ فَلَدَا
ظَهَرَ أَعْتِلَالٌ فِي صَبَابِ نَجْدِ
وَلَهُ عَيْوُنُ الرَّهْرِ رَامِقُهُ
بِنَوَاطِرٍ مُلِمَّتْ مِنَ السُّهْدِ
يَا قَاتِلِي وَجَوَانِحِي أَبَدًا
تَشْتَأْفُهُ فِي الثَّرْبِ وَالْبُعْدِ
لَكَ أَنْ تَجُورَ عَلَيَّ يَا أَمَلِي
وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تُبْدِي
وَلَيْنَ أَرَأَقَ دَمِي هَوَاكَ فَيَا
شَرِّفِي وَيَا حَظِّي وَيَا سَعْدِي^٢
ويقول رحمه الله تعالى :

أنت الحبيب وإن سلبت رُقادي
لَا كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بِوَجْدِهِ
مَلَكَتْ حُدُودَكَ أَسْوَدِي فَمَاؤَهَا
وَأَطَعْتُ فِي تَعَرُّضِ الْحَسَادِ
لَا كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بِوَجْدِهِ
مَلَكَتْ حُدُودَكَ أَسْوَدِي فَمَاؤَهَا
فَسَمًّا بِسَالِفِ عَيْشَةٍ سَلَفْتُ لَنَا
لَا حِلْتُ عَنْ وَادِي الْأَنْثِيلِ بِسَلْوَةٍ
حَيِّي بِهِ مَاتَ السُّلُؤُ أَمَا تَرَى
تُنْسِي عُهُودَ أَهْيَلِ ذَاكَ الْوَادِي
وَمُحَجَّبٍ مَا الْوَجْدُ فِيهِ مُحَجَّبًا
لُبْسَ الْجُفُونِ عَلَيْهِ ثَوْبَ حِدَادِ
مَهْمَا أَنْتَى فَأَنَا الطَّعِينُ بِقَامَةٍ
عَنْ عَادِلِي وَلَا التَّصْبُرُ بَادِي
هَيْفَاءَ تَهْرَأُ بِالْفَنَاءِ الْمِيَادِ

^١ الديوان ص ١٢٧

^٢ الديوان ص ٢٢٦

وَأِذَا رَنَا فَأَنَا الْقَتِيلُ بِمَقْلَةٍ نَجْلَاءَ أَمْضٍ مِنْ حُدُودِ حَدَادٍ^١

وله ايضاً :

بَدَا عَلَّمٌ لِلْحُبِّ يَمْتُّ نَحْوَهُ
فَلَمْ أَنْقَلِبْ حَتَّى احْتَسَبْتُ بِهِ قَلْبِي
بَلَوْتُ الْهَوَى قَبْلَ الْهَوَى فَوَجَدْتُهُ
إِسَاراً بِلَا فَلَكَ سُقَاماً بِلَا طِبِّ
بِرُوحِي حَبِيبٌ لَا أُصْرِحُ بِاسْمِهِ
وَكُلُّ مُحِبٍّ فَهَوٍ يُكْنِ عَنِ الْحُبِّ
بِرَائِي هَوَاهُ ظَاهِراً بَعْدَ بَاطِنِ
فَجَسَمِي بِلَا رُوحٍ وَقَلْبِي بِلَا لُبِّ
بِكُلِّ طَرِيقٍ لِي إِلَيْكَ مَنِيَّةٌ
كَأَنِّي مَعَ الْأَيَّامِ بَعْدَكَ فِي حَرْبِ
بَكَيتُ فَقَالُوا أَنْتَ بِالْحُبِّ بَائِحٌ
صَمْتُ فَقَالُوا أَنْتَ خُلُوٌّ مِنَ الْحُبِّ
بَقِيْتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌّ بِهِ لَوْعَةٌ
تُقَلِّبُهُ الْأَشْوَاقُ جَنباً إِلَى جَنْبِ
بَلَعْتُ الْمَنَى مِمَّنْ أَحَبُّ بِحُبِّهِ
وَلَا بُدَّ لِلْمَرْئُوبِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ^٢

^١ الديوان ص ١٨٥

^٢ الديوان ص ١٢٤

ذو النون المصري ... الصوفي السائح

١٧٩ هـ - ٢٤٥ هـ

لك من قلبي المكان المصون
كل لوم عليّ فيك يهون
لك عزّم بأن أكون قتيلاً
فيك والصبرُ عنك مالا يكون

رخال تنقل بين البلاد يبحث عن الحقيقة ، أليف الصحارى وأدمن التنقل بين القفار بسفر في دروب السالكين ينشد الوصول الى حبيب تاقت نفسه للقاءه . جعل التقرب إلى الله منتهى رغبته، ومعقد أمله ومقصده، وغاية مراده ومنيته، زاهداً متاعه عشقه وصبر يتوكأ عليه كلما أحسّ بتعب المسرى والترحال . لم يكن زاهداً وعابداً عابراً في تاريخ التصوّف ومسيرته، بل كان من أصحاب الأذواق والمواجيد وأرباب المعرفة والرأي والفقہ . فكتب اسمه في ديوان العاشقين .

تقلبت أحواله حتى اختلف عليه الناس . واختلفوا فيه ، حتى انه ﷺ تم حبسه بأمر من الخليفة فاقْتيد من مصر الى بغداد حيث قُضي عليه بالحبس ، ثم اطلق سراحه بأمر من الخليفة فعاد الى مصر حيث توفي بعدها في الجيزة . سافر الى مكة ودمشق وزار النسك المقيمين الى الجنوب من انطاكيا ، وطالت رحلاته وكثر سفره مما اكسبه تضلعاً في التنسك وكبح جماح النفس .

(اسم شاعرنا الفقيه المحدّث ابو الفيض ذو النون بن ابراهيم المصري)^١
(تحدّث عن اسفاره فقال :لقد حصلت في اول اسفاري علماً يرضي الخاصة والعامّة ، وحصلت في ثانيها على علم يرضي الخاصة دون العامّة ، وفي ثالث

^١ العالم العابد ذو النون ص ١٩

اسفاره يقول حصلت على علم لا ترضى به لا الخاصة ولا العامة فغدوت طريداً شريداً .

لقد حصلت في الأولى على التوبة ، وهي مقبولة عند الخاصة والعامة ، وفي المرة الثانية حصلت على التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهي شؤون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة ، وفي المرة الثالثة وصلت الى الحقيقة التي تسمو على العلم والعقل فأعرضا عنها ولم يتقبلاها^١

وصفه المناوي في كتابه (الكواكب الدرية) بأنه (العارف الناطق بالحقائق، الفائق للطرائق، ذو العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة، والنفس العاملة، والهمم الجليلة، والطريقة المرضية، والمحاسن الجزيلة المتبعة، والأفعال والأقوال التي لا تخشى منها تبعة، زهت به مصر وديارها، وأشرق بنوره ليلها ونهارها).

وقال الدار قطنى عنه: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظاً .

له رحمه الله تعالى قصائد جميلة تعكس رقة عشقه وقوة إيمانه .

يقول في احدى قصائده :

أموتُ وما مائتُ إليك صَبَابِي

ولا قَصِيْتُ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

مُنَايَ الْمَنَى كُلُّ الْمَنَى أَنْتَ لِي مُنَى

وَأَنْتَ الْغِنَى كُلُّ الْغِنَى عِنْدَ أَقْتَارِي

وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي

وَمَوْضِعُ آمَالِي وَمَكْنُونُ اضْمَارِي

تَحْمَلُ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أَبْتُئُهُ وَإِنْ

^١ احلى قصائد الصوفية ص ٩٣ - ٩٤

طَالَ سُقْمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْكَ مَالِكٌ قَدْ بَدَا
 وَمَنْ يَبْدُ بَادِيَهُ لِأَهْلِ وَلَا جَارِ
 وَبِي مِنْكَ فِي الْأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامِرِ
 فَقَدْ هَدَّ مَنِّي الرُّكْنَ وَأُنْبِتَ إِسْرَارِي
 أَلَسْتَ دَلِيلَ الرُّكْبِ إِنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
 وَمُنْتَقِدَ مَنْ أَشْفَى عَلَيَّ جُرْفِ هَارِي
 أَنْزَلْتَ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ
 مِنَ النُّورِ فِي أَيْدِيهِمْ عَشْرَ مِعْشَارِ
 فَتَلَّنِي بَعْفُو مِنْكَ أَحْيَا بِقُرْبِهِ
 أَغْنَيْنِي بِبَيْسَرِ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَارِي

ويقول رحمه الله تعالى :

توجع بأمراض وخوف مطالب	وإشفاق محزون وحزن كئيب
ولوعة مشتاق وزفرة ألم	وسقطة مسقام بغير طيب
وفطنة جوال وبطأة غائص	ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
ألمت بقلب حيرته طوارق	من الشوق حتى ذل ذل غريب
يكاظم لي وجداً ويخفي حمية	ثوت فاستكنت في قرار لبيب
خلا فهمه عن فهمه لحضوره	فمن فهمه فهم عليه رقيب
يقول إذا ما شفه الشوق وأجدى	بك العيش يا أنس المحب يطيب
فها لعمرى عبد صدق مهذب	صفى فاصطفى فالرب منه قريب

ويقول يشكو الوجد وعذاب البعد :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

ويقول عليه السلام يصف فعل الود :

من ذاق طعم الوداد حمى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد قلى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد سلى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد أنس برب العباد

ويشكو ما فعل به الجوى والحب فأنشد يقول :

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع

ولركن جسمك كيف لا يتضعض

فاكحل بلمول السهاد لدى الدجى

إن كنت تفهم ما أقول وتسمع

منع القرآن بوعدده ووعيدده

فعلى العيون بليها أن تهجع

فهموا عن الملك الكريم كلامه

فهماً تذل له الرقاب وتخضع

وحين سئل عليه السلام عن المحبة قال : هِيَ الَّتِي لَا تَزِيدُهَا مَنَفَعَةٌ ، وَلَا تَنْقُصُهَا مَضَرَّةٌ

ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

شَوَاهِدُ أَهْلِ الْحَبِّ بَادٍ دَلِيلُهَا

بِأَعْلَامِ صِدْقٍ مَا يَضِلُّ سَبِيلُهَا

جُسُومٌ أَوْلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَى

تَبِينُ عَنْ صِدْقِ الْوَدَادِ نُحُوهَا

إِذَا نَاجَتِ الْأَفْهَامُ أَنْسَ نُفُوسِهِمْ
بِالْسِنَةِ تَخْفَى عَلَى النَّاسِ قِيلَهَا
وَضَجَّتْ نُفُوسُ الْمُسْتَهَامِينَ وَاشْتَكَّتْ
جَوَى كَانَ عَنْ أَجْسَامِهَا شَرِيْلَهَا
يَحْنُونَ حُزْنًا ضَاعَفَ الْخَوْفَ شَجْوَهُ
وَنِيرَانُ شَوْقٍ كَالسَّعِيرِ عَلَيْهَا
وَسَارُوا عَلَى حُبِّ الرَّشَادِ إِلَى الْعَلَى
فَوْمٌ بِهِمْ تَقْوَاهُ وَهُوَ دَلِيلُهَا
فَحَطُّوا بِدَارِ الْقُدْسِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ
وَفَازَ بِزُلْفَى ذِي الْجَلَالِ حُلُوهَا

أبو حمزة الخراساني

متصوف زاهد، وشاعر رقيق العبارة، جم المعاني، له أشعار في مختلف معاني الزهد، وتعد قصيدته الفائية (هوانا حجازي) من أجمل قصائده وأرق ما قاله في شكوى الحب، والابتهاال إلى الله، ففيها من براعة اللفظ، وحسن السبك، ودقة المعنى وحرارة العاطفة، ما جعلها تتردد على الألسنة على مر العصور.

وأبو حمزة الخراساني، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه: (من أفتى المشايخ وأورعهم)، وقال عنه ابن عساكر بأنه: (من مشايخ الصوفية المعروفين، كان ورعاً دينا)

ينسب إلى خراسان، وقيل هو دمشقي، صحب مشايخ بغداد، وأقام بمكة وكان من علمائها المشهورين، وهو من أقران الجنيد، أخذ الطريقة الصوفية عن أبي تُراب النخشي، وأبي سعيد الخراز، وكانت وفاته سنة ٢٩٠ هـ.

له أقوال مشهورة في الزهد والعبادة ، منها:

(من نصح نفسه كُرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه)

(من استشعر ذكر الموت حُبب إليه كل باق، وُبغض إليه كل فان)

(هبيء زادك للسفر الذي بين يديك، فكأني بك وأنت في جملة الراحلين عن منزلك، وهبيء لنفسك منزلاً تنزل فيه، إذا نزل أهل الصفوة منازلهم، لئلا تبقى متحسراً)

يقول أبو حمزة الخراساني:

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي

وسري بيدي ما يقول له طرفي

نهابي حيائي منك أن أكشف الهوى

وأغيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبديت شاهدي
إلى غائبي واللفظ يدرك باللفظ
ترأيت لي بالغيب حتى كأنما
تبشرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبني من هيبتي لك وحشة
فتؤنسني باللفظ منك وبالعطف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه
ومن عجب كون الحياة مع الحتف
فيا شوق رفقا بالذي أنت مشعل
فلوعتك الحرى تجلّ عن الوصف
ويا قلب هذا موعد لمتيم
تفيض دموع العين منه ، ولا تكفي
ويا نفس هبت من رياض أحبتي
نسائم جادت حفلا من شذا العرف
تراوحنا ربا الصبا في هبوبها
فأنشق منها ما يقبله طرفي
هوانا حجازي و نجد هي المنى
واصباحنا المأمول يخفي ولا يخفي
معنى وما بين الأضالع سورة
غوائلها ترتج في هزة الرجف
وماض لما أسعى إليه ، كأنني
أسير على ظلي وأسعى إلى حتفي
فلو أبصرتني أعين مستهامة

لفاضت مآقيها دما ساخن الوكف
وكيف أهاب الزحف أو أرهب السرى
إذا كان من أهواه مولاي في الزحف
أمولاي صبرني على ما أصابني
فأنت الذي تكفي وأنت الذي تعفي
ولا تجعلن جبل العذاب مخلدا
ولا كالذي عذبت قارون بالخسف
وها أنا أخفي الدمع والسر بين
بوجهي ، وتأبى المقلتان سوى الذرف
يبين لساني عن فؤادي وربما
أسرّ لساني ما يبوح به طرفي

القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني ... الباز الأشهب

٤١٧-٥٦١ هـ / ١٠٧٨-١١٦٦ م

الامام محيي الدين عبد القادر الجيلاني أحد الذين نالوا مكانة رفيعة في تاريخ التصوف، ووضعوا قواعد طريقتهم الصوفية، التي نشرها أتباعه بعد وفاته في بغداد سنة ٥٦١ هـ .

لم يكن الامام الجيلاني شاعراً بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما كان (كما يرى المؤرخون) الشعر عنده أداة تناسب التعبير عن المعاني الصوفية .
ولد الإمام الجيلاني في جيلان وراء طبرستان ، سنة ٤٧١ هـ وعاش ومات في بغداد ولم تعرف له أية دواوين مطبوعة، ولا مخطوطة، وإنما بضعة قصائد متفرقة هنا وهناك .

وفي شعر الجيلاني الحنبلي المذهب الذي عمل بالتدريس والإفتاء، نجد حقائق التصوف وقد إختبأت بين حروف الكلمات، ويشار إليها تلويحاً وتلميحا لنفس الأسباب، التي جعلت شعر الصوفية رمزياً .

ومن أهم قصائد ديوان الجيلاني رائعته المعروفة باسم الوسيلة، وتقع في ٤٨ بيتاً، وهي تعبير عن فرط المحبة وفيضان الوجد، وقد عمد الامام فيها إلى الرموز الصوفية كالخمر والحان والكأس، وغير ذلك من الرموز الحسية، التي طالما أشار بها الصوفية لمعانيهم الذوقية.

ومن بعض ما جاء في قصيدته رحمته التي تمثل أحد روائع الشعر الصوفي:

وَلَمَّا صَفَا قَلْبِي وَطَابَتْ سِرِّي
وَنَادَمَنِي صَخْوِي بِفَتْحِ الْبَصِيرَةِ
شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْوَلَايَةِ
وَقَدْ مَنَّ بِالْتَّصْرِيفِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
سَقَانِي إِلَهِي مِنْ كُؤُوسِ شَرَابِهِ
فَأَسْكُرُنِي حَقًّا فَهَمْتُ بِسُكْرِي
وَحَكَمَنِي جَمْعَ الدِّانِ بِمَا حَوَى
وَ كُلُّ مُلُوكِ الْعَالَمِينَ رَعِيَّتِي
وَفِي حَانِنَا فَادْخُلْ تَرَّ الْكَأْسِ دَائِرًا
وَمَا شَرِبَ الْعُشَّاقُ إِلَّا بَقِيَّتِي

زُفَعْتُ عَلَى مَنْ يَدْعِي الْحُبَّ فِي الْوَرَى
 وَجَالَتْ خِيُولِي فِي الْأَرْضِي جَمَعَهَا
 وَدُقَّتْ لِي الرِّيَاثُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 أَنَا كُنْتُ فِي الْعُلْيَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ
 شَرِبْتُ بِكَاسَاتِ الْعَرَامِ سُلَافَةً
 وَصِرْتُ أَنَا السَّاقِي لِمَنْ كَانَ حَاضِرًا
 وَلِي نَشَأَةٌ فِي الْحُبِّ مِنْ قَبْلِ آدَمِ
 أَنَا الْعَاشِقُ الْمَعْشُوقُ فِي كُلِّ مُضْمَرٍ
 فَمَنْ كَانَ يَهْوَانَا يَجِي لِمَحَلَّنَا
 مُرِيدِي لَكَ الْبُشْرَى تَكُونُ عَلَى الْوَفَا
 مُرِيدِي تَمَسُّكَ بِي وَكُنْ بِي وَائْتَفَا
 وَكُنْ يَا مُرِيدِي حَافِظًا لِعُهُودِنَا
 وَمَنْ كَانَ فِي حَالَتِهِ مُتَوَاضِعًا

فَفَرَّبَنِي الْمَوْلَى وَفُزْتُ بِنَظَرَةٍ
 وَزُفْتُ لِي الْكَاسَاتُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 وَأَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَعْلَمُ سَطُوتِي
 وَفِي قَابِ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الْأَحِبَّةِ
 بِهَا انْتَعَشَتْ رُوحِي وَجَسَمِي وَمُهَجَّتِي
 أُدِيرُ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ
 وَسِرِّي سَرِي فِي الْكُونِ مِنْ قَبْلِ نَشَأَتِي
 أَنَا السَّمَاعُ الْمَسْمُوعُ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ
 وَيَدْخُلُ حَمِي السَّادَاتِ يَلْقُ الْعَنِيمَةَ
 وَإِنْ كُنْتُ فِي هَمِّ أَغْنِكَ بِهَمَّتِي
 لِأَحْمِيكَ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
 أَكُنْ حَاضِرَ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْوَقِيعةِ
 مَعَ اللَّهِ عَزَّتْهُ جَمِيعُ الْبَرِيَّةِ

ومن شعره قدس الله سره :

مَا فِي الصَّبَابَةِ مَنَهْلًا مُسْتَعْدَبُ
 أَوْ فِي الْوِصَالِ مَكَانُهُ مَخْصُوصَةٌ
 وَهَبْتُ لِي الْأَيَّامُ رُوثًا صَفْوَهَا
 وَغَدَوْتُ مَخْطُوبًا لِكُلِّ كَرِيمَةٍ
 أَنَا مِنْ رِجَالِ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ
 قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَجْدٍ رُبْنَةٌ
 أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلَأُ دُوحَهَا
 إِلَّا وَلي فِيهِ الْأَلْدُ الْأَطْيَبُ
 إِلَّا وَمَنْزِلَتِي أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
 فَحَلْتُ مَنَاهِلَهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ
 لَا يَهْتَدِي فِيهَا اللَّيْبُ فَيَحْطُبُ
 رَبِّبَ الزَّمَانِ وَلَا يَرَى مَا يَرْهَبُ
 عُلوِيَّةٌ وَبِكَلِّ جَيْشٍ مُوَكَّبُ
 طَرِبًا وَفِي الْعُلْيَا بَارُ أَشْهَبُ

أَصْحَتْ جُيُوشُ الْحَبِّ تَحْتَ مَشِيَّتِي طَوْعاً وَ مَهْمَا زُمْتُه لَا يَعْزُبُ
مَا زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيَادِينِ الرِّضَا حَتَّى بَلَغْتُ مَكَانَهُ لَا تُوهِبُ
أَصْحَى الزَّمَانِ كَحَلَّةٍ مَرْقُومَةٍ نَزَهُو وَنَحْنُ لَهَا الطَّرَازُ الْمِدْهَبُ
أَقَلْتُ شُمُوسَ الْأَوَّلِينَ وَنَمْسُنَا أَبْدأَ عَلَى فَلَكِ الْعُلَى لَا تَعْرُبُ

وقال عليه السلام :

رُفِعَ الْحَجَبُ عَن بُدُورِ الْجَمَالِ مَرْحَباً مَرْحَباً بِأَهْلِ الْجَمَالِ
مَلَكُونِي بِحُبِّهِمْ وَرَضُوا عَن عَبْدِ رِقِّ فَسُدْتُ بَيْنَ الْمَوَالِي
عَامَلُونِي بِلُطْفِهِمْ فِي عَزَامِي فَحَلَى فِي بَصَائِرِ النَّاسِ حَالِي
فَرَّخُونِي بِصَرْفِ رَاحِ هَوَاهُمِ فَتَرَبَّيْتُ فِي حُجُورِ الدَّلَالِ
إِنْ أَرَادُوا الصَّدُودَ يَفْنِ وَجُودِي رَحْمُونِي وَأَنْعَمُوا بِالْوِصَالِ
وَإِذَا مَا ضَلَلْتُ عَنْهُمْ هُدُونِي هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَوَالِي
سَادَتِي سَادَتِي بِحَقِّي عَلَيْكُمْ إِنِّي عِنْدَكُمْ عَزِيْزٌ وَعَالِي
مَا بَقِيَ لِي حَبِيبٌ قَلْبِ سِوَاكُمْ مَاتَ وَهَمِي بِكُمْ وَبَانَ حَيَالِي
بِحَيَاتِي عَلَيْكُمْ يَا سُقَاتِي رَوْقُوا الْكَأْسَ إِنْ حَيِّيَ مَلَالِي
وَأَدِيرُوا الْكُتُوسَ بَيْنَ النَّدَامِي فَجَمِيعُ الْأَنَامِ سَكْرَى بِحَالِي

القطب الرباني السيد احمد البدوي .. ذو اللثامين

كانت رحلته في الحياة طويلة، قضى طفولته وشبابه في الترحال، وذلك عندما قرر أبوه أن يخرج بأسرته كاملة إلى الحج في سفر استمر أربع سنوات، وكانوا يستريحون في كل بلد يمرون به وبذلك قضى الطفل شطرا من حياته في مصر قبل الوصول لمكة، حيث حج وعمره إحدى عشرة سنة عام ٦٠٧ هـ وأقام بمكة قبل زيارته للعراق.

وفي مصر سكن الشيخ البدوي سطح دار لتاجرٍ يسمى ابن شحيط ، ولم يكن يبرحه حتى عرفه الناس باسم (السطوحي) ، وكان في عزلة دائمة، وصمت مطبق، وعندما أقبل عليه المحبون علمهم أن يكون صمتهم فكراً ونطقهم ذكراً ونظرهم عبرة، وأن يتخذ كل منهم حرفةً يأكل بها من عمل يده لأن العرق يطهر الجسد من الخطايا تماماً كما يطهره الضوء.

إنه القطب الرباني أحمد بن علي إبراهيم البدوي قدس الله سره ، المولود في فاس بالمغرب سنة ٥٩٦ هجرية والمتوفى في طنطا سنة ٦٧٥ هجرية بعد ٧٩ عاما من الزهد والتصوف والمحبة .

وله عليه السلام من قصيدة جميلة اللافت فيها تكرار كلمة إلهي في مطلع أبياتها وذلك للتدليل على افتقار الشيخ الى رحمة الله وإلحاحه بالطلب من مولاه عز وجل ، ثم ان سياق تلك القصيدة تسير بسلاسة وانسيابية وبمفردات بسيطة وبعيدة عن الفلسفة ، وهذه بعض أبيات قصيدة الشيخ رحمه الله تعالى :

إلهى أنت للإحسان أهلاً	ومنك الجود والفضل الجزيل
إلهى بات قلبي في هموم	وحالي لا يُسرُّ به خليل
إلهى تُبِّ وجد ورحم عُبيداً	من الأوزار مدمعةً يسيل
إلهى ثوب جسمي دنسته	ذنوب حملها أبداً ثقيل

إلهى جُدد بعفوك لي فإني
إلهى حقني باللطف يامن
إلهى خانني جَلدي وصريري
إلهى داووني بدواء عفوي
إلهى رَدني برداء أنس
إلهى سيدى سندی وجاهي
إلهى شتت جيش اصطباري
إلهى صرتُ من وجدى أنادى
إلهى ظاهراً أدعوك ربي
إلهى عافني من كل داءٍ
إلهى غافر الزلات يا من
إلهى فاز من ناداك ربي
إلهى قُلت ادعوني أجبكم
إلهى كيف حالي يوم حشرٍ
إلهى لا إله سواك ربي
إلهى مسني ضُرُّ فأضحى
إلهى نجني من كل كرب
إلهى والني خيراً وأحبين
إلهى يا سميع أجب دعائي
وصلّ عليه ربي كل وقت
وكذا الآل والأصحاب ذوى

على الأبواب منكسرٌ ذليلُ
لك الغفران والفيض الجزيلُ
وجاء الشيب واقترب الرحيلُ
به يشفى فؤادي والغليلُ
وأبسني المهابة يا جليلُ
فمالي غير عفوك لي مُقبلُ
هموم شرحها أبداً يطولُ
أنا العاصي المسيء أنا الذليلُ
كذلك باطنا أنت الجليلُ
بجاه محمدٍ نعم الخليلُ
تعالى ماله أبداً مثيلُ
أتاه الخير حقاً والقبولُ
فهالك العبد يدعو يا وكيلُ
إذا ما ضاق بالعاصي مقبلُ
تعالى ولا تمثله العقولُ
به جسمي يبلبله التحولُ
ويسر لي أموري يا كفيلاً
ختامي عندما يأتي الرسولُ
بطه من تسير له الخمولُ
صلاة لا تحول ولا تزولُ
وفي طي الكلام همُّ الفحولُ

القطب الرباني ابراهيم الدسوقي

ليس معروفاً بشكل دقيق تاريخ انتقال عائلته الى دسوق ، والتي يعني أسمها الحوض الممتلئ بالماء، والذي يكاد يفيض بما فيه والراجح ان الانتقال تم في حياة أبيه أبي المجد، وذلك لأن أغلبية المصادر تتحدث عن ولادته في دسوق نفسها.

ورغم عدم وجود تحديد دقيق لتوقيت ولادته ، إلا أن أغلبية المصادر تؤكد ان ولادته في عام ٦٥٣هـ، كما تؤكد على أن أباه قد دفع به منذ سن مبكرة إلى سلك التعليم الديني، فحفظ القرآن كاملاً، كما درس الفقه على مذهب الشافعي، وذلك قبل أن يدخل في خلوته التي مارس فيها الانقطاع للعبادة والدعاء بعيداً عن الناس .

انه القطب الرباني الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز أبو المجد ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ م - ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦) ، إمام صوفي مصري ، وأحد أقطاب الولاية الأربعة لدى الصوفية، وإليه تنسب الطريقة الدسوقية. لقب نفسه بـالدسوقي، نسبة إلى مدينة دسوق بشمال مصر التي نشأ فيها وعاش بها حتى وفاته، أما أتباعه فقد لقبوه بالعديد من الألقاب، أشهرها برهان الدين وأبا العينين

ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وجده لأمه هو أبو الفتح الواسطي خليفة الطريقة الرفاعية في مصر، ولذلك كانت له علاقة بالصوفية منذ صغره، كذلك تأثر بأفكار أبو الحسن الشاذلي، وكان على صلة بالقطب الرباني الشيخ أحمد البدوي بمدينة طنطا الذي كان معاصراً له .

وكان الدسوقي قد تولى منصب شيخ الإسلام في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري

من شعره قدس الله سره :

تجلى لي المحبوب في كل وجهة
وخاطبني مني بكشف سرائري
فأنت مناي بل أنا أنت دائماً
فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته
وغيبني عني فأصبحت سائلاً
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً
خبأت له في جنة القلب منزلاً
أنا شمس إشراق العقول ولم أفل
وبي قامت الأنباء في كل أمة
ولا جامع إلا ولي فيه منبر
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه
أنا كنت مع نوح بما شهد الوري
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة

فشاهدته في كل معنى وصورة
فقال أتدري من أنا قلت منيتي
إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
لذاتي عن ذاتي لشغلي بغييتي
لذاتي بذاتي وهي غاية بغييتي
ترفع عن دعد وهند وعلوة
ولا غبت إلا عن قلوب عمية
بمختلف الآراء و الكل أمتي
وفي حضرة المختار فزت ببيعتي
أجدد فيها حلة بعد حلة
وسرى في الأكوان من قبل نشأتي
على الحرة البيضاء في خلويتي
بلطف عنايات وعين حقيقة
بحاراً وطوفاناً على كف قدرة
أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة

القطب الرباني السيد احمد الرفاعي صاحب العلمين

(١١١٨ م / ٥١٢ هـ - ١١٨٢ م / ٥٧٨ هـ)

هو السيد أحمد أبو العباس بن علي بن يحيى حتى يصل النسب الشريف الى مُجَدِّ الباقِر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
ولد الإمام أحمد الرفاعي سنة ٥١٢ هـ في العراق في قرية حسن بالبطائح (والبطائح عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة) وفي السابعة من عمره توفي أبوه في بغداد فكفله خاله الشيخ الزاهد منصور البطائحي (دفين بلدروز-العراق) وهو الذي رباه تربية دينية .

نشأ الإمام أحمد الرفاعي منذ طفولته نشأة علمية وأخذ في الانكباب على العلوم الشرعية، فقد درس القرآن العظيم وله من العمر سبع سنين ، وتنقل قدس الله سره بين مختلف العلوم الشرعية حتى برع في العلوم النقلية والعقلية، وأحرز قصب السبق على أقرانه .

ولقب عليه السلام بأبي العلمين، أي الظاهر والباطن .

والسيد أحمد الرفاعي كان شافعي المذهب وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق وكان فقيهاً محدثاً مُفسِّراً وكان أعلم أهل زمانه ،

وكان عليه السلام يُضرب به المثل في التواضع والانكسار ولين الجانب

من شعره قدس الله سره :

يا نؤوم الليل في لذاته أن هذا النوم رهن بسهر
ليس ينساک وأن نسيته طالع الدهر وتصريف الغير
أن ذا الدهر سريع مكره أن علا حط وأن أوفي غدر
أوثق الناس به في أمنه خائف يقرع أبواب الحذر
وقال رضي الله عنه :

ودولة الفضل غنت لي على علمي
حتى الزمان اتاني راجيا هممي
ودولتي حكمت في العرب والعجم
اذا معلق لختام الامر في خيمي
مظهر الشمس مربوط على علمي
تألأت ذاته الحسناء في حرمي
وحالتي انفردت في جملة الامم
ترغوا فشدوا بالحال من كلمي
اجابني سرها باللوح والقلم
لأقبلت بصنوف الخير والنعيم
ذكرت ببحر غار من عظمي
بإذن ربي يسعى لي على القدم
واشطح بذكري بين البان والعلم
من البحار نجا من حالة العدم
ودراه في بقاع الارض كالعلم
اجاد واستخرج الاسلام من ظلم
بيرقع من طراز الغيب منتظم
مشى على الارض في سيف وفي حزم
ينبيك عني ما قد قلته بفمي
خير البرية في بدئي ومختمي
والتابعين لهم في منهج الكرم

مظاهر الانس دقت لي على نغمي
واقبل السعد يسعى طالبا مددي
ونوبتي ضربت في الارض واشتهرت
وكوكب المجد عندي لاح فهو
ولمعة الشمس في باي قد انعقدت
وبارق الغيب في بيضاء زاويتي
هلال سلطان عزى للوجود بدا
سقيتهم من حميا خمري سكروا
وصحت في شطحة الاكوان منفردا
فلو ذكرت بارض لا نبات بها
ولو ذكرت بنار قط ما لهبت ولو
ولو دعوت لميت قام لي ومشى
لك الهنا يا مريدي لا تحف ابدا
اذا دعاني مريدي وهو في لجج
انا ابن من كان في البطحاء مجلسه
انا ابن من قام يهدي للوجود وقد
انا ابن فاطمة الزهراء التي حجبت
انا ابن حيدرة الكرار اشجع من
انا الرفاعي فسل عني وعن مددي
الآن تم نظامي بالصلاة على
والآل والصحب والاتباع سادتنا

عبد الغني النابلسي

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي شاعر سوري وعالم بالدين والأدب ورحالة مكثّر من التصنيف. ولد ونشأ وتصوف في دمشق.

قضى سبع سنوات من عمره في دراسة كتابات "التجارب الروحية" لفقهاء الصوفية.

وكان لهذه الشخصية شأن في أواخر القرن الحادي عشر وصدر القرن الثاني عشر. .. كان لها شأن يوم كان التصوف يخلق لأصحابه ألوف الألوف من المريدين والأتباع، فكان عبد الغني النابلسي شغل الناس في مصر والشام والحجاز والعراق .

ولد النابلسي في دمشق سنة ١٠٥٠، وتوفي بها سنة ١١٤٣ وكان فيما يظهر من أخباره متفوقاً في اللغة والدين والتصوف، فترك فيما يقال نحو مئة مصنف، أكثرها في الفقه والتوحيد والحديث.

نظم في شعر الحب الإلهي كما كتب في موضوعات التصوف الأخرى .

ومن شعره :

لما تجلى وما يختار نختار	قد صرت كلي قلوبا فيه تختار
وإن نظرت فكلي فيه أبصار	والكل مني له الأذان مصغية
بها نور ونار ولا نور ولا نار	غيب تحجب في الأكوان فهو
فلا شيء سواه وعنه الكل آثار	وهو الوجود التزيه الصرف عز
كما يريد وكانت منه أغيار	إذا أراد بدا ذلك المراد به
تحفى وتبدي فكتمان وإظهار	والكل في علمه لكن إرادته
عمن سواه به كل الورى حاروا	جل المهيمن في تقديس حضرته
وذاك منه تسايح و أذكار	لا ذنب للعقل هذا قدر طاقته
فمؤمن هو أولا فهو كفار	لكنه إن يكن بالعجز معترفا

إذ ليس للحق مع شيء مناسبة
ومن جميل شعره :

طلعة كلها جمال
حال زال مال آل
زان عشاقها الكمال
طال صال عال غال

دور

نحن آيات وجهها
صاح احب ساح طاح
لا تحم حول شبهها
لاح راح فـاح ناح

دور

صلّ ربي على النبي
فاق راق ساق شاق
منه عبد الغني حي
حـاق تاق لاق ذاق

دور

وعلى الآل والصحاب
باه وجاه شاه تاه
وذوي القرب والخطاب
سـاه واه فـاه لاه
ومن شعره رحمه الله تعالى :

ولا بوجه فكالصدق إنكار

إن بدت تفتن الجميع
كل شيء إلى الفنا
يتهنى بها الخليع
للمسرات والهنا

ليس ندري بكنهها
من إلى نحوها دنا
من ترى ذاك يستطيع
طائر الشوق بالمنى

أحمد المصطفى الهمام
مغرم القلب بالغرام
رفعة الجاه والمقام
كلما غرّد الحمام

من حووا رفعة الجناب
كل من غيرهم أجاب
من غدا برقمهم لميع
بسواهم من اعتنى

حوّلوا عني من الكون لثاماً
يا أحبائي وبثوا نوركم في
فاجعلوني كيف ما كنت بكم
يا جميل الوجه إحسانك لي
عن يمين الحيّ قوم نزلوا
كل من يعرفهم ينكر من
ثم منّوا بتجليهم على
هذه محبوبة القلب بدت
وتدانت فتدلت وعلت
وسواها هي في برقعها
برقع الظلمة والنور لمن
أيها الركب الذي ودّعنا
قف بسلع وروابي رامة
خذ إلى الحيّ سلامي فعسى
صدق القول فما أفرها
لا تقل يا سعد هذا جبل
واصنع الفلك بتقواك ولا
وتلاقينا على النور وقد
صارت النفس هي القلب هنا
واتخذنا واتخذنا سررا

وامنحوني من سنا الوجه الثاماً
جميعي واكشفوا عني الظلاماً
أول الأمر انمحقا وانعداما
إن أرى وجهك بي بدرا تماماً
يستظلون من القلب خياماً
نفسه معهم وجود وارتساماً
جمليتي حالا وقالا ومقاماً
تلبس الدهر لنا عاماً فعاماً
وغلت قدرا وجلت أن تسامى
حيث سمته خواصا وعواماً
كان مأموماً ومن كان إماماً
سائراً يقطع بيذا و آكاماً
إن قلبي ذلك الجانب راماً
يبعث الحيّ إلى الميت سلاماً
وهي بالعبء لنا ترمى السهاماً
إن طغى الماء به نلت اعتصاماً
تأمن الطوفان موجاً والتظاماً
كشفت عني الجلايب العظاماً
حيث ما زجت بها القوم الكراماً
نتكي سرّاً عليها لن نضاماً

ابن الخيمي

٦٠٢-٦٨٥ هـ / ١٢٠٥-١٢٨٦ م

تلميذ ابن الفارض، والابن الروحي لهذا الشاعر الصوفي الأشهر.

ولد شهاب الدين ابن الخيمي في اليمن، وعاش معظم حياته التي امتدت اثنين وثمانين عاما في مصر، حتى توفي سنة ٦٨٥ هـ ..

كتب ابتداء شعر الغزل ، صحب ابن الفارض الذي عامله معاملة الوالد لولده ، الذي تأثر به وسار على نهجه ونهج أقرانه من شعراء الصوفية الذين سادوا القرن السابع الهجري .

كان ابن الخيمي في مقدمة شعراء الصوفية الكبار لرقته، وعذوبته وابتعاده عن التكلف والصنعة .

يقول في وصف حبه وأحبابه :

حق الهوى لكم و لا عبراتي
روحي وأهون ما وجدت مماتي
بنفائس الاموال و المهجات
الكبرى وموتي فيه عين حياتي
وعرفت حبكم بها عرفاتي
قد كانت لإحرامي بها ميقاتي
كرمت وكم للدهر من غفلات
ما زلت أرعاهم على العلات
منى نزلوا ومن قلبي على الجمرات
وهم معاني الحسن في الأبيات
كتحجّب المصباح بالمشكاة
فيهم وليس لغيرهم حاجاتي

لم توف أشواقني و لا لوعاتي
مع أن أيسر ما عدمت بلوعتي
يا من يعز وصالهم أن يشتري
فسقام جسمي في هواكم
ومعاهد فيها عهدت الى الهوى
فإداء نسكي في الوقوف بها و
كم لي بها من وقفة مع أهلها
ورعى الإله على المصلى جيرة
قوم على الجمرات من وادي
نصبوا على ماء النقا أيّاهم
وتحجبوا عنا بنور جمالمهم
لم يبق عزّهم لذلي مطعما

وقال رحمه الله تعالى يصف وجده :

لما علمت بما ألقى من الوصب بعثت لي عوذة عافت من الكرب
فضضتها فازدهانا الروض مسما وأنشدت فهنا مجلس الطرب
قد أعجزت بفنون من فصاحتها لولا التأخر كانست حجة العرب
كاتبتني واداء الحق يعجزني فلا أزال لكم قنأ مدى الحقب
لقد شرفت بودى والولاء لكم ونسبة الود عندي اشرف النسب
كم جئتكم ثم تثبيني مهابتكم فانتني و فنون الشوق تلعب بي
ومن اجمل ما قال في الحب الإلهي :

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك التقصي وانتهى الطلب
وما طمحت لمراى أو لمستمعٍ إلا المعنى إلى عليك ينتسب
وما أراني أهلاً أن تواصلني حسي علواً بأني فيك مكتئب
لكن ينازع شوقي تارةً أدبي فأطلب الوصل لما يضعف الأدب
ولست أبرح في الحالين ذا قلقٍ نامٍ وشوقٍ له في أضلعي لهب
ومدمعٍ كلما كفكفت أدمعه صوتاً لذكرك يعصيني وينسكب
يدعي في الهوى دمعي مقاسمتي وجددي وحزني فيجري وهو محتضب
كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا يزال في ليله للنجم يرتقب
بالله إن جزت كتبناً بذي سلمٍ قف عليها وقل لي هذه الكئيب
ليقضي الخد من أجراءها وطراً في تربها يؤدي بعض ما يجب
ومل إلى البان شرقي كاظمة فلي إلى البان من شريقيها طرب
وخذ يميناً لمغنى تهندي بشذا نسيمه الرطب إن ضلت بك النجب
أكرم به منزلاً تحميه هييته عني وأنواره لا السمر والقضب
دانٍ وأدنى والحسن يحجبه عني وذلي والإجلال والرهب
أحيا إذا مت من شوقٍ لرؤيته بأني لهواه فيه منتسب

ويا نسيماً سرى من جو كاظمةٍ
وكيف جيرة ذاك الحي هل حفظوا
أم ضيعوا ومرادي منك ذكرهم
إن كان يرضيهم إبعاد عبدهم
والهجر إن كان يرضيهم بلا سبب
وإن هم احتجبوا عني فإن لهم
قد نزه اللطف والإشراق بهجته

بالله قل لي كيف البان والعذب
عهداً أراعيه إن شطوا وإن قربوا
هم الأحبة إن أعطوا وإن سلبوا
فالعبد منهم بذاك البعد مقرب
فإنه من لذيذ الوصل محتسب
في القلب حسنٍ ليس يحتجب
عن أن تمنعها الأستار والحجب

الشيخ علي عقل

رغم أن حياة الشيخ "علي عقل" لم تمتد طويلاً حيث وافته المنية عن ٥٤ عاماً إلا أنه ترك آثاراً عظيمة تدل على ما كان له من مكانة وتأثير على الساحة كأحد علماء عصره في التصوف والعلوم الشرعية.

ولد الشيخ علي عقل سنة ١٨٩٤م، وحين فقد بصره في صباه، أسلمه والده للقرآن الكريم، فاشتغل به وحفظه كاملاً، ثم التحق بالأزهر الشريف ليتعلم القراءات القرآنية فأجادها، فكان القرآن نوراً أضاء بصيرته فعوّضه عن غياب بصره، وأشرقت داخل نفسه الأنوار الربانية، فعشق نور الله واتّبعه وأسلم نفسه له، وجاهد نفسه حتى استقامت على الحق، وجسد كل ذلك في أشعاره التي كان يلقيها في مجالس الذكر، ثم تقلبت به مجالس الذكر والإنشاد حتى صار معلماً في ذلك المضمار، توفي سنة ١٩٤٨ بعد أن ترك ديواناً شعرياً يضم ترانيمه الصوفية ومدائحه النبوية هو ديوان «الإلهام».

يقول عليه السلام :

وإن الورد يذبل بعد وقتٍ وورد الحب كان به ذبولي
ورئى الناس من ماءٍ ولكن شراب الحب يذكي من غليلي
أداري الحب حتى لو يراني أخو وجدٍ تشكك في نحولي
وبي نازٍ لو استقصى لظاها لحقّر وجدّه وحذا سبيلي
ولي بالوجد سرّاً يُضاهي وما أنا في المحبة بالهزلي
من أشهر أشعاره الموجودة في ذلك الديوان قصيدة «تعشقت نور الله»، والتي يجسد فيها سبيل مجاهدة النفس والارتقاء بها حتى تتشرب نور الله وتأنس به.
يقول علي عقل في قصيدة وكأنه يرسم الطريق إلى نور الله ومحبه بقتل هوى النفس أولاً ثم مجافاة الأنس بغير كلام الله المنزل في القرآن العظيم.

قتلت هوى نفسي، فعشت بلا نفس
وجافيت أنسي فأنحدرت إلى الأانس
ولم أخش من بأس ولم أخش طاغيا
ومن يخش ذات الله لم ير من بأس
وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرام سوى الرحمن يدخل في نفسي
وتوجت بالقرآن نفسي عقيدة
أصون به نفسي عن الزيف والدس
وما اتخذت روعي سوى الله غاية
فتم الهدى للروح والقلب والحس
وإن رفع المشرون عجباً رؤوسهم
رفعت بذكر الله فوق الورى رأسي
وإن جعلوا الشمس اهتداء ليومهم
جعلت رضا ربي وآيته شمسي
وإن غرسوا زرعاً لنيل حصاده
فتقوى إله العرش بين الورى غرسي
تعشقت نور الله وهو بصيرتي
وقد وضع البرهان من آية الكرسي
أحبك يا ربي محبة موقن
ومن قوة الإيمان أصبح أو أمسي
لقاؤك يا رحمن عيدي وعدتي
ونورك غيبي وهو لي في الورى أنسي
وكل رجائي أن أحبك صادقا

إذ الصدق في الوجدان مرتبة القدس
وعشت زمني لست أحفل بالورى
وكيف، وقلبي هام في مشهد القدس

الششتري ... عروس الفقهاء

أبو الحسن الششتري أول من أدخل الزجل في كلام الصوفية، ولد في (ششتر) في جنوب الأندلس سنة ٦١٠ هجرية، ومات في مصر بمدينة دمياط، ودفن بقرية تسمى طينة، التي قال فيها حين زارها أول مرة (حنت الطينة إلى الطينة). قال عنه الأديب الأندلسي ابن ليون التجيبي: (كان من الأمراء وأولاد الأمراء فصار من الفقراء وأولاد الفقراء)

ترك لنا ديوان شعر واحد، وكتب في علوم الإسلام والصوفية، أهمها :
(العروة الوثقى، والمقاليد الوجدية في أسرار الصوفية، والرسالة القدسية والمراتب الإيمانية).

ولد الشيخ رحمه الله تعالى في ششتر جنوب الأندلس سنة ٦١٠ هـ وكان أميراً يعيش حياة مترفة منعمة، وتبحر في دراسة علوم الشريعة من القرآن والحديث والفقهاء والأصول، وزاد عليهم بالفلسفة ودروب الصوفية، ولقب بعروس الفقهاء. قال عن تركه للحياة المرفهة:

لقد تهمت عجباً بالتجرد والفقر فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحةً قدسيةً فغبت به عن عالم الخلق والأمر

كان يعرف بعروس الفقهاء وبرع في الموشحات والزجل واشتهر، وتلمذ على يد العارف بالله عبد الحق بن سبعين.

تعلق قلبه بشيخه وكان يسميه مغناطيس النفوس وأكسير الذوات وساح معه في البلاد كثيراً، كما التقى أبو مدين الغوث شيخ الشيوخ وتلمذ أيضاً على يد الإمام الأكبر محيي الدين بن عربي.

إذا لم يكن معنى حديثك لي يُدرى
فلا مهجتي تُشفي ولا كبدي تُروى
نظرتُ فلم أنظر سِواكَ أحبُّه
ولولاك ما طاب الهوى للذي يهوى

وَلَمَّا اجْتَلَكَ الْفَكْرُ فِي خَلْوَةِ الرِّضَا
لَعَمْرُكَ مَا ضَلَّ الْحُبُّ وَمَا عَوَى
وَلَوْ شَهِدُوا مَعْنَى جَمَالِكَ مِثْلَمَا
خَلَعْتَ عِذَارِي فِي هَوَاكَ وَمَنْ يَكُنْ
وَمَزَقَتْ أَثْوَابَ الْوَقَارِ تَهْتِكَا
مَا فِي الْهَوَى شَكْوَى وَلَوْ مُزَّقَ الْحَشَا

وغيّبت قال الناس ضلّت بي الاهوا
ولكنهم لما عموا اخطئوا الفتوى
شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى
خليع عذار في الهوى سره النجوى
عليك وطابت في محبتك البلوى
عار على العشاق في حبتك الشكوى

أسهب الششتري في وصف الخمر باعتبارها رمزاً عند الصوفية للحال والسكر المشوب بالصحو، وأضفى عليها من نورانية الحب والهيام معتبراً أنها بداية طريق دخول الحب في حال العشق، وجعلها مرادفاً للشمس والقمر وقال أنها لعبة العقل إزاء ما لا يعقل ووضعتها في خيالات شعرية تتجلى.

طَابَ نُفْلِي وَشَرَّايِ
فَاعْذُرُونِي يَا صِحَّايِ
خَمْرَةٌ رَاقٌ شَذَاهَا
قَامَ سَاقِيهَا سَقَاهَا
أَنَا سَكْرَانٌ مِنْ هَوَاهُ
كَلَّمَا نَادَيْتُ يَا هُو

وحبيبي اعتنابي
في سُجُودِي وَأَقْتِرَائِي
كُلُّ نُورٍ مِنْ سَنَاهَا
أَجْعَلُوهَا احْتِسَابِي
لَيْسَ لِي رَاحٌ سِوَاهُ
كَانَ لَبَيْتِكَ جَوَابِي

كانت كلماته جذلة عذبة تسمو بالروح متخذاً فن الرباعيات في موشحاته، فكانت تعبيرات تختلج لها النفس وتسمو بها الروح وتطير بغير أجنحة بين العاشقين، فكانت انيساً وجليساً في ليالي التيه وفيافي عتمة المحبين، في إيقاع موسيقي متناغم شجي.

رضي المتيم في الهوى بجنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عدلكم
خلوه يفني عمره بفنونه
ليس السلو عن الهوى من دينه
وله رحمه الله تعالى:

يَا حَاضِرًا فِي فُؤَادِي
إِنْ لَمْ يَزُرْ شَخْصٌ عَيْنِي
بِالْفِكْرِ فِيكُمْ أَطِيبُ
فَالْقَلْبُ عِنْدِي يُنُوبُ
مِمَّا غَبِثَ لَكِنَّ جِسْمِي
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ غَرَامٍ
مِنَ التُّحُولِ يَذُوبُ
فَسَلُّهُ عَنِّي يُجِيبُ

الإمام مُجَدِّدُ ابن ادريس .. الشافعي

الإمام الشافعي هو عبد الله مُجَدِّدُ بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، ولد في عام ١٥٠ هجري، وهو أحد الأئمة الأربعة المهمين لدى أهل السنة والجماعة، فهو صاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، كما أنه أسس أصول الفقه، ولعل أهم ما يُميزه هو ذكَاؤُه، وحكمه العادل بين الناس، وفصاحة لسانه، وكثرة ترحاله، وقد أثنى العديد من العلماء عليه وخصوصاً الإمام أحمد حيث قال: (كان الشافعي كالشمس للدينيا، وكالعافية للناس).

ولد الإمام في مدينة غزة في فلسطين، ثم انتقلت عائلته إلى مدينة مكة وذلك عند بلوغه عمر السنتين، فحفظ القرآن الكريم كاملاً وهو يبلغ الأربع سنين، ثم بدأ بطلب العلم في مدينة مكة وذلك قبل أن يبلغ سن العشرين، وبعد أن بلغ سن العشرين هاجر إلى المدينة المنورة، وطلب التعلم عند الإمام مالك بن أنس، ثم هاجر إلى اليمن، ثم هاجر إلى مدينة بغداد وذلك في عام ١٨٤ هجري، فطلب العلم عند القاضي مُجَدِّدُ بن الحسن، وبدأ بدراسة المذهب الحنفي. عاد الإمام الشافعي إلى مدينة مكة، وعاش فيها حوالي تسع سنوات، وأثناء فترة سكنه هناك علّم الناس المذهب الحنفي في الحرم المكي، ثم هاجر إلى مدينة بغداد مرة ثانية، فعاش فيها حتى عام ١٩٥ م، وقد كتب كتاب (الرسالة) والذي كان شرحاً لعلم أصول الفقه، ثم هاجر إلى مصر وذلك في سنة ١٩٩ هجري، وقد قام بنشر مذهبه هناك، وبقي فيها حتى توفي في عام ٢٠٤ هجري،

والشافعي الفقيه الحكيم العابد الزاهد يكتب في الحب الإلهي شعراً بعد ان هاج به الوجد وفعل بقلبه مثل ما فعل بقلوب العاشقين قبله .

كان ﷺ تَوَاقُفاً الى ان ينعم بقرب الله ورضاه وكلّ أمله ان يذوق

(شراب الأنس) الذي قيل فيه (وَسَقَاهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)^١ وهنا نراه يتوسل الى الله ان يذيقه هذا الشراب :

بموقف ذُّلة بين يديه ، بمخفي سره ، بإطراق رأسه ، باعترافه بذلته ، بمد يديه يستمطر الجود ، بأسمائه الحسنى بالعهد القديم الذي أخذه على عباده .

بموقف ذلي دون عزتك العظمى	بمخفي سرٍ لا أحيط به علما
بإطراق رأسي ، باعتراضي بذلتي	بمدّ يدي استمطر الجود والرحمي
بأسمائك الحسنى التي بعض صفاتها	لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهدٍ قديمٍ من أilst بربكم	بمن كان مكنوناً فُعْرَفَ بالأسما
اذقنا شراب الأنس يامن اذا سقى	محباً لا يضام ولا يظما

ويوم يزوره صاحبه إسماعيل بن يحيى المزني يعوده في مرض موته ، وقد أيقن انه سيغادر الدنيا ولم يبق له فيها رجاء او مطلب تتفجر عاطفته بشعر مملوء صدقاً و يقيناً ورجاء .

وبعض ما جاء في قصيدته وهي آخر عهده ﷺ بالشعر :

إليك إله الخلق أرفع رغبتي	وإن كنت يا ذا المنِّ والجودِ مجرماً
ولما قسا قلبي وضائق مَداهبي	جعلت الرِّجاء مِتي لعفوك سلماً
تعاطمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفوي عن الذنب لم	تزل بجودٍ وتعفو منةً وتكرماً
فيا ليت شعري هل أصير لجنة	أهنأ وإما للسعير فأندما
عسى من له الإحسانُ يعفُرُ زلتي	ويسُترُ أوزاري وما قد تقدما

^١ الإنسان ٢١

تعاظمني ذنبي فأقبلتُ خاشعاً
فإن تعف عني تعف عن متمردي
فإن تنتقم مني فلستُ بآيسٍ
فللهِ دُرُّ العارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ
يُقيِّمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
فَصِيحاً إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
ويذكرُ أياماً مضت من شبابه
فَصَارَ قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ أَخَا
يُفَوِّضُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُعَيْتِي

لولا الرضا ما كنت يا ربُّ مُنْعَمَا
ظَلُّومِ عَشُومِ لا يزييلُ مَأْتَمَا
ولو أدخلوا نفسي بجرمِ جهنمِ
تفيض لِقَرَطِ الوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
على نفسه من شدَّة الخوفِ مَأْتَمَا
وفيما سواه في الوَرَى كَانَ أَعْجَمًا
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
السُّهْدِ والنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
كفى بك للراجينِ سُؤلاً ومغنمًا

. عبد القادر بن مُجَّد ... ابن قضيب البان .

٩٧١-١٠٤٠ هـ

الشيخ عبد القادر بن مُجَّد أبي الفيض المعروف بابن قضيب البان .
يتصل نسبه بأبي عبد الله الحسين قضيب البان الموصللي من أولاد موسى الجون
يصل نسبه الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين .
والحسين قضيب البان المذكور صاحب الكرامات المشهورة دفين الموصل ، كان
من صحب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره .

وهذا السيد هو أكبر أهل وقته وفريد أقرانه ، ولد بحماة ، وهاجر به أبوه إلى
حلب وتوطن بها إلى سنة ألف ، وفيها حج إلى بيت الله الحرام وجاور بمكة إلى
حدود سنة اثنتي عشرة بعد الألف . ومنها توجه إلى القاهرة بإشارة القطب ،
وكان شيخ الإسلام يحيى ابن زكريا قاضيا بها ، فزاره ، وكان معتقدا على المشايخ
والأولياء ، فبشره بمشيخة الإسلام وبابعه على الطرق الثلاثة النقشبندية
والقادرية والخلوتية .

ولما ولي الإفتاء وجهت له نقابة حلب وديار بكر وما والاها مع قضاء حماة
بطريق التأيد برتبة مكة المكرمة ، فلم يقبل القضاء والرتبة واعتذر عن عدم قبوله
، وقبل النقابة لكونها خدمة آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمر نقيبا
بحلب إلى أن مات .

وله من الاثار كتاب «نهج السعادة» في التصوف ، و «ناقوس الطباع في أسرار
السماع» ، و «شرح أسماء الله الحسنى» ، و «رسالة في أسرار الحروف» ،
وكتاب «مقاصد القصائد» ، و «نفحة البان» ، و «حديقة اللآل في وصف

الآل» ، وكتاب «المواقف الإلهية» ، و «عقيدة أرباب الخواص» ، وغير ذلك
ما ينوف على أربعين تأليفاً. وله ديوان شعر كله في لسان القوم^١

ومن شعره :

ولقد شكوتك في الضمير إلى الهوى وعتبت من حنق عليك تجننا
ميت نفسي في هواك فلم أجد إلا المنية عندما هجم المنا

وله من الشعر تائية مشى فيها على وتيرة تائية ابن الفارض.

كان ابن قضيب البان على مذهب أهل التصوف . ومن شعره :

شربت لحبه خمراً سقاني كصحي فانتشى منها جناني
شطحتُ بشرهما بين الندامي ورشدي ضاع مما قد دهاني
فأكرمني وتوجني بتاج يقوم بسرّه قطب الزمان
وأمرني على الأقطاب حتى سرى أمرى بهم في كل شان
وأطلعني على سر خفي وقال الستر من سر المعاني
وله أيضاً :

رأيتك في كل شيء بدا وليس سواك لعيني حجب
فأنت هو الظاهر المرتجى وأنت هو الباطن المرتقب
وأنت الوجود لأهل الشهود وأنت الذي بكل شيء وهب
وعيني بعينك قد أبصرت لعينك في كل تلك النسب

^١ اعلام النبلاء ٦/ ٢١٨

ومن لطائف شعره :

أرى للقلب نحوكم انجذابا لأسمع من جنابكم خطابا
فكم ليل بقربكم تقضى إلى سحرٍ سجودا واقترابا
وكم من نشوة وردت نهارا فلا خطأ وعيت ولا صوابا
وكم سحّت علينا من نداكم غيوث لا تفارقنا انسكابا
وكم نفحات أنس أسكرتنا بما حضر الصفا والقبض غابا
توافقت القلوب على التداي فلم نشهد به منكم حجابا
لقد حاز الولي بكل حال من الرحمن فيضا مستطابا
تراه بين أهل الأرض أضحي لداعي الحب أسرعهم جوابا
وغير الله ليس له مراد وغير حماه لا يرجى انتسابا

ومن مقاطيعه قوله :

ولقد شكوتك في الضمير إلى الهوى وعتبت من حنق عليك تجننا
منيت نفسي في هواك فلم أجد إلا المنية عندما هجم المنا

المرسی أبو العباس

هناك في ثغر الإسكندرية سكن واحد من العلماء الأتقياء الذين جمعوا بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة، فصار من العارفين المشهود لهم بالولاية من القاصي والداني، بل أصبحت الإسكندرية على عظمتها تعرف به.. إنه سيدي أبو العباس المرسي، أو كما يسميه أهل الإسكندرية "المرسي أبو العباس"

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، ولد في مدينة مرسية في الأندلس عام ٦١٦ هـ، ومنها حصل على لقبه المرسي، يتصل نسبه بالصحابي سعد بن عباد وكان جده الأعلى قيس بن سعد بن عباد أميراً على مصر من قبل سيدنا الإمام علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ.

سافر الى مكة المكرمة وهو في الخامسة والعشرين من عمره مع أبيه وأمه وأخيه، وصادفت مركبهم رياح عاتية بالقرب من شواطئ تونس فغرق أبوه وأمه وأخوه، وبقي هو ولجأ إلى تونس وهناك تعرف على أبي الحسن الشاذلي، فاصطحبه إلى مصر، التي قضى بها جل أيام عمره (٤٣ عاماً) إلى أن مات سنة ٦٨٦ هـ وكانت معيشتة كلها في الإسكندرية ، يدعو فيها للعلم والفقہ الصوفي وذاع صيته بمصر كلها، وكان يأتيه المريدون من كل جهة من مصر وخارجها، ومن أبرز تلاميذه الإمام والعالم والشاعر البوصيري وابن عطاء الله السكندري وابن سبعين وابن عفيف التلمساني .

كتب رحمته في المواجيد وفي الشعر الالهي .

ومن شعره :

أعندك من ليلي حديث محرر
فعهدي بما العهد القديم وانني
وقد كان عنها الطيف قدما يزورني
بإيراده يحيا الرميم و ينشر
على كل حال في هواها مقصر
ولما يزر ما باله يتعذر

فهل بخلت حتى بطيف خيالها ام اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلي طلعة الشمس تستضي وفي الشمس ابصار الورى تتحير
وما احتجبت الا برفع حجابها ومن عجب ان الظهور تستر

وله رحمه الله تعالى :

إن كنت سائلنا عن خالص المنن وعن تألف ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالحظ مذ ألفت أدرانها فعدت تشكو من العطن
وعن بواعثها بالطبع مائلةً تهوى بشهوتها في ظلمة الشجن
وعن حقيقتها في أصل معدنها لا ينثني وصفها منها إلى وثن
فاسمع هديت علوماً عز سالكها على البيان ولا يغرك ذو لسن
قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدا قامت حقائقها بالأصل والفرن
يا سائلي عن علوم ليس يدركها ذو فكرة بفهومٍ لا ولا فطن
لكن بنور على جامعٍ خمدت له العقول وكل الخلق في وسن
خذها إليك بحق لست جاهله والأمر مطلع والحق قيدي
على الحقيقة خذ علم الأمور ولا تحجبك صورتها في عالم الوطن
فقطرة النفس سر لا يحيط به عقل تقيد بالأوهام والدرن
لكنها برزت بالحكم قائمة حتى تألفها السكان بالسكن
والروح بين ترقُّ في معارجها وهى الموافق للتعريف والمنن
من الحجاب دنت أنوارها فبدت نوراً تنزل بين الماء والدمن
زيتونة زيتها نور لصاحبها قامت حقائقها بالأصل والقنن
والكل أنت بمعنى لا خفاء به والنور يحجبه كالماء في اللبن
والعبد محتجب في عز مالكة دقت معارفه في الدهر والزمن

وله عليه السلام :

وإذا أردت من السلوك أجله فالزهد في الدنيا مع السمات الحسن
واعبد إلهك حيث كنت على الرضا تحظى بما قد ناله أهل المن
أهل الولاية والهداية والتقوى هم سادتي فبهم أصول على الزمن
والله حسبي والمؤيد ربنا وهو المعين على الأمور كما ضمن

عبد الهادي السوداني اليميني

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن محمد بن ابراهيم ابن محمد السوداني، نسبة الى سودة شغب (قرية قرب صنعاء اليمن) ، و قد اشتهر باسم عبد الهادي السوداني اليميني.

سلك عبد الهادي اليميني طريق الصوفية و أوغل، و قرأ الحديث و الفقه. أغرق في الزهد فلم يقتن شيئاً، وكان كلما أهديت إليه هدية صغيرة أو كبيرة رخيصة أو غالية من سوقة أو من ملك ألقاها في النار تحت وعاء القهوة. كانت وفاة عبد الهادي السوداني في سابع صفر من سنة ٩٣٢ هـ في تعز، و قبره فيها مشهور يزار.

كان رحمه الله تعالى عارفاً بعلوم الفقه و بالتاريخ و الأدب مع مشاركة في علوم أخرى. ثمّ نظم الشعر بعد التصوف. و شعره كثير سهل متين. وكان من عادته أن ينظم و يكتب ما ينظمه على الجدران ثمّ يحوه. غير أن مريديه (أتباعه) كانوا ينقلون من هذا النظم ما استطاعوا. وله ديوان لا يزال مخطوطاً.

مختارات من شعره:

يا منى قلبي و يا سكاني	فيك سري صار كالعلن
و كثير فيك أحسده	و كثير فيك يحسدي
قمت في شرع الهوى ألفاً	بفروض الحب والسنن
لو درى من لج في عدلي	أنه بالعدل يطربني
ترك المحجوب مذهبه	وغداً في العشق يتبعني
لست من أهل الغرام إذا	ولج التفنيد في أذني
كيف يصغي للملام فتى	هائم في الحب من زمن
عيده وصل الحبيب فإن	لم يواصل فهو في حزن

سُنة العشاق واحدة
يا ربيع القلب يا شجني
كان قبل اليوم يطربني
بأبي من ذبت فيه له
بعث روعي منك يا
أنت تبقى والفناء لنا

ومما قاله عليه السلام :

أهلاً وسهلاً بكم يا جيرة الحلل
كنا نؤمل أن نحيا بقربكم
لو أن روعي في كفي وجدت بها
لا أوحش الله ممن لست أذكرهم
يا سادة صيروني في محبتهم
أسأل الريح عنهم كلما عبرت
هم حملوني غراماً كاد أيسره
لقد لقيت الذي لم يلقيه أحد
هم أهل بدر لا يخشون من حرج
أه على نظرة منهم أسرُّ بها
لو قيل وهجير الصيف في وهج
أهم أحب إليك اليوم تشهدهم
لقلت مشهدهم أهوى ولو تلفت

فإذا أحببت فاستن
فيك ثارت والنبي فتني
وأنا في الحال عنه غني
واصطباري عن لقاه فني
قمري وإليك الأمر بالثمن
فإذا أفينتنا فكن

ومرجباً بحداة العيس والكلل
فالآن والله هذا منتهى الأمل
على البشير بكم يا مرهم العلل
إلا وصرت مثل الشارب الثَّمَل
أهيم وجداً ولا أصغي إلى العذل
وأسأل الركب هل مروا على إبل
يفني حياتي فقد بت الهوى حيلي
قبلي سوى أهل صفين أو الجملي
دمي مباح لهم في السهل والجبل
أجلو بها صداً الأجفان والمقل
وطي أحشاي فيها من الشعل
أم شربة من زلال الماء كالعسل
روحي أسى وجوى ليت ذلك لي

أبو الوفا الشرقاوي ... ملاذ العارفين

(١٢٩٧ - ١٣٨١ هـ) (١٨٧٩ - ١٩٦١ م)

أخفي غرامي به صوتاً لرفعته فلستُ للثُربِ من عليائه أهلاً
ومذهبي أنه يسمو ويعظم إن ييدي لساني في أوصافه قولاً

أحمد أبو الوفاء بن أحمد بن شرقاوي بن مساعد الصديقي الحسيني المالكي
الخلوتي.

ولد في بلدة أولاد حمزة ، وتوفي بمدينة نجع حمادي (محافظة قنا - مصر).

تلقى العلوم العربية والشرعية على أيدي كبار علماء عصره، ممن كانوا يفدون
على ساحة والده، شيخ الطريقة الخلوتية الصوفية، فأخذ الشيخ علوم التصوف
عن والده، وعنه ورث أمر الطريقة، كما ورث عنه المال والثراء.

مع علاقته الخاصة بالزعيم سعد زغلول وقادة الوفد إبان ثورة ١٩١٩ فإن
علاقته ظلت طيبة مع مختلف رجالات الأحزاب السياسية.

كان عاملاً مؤثراً في حركة التقريب بين المذاهب.

شعره في جملته شعر صوفي، تبدأ قصائده بالغزل الصوفي أو الحكمة، وقد يدخل
مباشرة في موضوع القصيدة الذي هو ابتهاج وتوسل ومدح للرسول صلى الله
عليه وسلم، وهناك أشعار وطنية وسياسية، وفي هذه القصائد تتعدد الأغراض
في بنية القصيدة الواحدة، وبخاصة حين يعمد إلى الإطالة.

من ألقابه التي أطلقها عليه مريدوه: ملاذ العارفين، وتاج المرشدين، وأبو
المعارف، وأبو الإسعاد.

من جميل شعره ﷺ :

أرقت يا صبُّ من فرط الجوى ليلا
 ولا أرقت على الأطلال دارسةً
 ولا شجنتك على الأغصان ساجعةً
 لله نفسك عرشُ المجد من قدم
 سمت بها همّةٌ في المكرمات فلن
 فما لها اليوم يطويها وينشرها
 وما لمهجتك الحرى تذوبُ أسى
 أفنيت روحك طوعاً في الغرام وقد
 فالحبُّ لا يرحم العشاقَ لاجئه
 برتك لوعته حتى خفيت ضئى
 فكيف تخفيه والآثار شاهدةً
 تبدو شواهدُ بلواه وما فتئت
 يا صاح هذا الذي في حبه فنيت
 أخفي غرامي به صوتاً لرفعته
 يطيب لي فيه تعذيبي ولي ولع
 أجله أن يرى مثلي به كلفاً
 ومذهبي أنه يسمو ويعظم إن
 وكيف يُوصف والأكوان قاطبةً

ولست تصبو، إلى نُعمٍ ولا ليلى
 وبَلَّ الشئون ولا أسقيتها طلاً
 يُجيبها سحراً محزونةً تكلى
 يجرُّ فوق ذرى عليائه ذَيْلاً
 ترى لحبك في هذا الورى أهلاً
 من حرٍّ وجدك ما أبقى وما أبلى
 وما لأحشاك في نار الجوى تصلى
 أضحي فؤادك من أشواقه ييلى
 وليس يرقب في أهل الهوى إلا
 وكم تجرعت في لذاته مهلاً
 وكيف تخفي المنايا أنفس القتلى
 آيات محوك في ألواح تئلى
 روحي وفيه نعم تستعذب القتلا
 فليست للقرّب من عليائه أهلاً
 بكأس حنفي فما أهنا وما أحلى
 وقد تحملت من إصر الوئى حملاً
 ييدي لسانى في أوصافه قولاً
 في ظلّ أعتابه تستمطر الفضلاً

ومن شعره في نصح الإخوان :

دعوتكم يا قوم للخير والهدى
 فإن أنتم يا قوم لانتم قلوبكم
 وهل ينزع الشيطان بيني وبينكم
 و أنذرتكم محذورة العثرات
 غدوتم بمنجاة عن الحسرات
 بسوء فيرمي جمعنا بشتات

أَفِيقُوا إِذَا كُنْتُمْ نِيَاماً أَوْ افْتَحُوا
تَرْوَنَ عَهوداً أَوْثَقَ اللَّهِ عَقْدَهَا
عِيونَ عَقولِ فِیکم رَمَدَات
ووضَّاحِ نورِ قَاتِلِ الشُّبُهَات
إِذَا مَا أَبیتُمْ خَالِي المَثَلَات
فإن لم تُجیبوا داعِي الحق فاذکروا

مُجَّد اقبال ... شاعر الإسلام

(١٨٧٧ - ١٩٣٨)

لما أطلَّ محمد زَغت الرُّبِّي واخضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى فإذا الورى في نضرة ونعيم

(أشهد على نفسي أني كلما قرأت شعره جاش في خاطري، وثارت عواطفني،
وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي للحماسة الإسلامية تدب في
عروقي، وقد أنطقه الله ببعض حقائق العصر، أنطقه الله الذي أنطق الشعراء
والحكماء من قبله)

(أبو الحسن الندوي عن شعر إقبال)

في السنة الرابعة من عمره أخذه والده إلى الشيخ مير حسن وقال: أريد أن
تُعلِّمه الدين بدل ما يتعلمه في المدرسة ، فأجاب الشيخ مبتسماً: هذا الصبيُّ
ليس لتعليم المساجد وسيكون ذا شأن في المدرسة . وما هي إلا سنوات حتى
صَدَّقَت فِرَاسَةَ هذا الأستاذ وأصبح اسم مُجَّد اقبال هو الأكثر رواجاً في شبه
القارة الهندية وبلغ المشرق والمغرب بل وقي العالم الإسلامي كله .
شاعر الشرق وفيلسوف الانسانية ، ولد في البنجاب في من اسرة كشميرية
الاصل , اهتدى احد اسلافه فيها إلى الاسلام .
درس اللغة الفارسية و العربية إلى جانب لغته الأردية كما سيتقن بعدها الألمانية
والإنكليزية .

حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ في المانيا ، والمجستير في
الاقتصاد والقانون من بريطانيا .

وحين عاد إلى وطنه شعر انه خلق للأدب الرفيع والشعر البديع وكان وثيق
الصلة بأحداث المجتمع الهندي حيث اصبح رئيساً لحزب العصبة الاسلامية في

الهند ثم العضو البارز في مؤتمر الله أباد التاريخي حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس ورأى تأسيس دولة اسلامية اقترح لها اسم باكستان ، والتي سيكون لشاعرنا الدور المهم بتأسيسها بعد وفاته .

ترك إقبال ثروة ضخمة من علمه منها : عشرون كتابًا في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر اضافة الى كتابات متفرقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول، ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي كني بسببها (شاعر الإسلام).

ان روح الشاعر عند لم تستطع أبدًا ألا تمرّ على مثنوي جلال الدين الرومي والخوض في تجربة روحانية كبيرة قصها إقبال في كتابه رسالة الخلود وشرح فيها اسلوبه في التصوف ونظرته فيه . ينطلق

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي عن اقبال : من دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة، وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عامًا من عمره. ومن روائع ما كتب والتي يعتبرها باحثون من روائع الأدب العالمي :

كنا جبالا في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكان ظل السيف ظل حديقة خضراء تنبت حولنا الأزهارا
لم نخش طاغوتا يجاربنا ولو نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارا لا إله سوى الذي صنع الوجود وقدر الأقدارا
ندعو جهارا لا إله سوى الذي صنع الوجود وقدر الأقدارا

ويقول عن اتجاه محبته وشغفه :

ما بال أغصان الصنوبر قد نأت
وتعرت الأشجار من حلل الربى
يارب إلا بلبلأ لم ينتظر
أحانه بحر جرى متلاطما
أنا أعجمي الدبّ لكن خمرتي
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم
عنها قماريها بكل مكان
وطيورها فرت إلى الوديان
وحي الربيع ولا صبا نيسان
فكأنه الحاكي عن الطوفان
صنع الحجاز وكرمها الفينان
لكن هذا الصوت من عدنان^١

ومن قصيدة له مغناة ذاع صيتها ... في نجوى الأرواح ، يقول فيها :

حديث الروح للأرواح يسري
هتفت به فطار بلا جناح
و معدنه ترابي و لكن
لقد فاضت دموع العشق مني
فحلّق في ربى الأفلاك حتى
تحاورت النجوم وقلن صوت
وجاوبت المجرة علّ طيفاً
وقال البدر هذا قلب شاك
ولم يعرف سوى رضوان صوتي
ومن جميل شعره :

شكواي أم نجواي في هذا الدجى ونجوم ليلي حسّدي أم عوّدي
أمسيّت في الماضي أعيش كأنما قطع الزمان طريق أمسي عن غدي

^١ الديوان ٩٣/١

^٢ الديوان ١٠١/١

والطير صادحة على أفنانها تبكي الربي بأينها المتجدد
قد طال تسهيدي وطال نشيدها مدامعي كالطلّ في الغصن الندي

وله أيضاً^١:

قيثارتي ملئت بأنات الجوى
صعدت إلى شفتي خواطر مهجتي
أنا ما تعديت القناعة والرضا
يشكو لك اللهم قلب لم يعيش
لا بد للمكبوت من فيضان
ليبين عنها منطقي ولساني
لكنما هي قصة الأشجان
إلا لحمد علاك في الأكوان

وله رحمه الله تعالى :

من قام يهتف باسم ذاتك قبلنا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة
هل أعلن التوحيد داع قلبنا
ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي
من كان يدعو الواحد القهار
لم يبلغوا من هديها أنوارا
وهدى القلوب إليك والأنظارا
صنع الوجود وقدر الأقدارا
ويقول رحمه الله تعالى هائماً في حب رسول الله ﷺ :

لغة الكلام كما رأيت على فمي
يا مظهر التوحيد حسبي أني
ما حيلة الشعراء زاد غناؤهم
كل المعاني إن وُصفت تضاءلت
إن الذي سؤاك في تنزيله
سبقت محبته مجيئك للورى
يا نور يوم وُلدت قامت عزّة
خجلى و لولا الحب لم أتكلم
أحد الشداة الهائمين الحوم
رهباً لدى هذا الجمال الأعظم
وتحيّرت في كُنْهك المتلثم
وقاك وصفاً بالثناء الأكرم
في عالم الغيب الكبير الأقدم
للأرض إذ أمست لنورك تنتمي^١

^١ الديوان ٩٣/١

الإمام البوصيري ... رائد المدائح النبوية

١٢١٢م / ٦٠٨هـ - ١٢٩٦م - ٦٩٦هـ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ
لَوْلَا الهَوَى لَمْ تَرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالْعَلَمِ
فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

هو الإمام شرف الدين مُجَّد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ويطلق عليه اسم البوصيري نسبة لمولده في بوضير بصعيد مصر .

نشأ البوصيري نشأة قرآنية وأدبية وصوفية، تعلم في القاهرة بساحة مسجد عمرو بن العاص، علوم اللغة والأدب وأصول البلاغة وقواعد العروض والقوافي، مع إتقان حفظه للقرآن الكريم وأصول قراءاته مع حفظ الحديث .

اتصل بأبي العباس المرسى إمام الصوفية بالإسكندرية وتلمذ على يديه ، وقد انتفع البوصيري بصحبته ثم تنسك وتصوف، وقد ابتلاه الله بمرض الفالج الشلل فتقرب إلى الله تعالى ونظم قصيدة البردة في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم وما إن كتبها حتى رأى في نومه النبي صلي الله عليه وسلم يقرأها أمامه فمسح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه بيده ، وخلع عليه بردته فاستيقظ من النوم وقد شفاه الله،

تُعد قصيدته الشهيرة (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) والمعروفة باسم (البردة) من عيون الشعر العربي، ومن أروع قصائد المدائح النبوية، ودرة ديوان شعر المديح الذي جادت به قرائح الشعراء على مرّ العصور، وقد أجمع النقاد والشعراء على أنها أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة كعب بن زهير ، كما وتعد

قطعة أدبية فريدة تتناغم فيها المعاني الراقية والمواظب الحكيمة والدعاء الخاشع مع الموسيقى العميقة والترانيم التي تضيء على القصيدة جوا من الجمال والبهاء مما حدى بالمتصوفين لقراءتها في مجالس الذكر ، ولجمال القصيدة حاول الكثير من الشعراء معارضتها او النظم على غرارها .

ومن هذه القصيدة المباركة :

محمدٌ سيدُ الكونينِ والثقلينِ والفريقينِ منِ عربٍ ومنِ عجمِ
نبيُّنا الأمرُ النَّاهي فلا أحدٌ أبْرُ في قولٍ لا منه ولا نَعَمِ
هُوَ الحبيبُ الذي تُرجى شفاعتُهُ لكلِّ هَوَلٍ مِنَ الأهوالِ مُتَحَمِّمِ
دَعَا الى اللهِ فالمستَمِسِكُونِ بِهِ مُستَمِسِكُونِ بِجِلِّ غيرِ مُنْقَصِمِ
فاقَ النَّبيِّينَ في خُلُقٍ وفي خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ
وكلُّهُمِ مِنَ رسولِ اللهِ مُلتَمِسِ عَرَفَا مِنَ البحرِ أو رَشَفَا مِنَ الدَّيَمِ
وواقِفُونَ لَدَيْهِ عندَ حَدِّهِمِ مِنَ نُقْطَةِ العِلْمِ أو مِنَ شَكَلَةِ الحِكْمِ
فَهُوَ الذي تَمَّ معناهُ وصورَتُهُ ثم اصطفاهُ حبيباً باريءُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنِهِ فجوهرُ الحُسْنِ فيه غيرُ منقَسِمِ
دَع ما ادَّعتهُ النَّصارى في نبيِّهِمِ واحكُم بما شئتَ مدحاً فيه واحتكِمِ
وانسُب الى ذاتِهِ ما شئتَ من شَرَفٍ وانسُب الى قَدْرِهِ ما شئتَ من عِظَمِ
فإنَّ فَضْلَ رسولِ اللهِ ليس له حَدٌّ فَيُعْرَبُ عنه ناطِقٌ يَقَمِ
لو ناسَبَتْ قَدْرُهُ آيَاتُهُ عِظَمًا أحيا اسمُهُ حينِ يُدعى دارِسَ الرِّمَمِ
أعيا الورى فَهُم معناهُ فليس يُرى في القُرْبِ والبُعدِ فيه غيرُ مُنْفَجِمِ
كالشمسِ تظهَرُ للعَيْنينِ من بُعدٍ صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ من أَمَمِ
فمَبْلُغُ العِلْمِ فيه أنه بَشَرٌ وأنَّهُ خيرُ خُلُقٍ اللهُ كُلِّهِمِ
وكلُّ آيٍ أتى الرُّسُلُ الكِرَامُ بِهَا فإنما اتصَلتْ من نورِهِ بِهِمِ
فإنَّهُ شمسٌ فَضْلِهِم كواكبُهَا يُظهِرُنْ أنوارُهَا للناسِ في الظُّلَمِ

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٍ بِالْحُسْنِ مَشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ
 كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالبَدْرِ فِي هَمٍّ
 كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ
 كَأَنَّما اللُّؤلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنٍ مُنْطِقٍ مِنْهُ وَمَبْتَسِمٍ
 لا طيبَ يَعْدِلُ ثُرَيَّا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طوبى لِمَنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمَلْتَمِسٍ
 جَاءت لِذِعْوَتِهِ الأشْجَارُ ساجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى ساقِ بلا قَدَمٍ
 كَأَنَّما سَطَرَتْ سَطرا لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الحَطِّ فِي اللَّقَمِ
 وَما حوى الغارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكِفارِ عَنْهُ عَمِي
 فَالصدقُ فِي الغارِ وَالبَصِيْقُ لَمْ يَرِما وَهُمْ يَقولون ما بِالغارِ مِنْ أَرَمٍ
 ظَنُّوا الحِمامَةَ وَظَنُّوا العَنكبوتَ عَلَى خَيْرِ البَرِّيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
 وَقايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةِ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطْمِ
 ما سامِي الدَّهْرُ ضِميماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلا وَنِلْتُ جِواراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِّ
 وَلا التَّمَسْتُ غَيِّ الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

وَمِنْ رَفِيقِ شَعْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

والليلُ دجا من وفرته	الصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلَعَتِهِ
أَهْدَى السُّبُلَ لِذِلالَتِهِ	فَاقَ الرُّسُلَ فَضلاً وَعِلا
هادي الأُممِ لِشَرِيعَتِهِ	كَنْزُ الكَرَمِ مُوَلِي التَّعَمِّ
كُلُّ العَرَبِ فِي خِدْمَتِهِ	أَذكى النَسَبِ أَعلى الحَسَبِ
شُقَّ القَمَرُ بِإِشارَتِهِ	سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الحَجَرُ
والرَّبُّ دَعاهُ لِحَضْرَتِهِ	جِبْرِيلُ أَتى لَيْلَةَ أُسْرِي
عما سَلَفًا مِنْ أَمْتِهِ	نَالَ الشَّرْفَ وَاللَّهُ عَفَا
فالعِزُّ لَنَا لِإِجابَتِهِ	فَمحمدنا هُوَ سِيدنا

وقال رحمه الله تعالى مادحاً سيد الأولين والآخرين ﷺ :

أمدائح لي فيك أم تسبيح
خُذْتُ أَنْ مَدَائِحِي فِي الْمِصْطَفَى
أربح بمن أهدي إليه ثناؤه
يا نَفْسُ دُونَكَ مَدَحَ أَحْمَدَ إِنَّهُ
إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مِنْ رَبِّهِ
الله فضله ورجح قدره
عَرَفُوهُ مَعْرِفَةَ الْيَقِينِ وَأُنْكُرُوا
فَأَبَادَ مَنْ أَبَدَى مُخَالَفَةَ لَهُ
وجلا ظلام الظلم لما أومضت
شيطان لا ينفي الضلال سواهما

لولاك ما غفر الذنوب مديح
كفارة لي والحديث صحيح
إن الكريم لربح مريوح
مسكك تمسك ريحهُ والروح
كرماً بكل فضيلة ممنوح
فليهنه التفضيل والتجريح
إن الشقي إلى الشقاء جموح
لم يعرف التحسين والتفريح
ومضت لديه صحائف وصفح
نور مفاض أو دم مسفوح

وله من قصيدة ذائعة الصيت :

كيف ترقى رقيبك الأنبياء
لم يساوك في علاك وقد حا
إنما مثلوا صفاتك للناس
أنت مصباح كل فضل فما تص
لك ذات العلوم من عالم الغيب
تتباهى بك العصور وتسمو
نسب تحسب العليا بجلاه
ومحيا كالشمس منك مضيء

يا سماء ما طاولتها سماء
ل سنا منك ذوهم و سناء
س كما مثل النجوم الماء
در إلا عن ضوءك الأضواء
ب ومنها لآدم الأسماء
بك علياء بعد علياء
قلدها نجومها الجوزاء
أسفرت عنه ليلة غراء

الشيخ عبد الرحيم البرعي

عبدالرحيم بن أحمد بن عبدالرحيم بن إسماعيل البرعي نسبة إلى قبيلة برع .
فقيه صوفي يعني من تامة عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وأوائل
القرن التاسع ، قرأ الفقه والنحو على جماعة ، و تأهل للتدريس .
وهو شاعر أجاد الغزل وبرع في قصائد الوجد الصوفي . و يتميز شعره بسهولة
المفردات و صدق العاطفة .

من رقيق شعره هذه المناجاة الجميلة :

أغيبُ وذو اللطائفِ لا يغيبُ	وأرجوه رجاءً لا يخيبُ
وأسأله السلامةَ من زمانٍ	بليتُ به نوائبة تشيبُ
وأنزلُ حاجتي في كلِّ حالٍ	إلى من تطمئنُّ به القلوبُ
ولا أرجو سواه إذا دهاني	زمانُ الجورِ والجارِ المريبُ
فكم لله من تدبيرِ أمرٍ	طوته عن المشاهدةِ الغيوبُ
وكم في الغيبِ من تيسيرِ عسرٍ	ومن تفريجِ نائبةِ تنوبُ
ومن كرمٍ ومن لطفٍ خفيٍّ	ومن فرجٍ تزولُ به الكروبُ
ومالي غيرُ بابِ اللهِ بابٌ	ولا مولى سواه ولا حبيبُ
حليمٌ لا يعاجل بالخطايا	رحيمٌ غيثُ رحمةِ يصبُ
فيا ملكَ الملوكِ أقلِّ عثاري	فإني عنك أنأتني الذنوبُ
وعاندي الزمانُ وقلَّ صبري	وضاقَ بعدك البلدُ الرحيبُ

ومما روي أنه يرحمه الله نظم هذه القصيدة في حجّه الأخير لما صار على بعد
٥٠ ميلاً من مكّة وقد أحسّ بدنوّ أجله ، فنظمها .. ولفظ مع آخر بيت منها
نفسه الأخير .

يا راحلين إلى منى بقياد	هيجتم يوم الرحيل فؤادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي	الشوق أقلقني وصوت الحادي
حَرَمتم جفني المنام ببعدمكم	يا ساكنين المنحنى والوادي
ويلوح لي بين زمزم والصفاء	عند المقام سمعت صوت منادي
ويقول يا نائماً جِدّ السرى	عرفات تجلو كل قلب صادي
من نال من عرفات نظرة ساعة	نال السرور ونال كل مراد
لبسوا ثياباً بيض شاراز الرضا	وأنا الملعوق قد لبست سوادي
فإذا وصلتم سالمين فبلغوا	مني السلام أهيل ذاك الوادي
صلى عليك الله يا علم الهدى	ما سار ركب أو ترنم حادي

وله رحمه الله تعالى من قصيدة يصف فيها للحبيب المصطفى صلى الله عليه
وسلّم :

بمُحمّدٍ خطر الحامد يعظم و عقود تيجان القبول تُنظّم
وله الشفاعة و المقام الأعظم يوم القلوب لدى الحناجر كُظّم
فَبِحَقِّهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا

قمرٌ تفرد بالكمال كماله و حوى المحاسن حسنه وجماله
وتناول الكرم العريض نواله و حوى المفاخر فخره المتقدّم
فَبِحَقِّهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا

والله ما ذراً الإلهة و ما برا بشراً ولا ملكاً كأحمد في الورى

فعلية صلى الله ما قلم جرى وجلا الدياتير نوره المتبسّم

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

طلعت على الآفاق شمس وجوده بالخير في أغواره و نُجُوده

فالخلقُ ترعى ريف رافة جوده كراماً و جازُ جنابه لا يهضمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سور المثاني من حروف ثنائه ومحامد الأسماء من أسمائه

والرسل تحشر تحت ظل لوائه يوم المعاد ويستجير المجرم

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والكون مبتهجُ بهاء بهائه و بجيم نجدته و فاء وفائه

فلسر سيرته و سين سنائه شرفٌ يطول وعروة لا تفصمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البدر مُحْتَقَرٌ بطلعة بدره والنجم يقصر عن مراتب قدره

ما أسعد المتلذذين بذكره في يوم تعرض للعصاة جهنم

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فعلية صلى الله كل عشيةٍ و ضحى و حياهُ بكل تحيةٍ

تهدى لخير الخلق خير هديةٍ و تعرّهُ و تجلّه و تكرمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

طمس الضلال بنور حق بينٍ ودعا العباد الى السبيل الاحسن

و لربما صدم الطغاة فيثني والقوم صرعى والمغانم تقسمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سبقت نبوته و آدم طينةً بوجود سر وجوده معجونةً

فيها المناصب والأصول مصونة و قُرَيْشُ أرحام لديه ومحرمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

طوبى لعبدٍ زار مشهدَ طيبةٍ و جلا بنور القلبِ ظلمةَ غيبةٍ

يدنو ويتدئى السلامَ بهيبةٍ ويمس تربَ الهاشميِّ و يَلثمُ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَبْرٌ يَحِطُّ الْوِزْرَ مَسْحُ تَرَابِهِ و يِنَالُ زَائِرُهُ عَظِيمُ ثَوَابِهِ

لَمْ لَا وَسْرَ الْمُرْسَلِينَ ثَوَى بِهِ قَمْرَ الْمُحَامِدِ وَ الرَّؤُوفِ الْأَرْحَمِ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هَظَلَّتْ لِعِزَّتِهِ السَّحَابُ وَظَلَلَتْ وَكَذَا الرِّيَّاحُ بِنَصْرِ أَحْمَدٍ أُرْسَلَتْ

وَعَلَيْهِ سَلِمَتِ الْغِزَالُ وَ أَقْبَلَتْ تَشْكُو كَنْطِقِ الْعَضْوِ وَهُوَ مُسْمَمٌ

فَبِحَقِّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الشاعر الشيخ أحمد الحلواني

هو العلامة أبو عبد الرحمن أحمد بن إسماعيل الحلواني الحلبي الشافعي، ولد سنة ١٨٣٣ في بلدة رأس الخليج من أعمال محافظة الغربية في مصر، حفظ القرآن ثم أتقن علوم الدين، وارتحل إلى طنطا لتحصيل العلم وانتهى به الأمر إلى الأزهر الشريف.

وفي قصيدته «مالي سواك»، يتوجه الحلواني مباشرة إلى الخالق جل وعلا، بواسطة محبة إليه وهي الاستغفار؛ حيث تتكرر مفردة «الاستغفار» كثيراً في القصيدة بمناجاة للخالق، ومن بعض ذلك التوسل:

أستغفر الله ربي	فأالله رب غفور
مما جناه جنائي	أو اللسان العثور
أو الجوارح مني	فإنها قد تثور
أو ظاهر ليس يخفي	أو باطن مستور
أستغفر الله مما	قد قلته وهو زور
إن سرت يوماً إليه	أطير حين أسير
وإن توخيت خيراً	صرفاً فكم أستخير
وإن تهمت يوماً	إليه جاء القتور
وللتقدم أنوي	فيعرض التأخير
هبني تقدمت ماذا	يجدى وقلبي نفور
وهبه غير نفور	هل فيه ثم حضور
عدمته من فؤاد	عند الصلاة يطير
أنوى فيذهب لي	وفي السلام يحور
أظل أحسب فيها	وما تحتويه الدهور
كأنني بحسابي	موكل أو أجير

فلو تراني فيها
يا ويلنا من ذنوب
وآه من كل إثم
ومن مقاصد سوء
قبائح كنت فيها
سررت منها زمانا
نسيتها و دعاها
ماذا أقول لربي
يا رب أنت رحيم

لقلت ذا مبهور
فجورها مفجور
عليه يطوى الضمير
جرى به التعبير
أسري وطورا أسير
وغمها مذخور
كتابي المسطور
إذا بدا التحرير
وبالسماح جدير

ابن عطاء السكندري ... (قطب العارفين)

(٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

المطالع لحكم ابن عطاء الله السكندري، يدخل للوهلة الأولى عالماً أسراً، مدهشاً، صادقاً، و متماساً مع الحقيقة التي تختزل علاقة الإنسان بربه في أزهى تجلياتها.

ربما تعود شهرة الحكم العطائية وقبولها وانتشارها إلى أن صاحبها جمع باقتدار وتمكن بين العلوم الفقهية والتفسير، وبين عمق النظرة الصوفية.

هو فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة، بل أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية ولد أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن عطاء الله السكندري، والشهير بابن عطاء الله السكندري سنة ٦٥٨ هـ في مصر، وقد وصل أجداده المنسوبون إلى قبيلة جذام إلى مصر بعد الفتح الإسلامي واستوطنوا الإسكندرية، حيث نشأ كجد له الولد الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله، فقيهاً يشتغل بالعلوم الشرعية، وتلقى منذ صباه العلوم الدينية والشرعية واللغوية، وصحب شيخه أبا العباس المرسي بالإسكندرية فأعجب به إعجاباً شديداً، وأخذ عنه طريق الصوفية وأصبح من أوائل مُريديه، وتدرج ابن عطاء في منازل العلم والمعرفة حتى تنبأ له الشيخ أبو العباس يوماً فقال له: (الزم، فو الله لئن لزمتم لتكونن مُفتياً في المذهبين).

توفي ابن عطاء الله رحمه الله سنة ٧٠٩ هـ في القاهرة تاركاً العديد من الكتب والحكم بلغ عددها ٢٦٤ حكمة، وقد ترجم العديد منها إلى اللغة الإنجليزية والإسبانية، ولم تقتصر حكمة ابن عطاء الله على النشر بل شملت قصائد كثيرة تميزت بذلك الفيض من الحب الإلهي الذي كللها بتاج نوراني مشرق.

ومن بين تلك القصائد قصيدته المشهورة «ظهرت لكل الكون» التي يناجي فيها ربه، ويجسد فيها إحدى حكمه المعروفة وهي: «لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك».

يبتدئ السكندري قصيدته منشدًا:

ظهرت لكل الكون فالكون مظهر وفيه له أيضا كما جاءت الصحف
فأي فؤاد عن وداك ينثني وأية عين بعد قربك لن تغفو

يصف السكندري في البيتين السابقين معنى شهود المؤمن لله في كونه، حين تراه البصائر لا الأبصار، في قدرته وبديع صنعه في الكون الفسيح، ما يجعل أي فؤاد سليم الطوية لا يفتز ولا ينثني عن وداد المحبوب الأعظم، ولا تستطيع أية عين بعد تحقق ذلك الشهود أن تغفو، فتشعر النفس بالحاجة الدائمة إلى ربه، وبمزيد من التعلق والأنس به، وتبصر نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى فتحس بالتقصير .

والآن مع المناجاة العذبة للشيخ الجليل :

ظهرت لكل الكون فالكون مظهر
فأي فؤاد عن وداك ينثني
وكلي محتاج وأنت لك الغنى
وأنت الذي أبدى الوداد تكرماً
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلاً
عزمت على أن أترك الكون كله
وفيه له أيضا كما جاءت الصحف
وأية عين بعد قربك لن تغفو
ومثلي من يخطي ومثلك من يعفو
ومثلك من يرمى ومثلي من يجفو
ولم يصف لا والله أنى له يصفو
وأقفو سبيل الحب والمجتبى يقفو

ثم يطلق السكندري بعد ذلك في قصيدته يعدد ميزات تلك البصيرة التي
شاهدت عظمة الخالق في كونه، وكذلك ميزة التحقق من ذلك، والإحساس به
والاستغراق فيه فيقول :

شهودكم يجلو الحجاب لأنه إذا حقق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحباب في كل حالة فله ما يبدو والله ما يخفوا

أما الذين لم يشهدوا بقلوبهم وبصائرهم ذلك المشهد العظيم، فهم محجوبون وراء
أستار قلوبهم الغلف، كما يقرر ابن عطاء الله حين يضيف قائلاً في نفس
القصيدة:

وأنت الذي أظهرت ثم ظهرت في جميع المبادي مثلما شهد العرف
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر وفيه له أيضاً كما جاءت الصحف
وأية نفس لم يملها هواكم على حبكم طرا نفوس الورى وقف
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد قلوبهم عن نيل سر الهوى غلف

ولعل ابن عطاء يستغرب مع مزيج من الدهشة والاستنكار كيف لا يبصر
أولئك عظمة الله الماثلة في كونه والذالة عليه حين يقول :

وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد قلوبهم عن نيل سر الهوى غلف
وله رضي الله عنه :

مرادي منك نسيانُ المراد إذا رُمّت السبيلَ إلى الرّشادِ
وأنّ تدعّ الوجود فلا تراه وتُصبح مالكاً حَبْلَ اعتمادِ
إلى كم غفلةٍ عني و إني على حفظِ الرعاية والودادِ
وؤدّي فيك لو تدرى قديمٌ ويوم السبت يشهد بانفرادي
وهل ربُّ سواي فتربّجيه غداً يُنجيك من كربٍ شداد

فوصف العجز عم الكون طراً
وبي قد قامت الأكوان طراً
أبي دارى وفي ملكي وفلكي
وها خلعي عليك فلا تُزها
ووصفك فالزمنه وكن ذليلاً
وكن عبداً لنا والعبد يرضى

فمفتقر بمفتقر يُنادى
وأظهرت المظاهر من مرداي
توجهه للسوى وجه اعتماد
وصن وجه الرجاء عن العباد
تر منى المنى طوع القياد
بما تَقصى الموالي من مُراد

علي بن محمد وفا

العارف علي بن مُجَّد وفا القرشي الانصاري الشاذلي المالكي، ولد بالقاهرة سنة ٧٥٩ هجرية، ولما توفي أبوه مُجَّد وفا ترك ولده علي وفا وأخاه أحمد صغيرين في كفالة وصيهما تلميذه الشيخ الزيلعي .

ولما بلغ رحمه الله تعالى من العمر سبعة عشر عاماً جلس مكان أبيه في زاويته فشاع ذكره في البلاد وكثر أتباعه ومريدوه ، وقد كان رضى الله تعالى عنه في غاية البهاء والجمال، له نظم وموشحات رقيقة في أسرار أهل الطريقة .
قال عنه الشعراي :

((كان في غاية الظرف، والجمال لم ير في مصر أجمل منه وجهاً، ولا ثياباً وله نظم شائع، وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق وسكرة الخلاع رحمه الله تعالى))

وقال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر بأنباء العمر : ((وكان يقظاً حاد الذهن اشتغل بالأدب والوعظ وحصل له أتباع وأحدث ذكراً بالحن وأوزان يجمع الناس عليه وكان له نظم كثير واقتدار على جلب الخلق مع خفة ظاهرة))^١

وله من المؤلفات : الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والكوثر المترع في الأبحر الأربع ، والواردات الإلهية المسمى بالوصايا

تكلم رحمه الله تعالى في شعره عن الفناء كمحوٍ للنفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد وقد أشار إلى ذلك فقال
من قصيدة له

يظنّوا بي حلولا واتحادا وقلبي من سوى التوحيد خالي

وله رحمه الله من قصيدة جميلة :

^١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦

أطع امرنا نرفع لأجلك حجبنا
فإننا منحنا بالرضا من أحبنا
و لُذ بحمانا واحتمي بجنابنا
لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وكن في حمانا خاضعاً متذللاً
وأخلص لنا تلق المسرة و الهنا
وسلّم إلينا الأمر في كل ما
يكن فما القرب و الإبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا في الأمور فكل
من أردناه أحببناه حتى أحبنا
ينادى له في الكون أنا نجه
فيسمع من في الكون أمر محبنا
و يكسى جلالاً بالوقار لأنه
أقام بإذلال على باب عزنا
رفعنا له حجبا أبجناه نظرة
إلينا و أودعناه من سر سرنا
تمسك بأذيال المحبة واغتنم
ليال بها تحظى بأوقات جمعنا
وقم في الدجى فالليل ميقات من
يرد وصال حبيب فاغتنم فيه وصلنا
وسر نحونا لا تخش في الليل ظلمة
وكن ذاكراً فالأنس في طيب ذكرنا
و عن ذكرنا لا يشغلنك شاغل

ولا تنسنا واقصد بذكرك وجهنا
ولا تنس عهدا قد أخذناه
أولا عليك بإقرار كتبناه عندنا
ولا تنس إحسانا بسطناه عندما
جهلت فقربناك حتى عرفتنا
أمرناك أن تأتي مطيعا لبابنا
فأبطأت كاتبناك مع خير رسلنا
نسيت فذكرناك هل أنت ذاكر
بإحساننا أم أنت ناسٍ لعهدنا
سألت فأعطيناك فوق الذي تُرد
عصيت فأمهلنا عليك بجلمنا
غفرنا تكرمنا عليك بجلمنا
تسترت أسبلنا عليك بسترنا
أيا خجلتي منه إذا هو قال لي
أيا عبدٍ سوءٍ ما قرأت كتابنا
أما آن أن تقلع عن الذنب
راجعا إلينا و تنظر ما به جاء وعدنا
وقلنا لأهل الحب في خلوة
الرضا أبجناكم الرؤيا تملّوا بحسنا
فلو شاهدت عيناك من
حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو لاح من أنوارنا لك لائح
تركت جميع الكائنات و جئتنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة
لَمَتَّ غراماً و اشتياقاً لقربنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة
عذرت الذي أضحى قتيلاً بجننا
ومن جاءنا طوعاً رفعناه رتبة
وعنه كشفنا الهمَّ والغم والعنا
فما حبنا سهل وكل من ادعى
سهولته قلنا له قد جهلتنا
فقال خواصُّ العاشقين تذلاً
يطيب لنا في معرك الحب قتلنا
فلا دية نرضى بها غير نظرة
إليك و لكن نظرة منك تكفنا
وعرّفنا إياك فالحمد دائماً
لوجهك إذ ألهمتنا منك رشدنا
وألهمتنا الإسلام ثم هديتنا
بواسطة منّا به قد هديتنا
مُجَّد المبعوث للخلق رحمة
أجلّ الورى المختار طه شفيعنا
أجلّ رسول قد أتى بشفاعة
و دين قويم وهو عصمة أمرنا
عليك صلاة الله فهو إمامنا
وخيرتنا و الملتجى يوم حشرنا

كما يقول واصفاً وجدته :
 رُوحي لِحَيِّكَ قَدْ رَاحَتْ و ما رَجَعَتْ
 كأنها منك فازت بالذي طَمَعَتْ
 تَرْتَحِ الذِّكْرُ فِي أَقْطَارِ مَسْكِنِهَا
 فَحَرَّكَتْ لِلْحِمَى أَعْطَافَهَا و سَعَتْ
 إِنْ كَانَ قَدْ حَصَلَتْ فِي الْحَيِّ أَوْ وَصَلَتْ
 لِبَابِهِ فَلَهَا الْبُشْرَى بِمَا صَنَعَتْ
 الْفَرْحُ يَقْدُمُهَا وَ السَّعْدُ يَخْدُمُهَا
 وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا و مَا جَمَعَتْ
 وَ إِنْ تَكُنْ وَقَعَتْ مِنْ دُونِ مَا عَرَفَتْ
 فَفِي الَّذِي جَزَعَتْ مِنْهُ إِذَنْ وَقَعَتْ
 يَا لَيْتَهَا رَضِيَتْ بِالذِّكْرِ إِذْ حَظِيَتْ
 يَا لَيْتَهَا صَبَرَتْ يَا لَيْتَهَا قَنَعَتْ
 لَكِنَّهَا أَبَدًا تَرَجُّو نَدَاكَ وَ مَا
 يَخِيْبُ رَاجِي أَيْادِكَ الَّتِي وَسِعَتْ
 وَ إِنِّهَا عَنْكَ يَا سُوْلِي و يَا أَمَلَا
 وَاللَّهِ لَوْ قُطِعَتْ بِالْهَجْرِ مَا انْقَطَعَتْ
 وَاللَّهِ مَا رُويَتْ و اللّهِ مَا ظَمِئَتْ
 وَاللَّهِ مَا سَهَرَتْ و اللّهِ مَا هَجَعَتْ
 إِلَّا و أَنْتَ الرُّوَا أَوْ أَنْتَ مُعْطِشُهَا
 أَوْ أَنْتَ مَا نَظَرَتْ أَوْ أَنْتَ مَا سَمِعَتْ

كما انه يقول في المحبة وما يعاني :
حققتُ عهدَ محبتي وولائي
بشهودِ توحيدي و حُكمِ وفائي
و شهدتُ فيكَ حبيبَ قلبي راحتي
و حياةَ أرضي و ابتهاجَ سمائي
و ألفتُ فيكَ تعشقي و تشوّقي
و تحرّقي و تمزقي وفنائي
و خلا لقلبي فيك منك منيتي
و ترؤخني و عنايتي وعنائي
يا نافثاً سحرَ الغرامِ بمهجتي
و مشيرَ نارِ الوجدِ في أحشائي
أطلعتَ في فلِكَ الملاحِةِ و السناءِ
شمسَ الهدى في الليلةِ الليلاءِ
فسيبتني بجمالها لما بدتُ
محبوبةَ المعنى بصون بهاءِ
حسنا نوّعتَ المحاسنِ إذ أتت
بصفتها في أحسنِ الأسماءِ
و لقد خلعتُ بها العذارَ تهتكاً
و أنا الذي روحَ الحياءِ ردائي
يا مَنْ تحجّبَ بي عليّ بباطني
عن ظاهري فهو القريبُ النائبي
عدني فديتكِ يا حياتي مثلما
أفنيتهني يا أرحمَ الرحماءِ

و اَرْحَمَ بِعِزِّكَ ذِلَّتِي يَا مُنِيَّتِي
تَغْنِي بِلَطْفِكَ أَفْقَرَ الْفُقَرَاءِ
صَبُّ عَلَى حَمَلِ الْهَوَى ذُو مِرَّةٍ
و عَنْ التَّصَبُّرِ أضعْفُ الضَّعْفَاءِ
و اصْرَفْتُ إِلَى صِفَةِ الْجَمَالِ صَبَابَتِي
بشُهُودِ تَوْحِيدِي و حَكْمِ وِفَائِي
و يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا بَقِيَ إِلَّا التَّفَانِي حَبِذَا فِي الْحُبِّ نَحْبِي
إِنِّي بِالْمَوْتِ رَاضٍ هَكَذَا حَالُ الْمُحِبِّ
رَقٌّ لِي و انْظُرْ لِحَالِي أَنْتِ أَدْرِي بِالَّذِي بِي
أَنْتِ دَائِي و دَوَائِي فَتَلَطَّفِي يَا طَبِيبِي
إِنْ يَكُنْ يُرْضِيكَ قَتْلِي فَاجْعَلِ الْقَتْلَ بِقُرْبِي
إِنِّي بِالْوَصْلِ أَفْنَى هَكَذَا حَالُ الْمُحِبِّ
وَلَهُ أَيْضًا :

مَا دُمْتُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَالْهِنَا مَدَدِي
والبَسْتُ حَالِي و الأَفْرَاحُ طَوْعُ يَدِي
أَنْتُمْ حَيَاتِي فَإِنْ شَاهَدْتَكُمْ حَضَرْتُ
وَإِنْ حُجِبْتُمْ تَغَيْبُ الرُّوحِ عَنْ جَسَدِي
لَا غَيْبَ اللَّهُ عَنِّي وَجْهَكُمْ أَبَدًا
حَتَّى يَطِيبَ بِكُمْ عَيْشِي إِلَى الْأَبَدِ

أنا الفقيرُ إليكم و الغنيُّ بكم
فليس لي بعدكم حرصٌ على أحدٍ
يا عِزَّةً ظَهَرَتْ فِي رَحْمَةٍ نُشِرَتْ
على القلوبِ بِسِرِّ الوجدِ و الرشدِ
مُنُّوا عَلَيَّ بِتَخْلِيدِ الأمانِ كَمَا
جُدْتُمْ عَلَيَّ بِمَا لَا كَانَ عَلَيَّ خَلْدِي
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَكُمْ عَبْدًا عَلا شَرَفًا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَبْدَكُمْ فِي القَوْمِ لَمْ يَسُدِ
أَنْتُمْ وُجُودِي و مَوْجُودِي و وَاجِدُهُ
لا أَعْدَمَ اللهُ أَهْلَ الوجدِ مِنْ مَدَدِي

الإمام جمال الدين الصرصري:

عندما دخل التتار بغداد في سنة ٥٦٥ ارتكبوا الكثير من الآثام التي حكت عنها كتب التاريخ، وكان ضمن ما اقترفوه قتلهم الصوفي الشاعر الصرصري، بعدما دعاه قائدهم لملاقاته، فرفض فدخلوا عليه، فما كان منه إلا أن ألقى عليهم الحجارة والحصى، وقيل بأنه قتل أحدهم بعكازه قبل أن يستشهد.

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الدُّنُوبَا وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَتُوبَا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينًا عَلَى زَلَّاتِهِ قَلِقًا كَثِيرًا

إنه يحيى بن يوسف الأنصاري الصرصري، الشاعر المادح الحنبلي الإمام في اللغة والفقه والسنة والزهد والتصوف المولود سنة ٥٨٨ والمتوفى سنة ٦٥٦ هجرية، من أهل صرصر، وهي قرية من بغداد التي سكن بها وكان ضريباً قارئاً للقرآن وعاملاً به.

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي سَطَرْتُ عَلَيْهِ صَحَائِفُ لَمْ يَخْفَ فِيهَا الرَّقِيبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا فَمَا لِي الْآنَ لَا أُبْدِي النَّحِيبَا

كان محبا للنبي الكريم حتى قيل إنه لم يكن هناك أحد أكثر شعراً منه في هذا الباب، وبلغت قصائده نحو عشرين مجلداً، وكان زاهداً عابداً صبوراً قنوعاً، وكان طويل النفس في الكتابة حتى أن له قصائد تتجاوز المئات من أبيات الشعر.

أَنَا الْعَبْدُ الْمُفْرِطُ ضَاعَ عُمْرِي فَلَمْ أَرَعْ الشَّيْبَةَ وَالْمَشِيْبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْعَرِيقُ بُلُجِّ بَحْرِ أَصِيحُ لِرُبَّمَا أَلْقَى مُجِيبَا

قال عنه الذهبي (كان إليه المنتهى في معرفة اللغة وحسن الشعر، وديوانه ومدائحه سائرة)، وقال ابن رجب: (أبو زكريا، شاعر العصر، وصاحب الديوان السائر في الناس في مدح النبي كان صالحاً قدوة، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة، عفيفاً صبوراً قنوعاً، محباً لطريقة الفقراء ومخالطتهم) .

أَنَا الْعَبْدُ السَّقِيمُ مِنَ الْخَطَايَا وَ قَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتَمِسُ الطَّيِّبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْمُخَلَّفُ عَنْ أَنْاسٍ حَوَّوْا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبَا

وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: (الصرصري المادح ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ، فلذلك يشبهه في عصره بحسان بن ثابت، رضى الله عنه، في ديوانه المكتوب عنه في مديح رسول الله ﷺ، وقد كان ضير البصر، بصير البصيرة) .

أَنَا الْعَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ قَدْ وَافَيْتُ بِأَبْكُمْ مُنِيبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي إِلَيْكُمْ فَأَدْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَا

إنه الصرصري المحب الزاهد الذى يملك شهد الكلام في محبة الله ورسوله.
ومما قاله رضى الله عنه :

يا ربة الستر لا انجابت غواديك

عن جو مغناك أو يخضر واديك

وأنت يا عذبات البان , لا برحت

تهيج أشواقنا ألحان شاديك

وماس عن كل غصن منك من طرب

عطف و تهمت دلالاتي في تهاديك

و يا مياه الحمى لا زلت طيبة

يروى بشرب الزلال العذب صاديك

ويا نصيب صبا نجد لقد رقت
روحي بمسراك وهنا عرف مهديك
ويا فوارط أيامي بخيف مني
لو كان يفدي زمان كنت أفديك
ويا رسائل وجد لا أبوح بها
الى الأعبة عندي ما يؤديك
أخفيك عن عذلي صونا وتكرمة
بل المدامع و الأنفاس تبديك
ويا ركاب الحجاز القود , لا نقبت
من السرى أبدا أخفاف أيديك
ولا عدلت عن النهج القويم , ولا
مالت الى غير أحبائي هواديك
ونلت ما شأت من ورد ومن كلاً
ولا نبا السمع عن تغريد حاديك
كم ذا التماذي , ذرى التعليل و
ابتدري الى الحما فعنائى في تماديك
سيرى فأقمار المحامل ان
حار الأدلة في البيداء تهديك
فتحت بالرشد عن عيني بعد عمى
و أسمع السر من قلبي مناديك
اني وان تك أضحت عنك نازحة
داري لأرعى بظهر الغيب واديك
وأنت لا تجزعي يا نفس من بدع

مضلة و ضياء الله هاديك
أجارك الله لولا درع سنته
لكان سهم الهوى الفتاك يرديك

ومن جميل شعره رحمه الله تعالى :
يا سائق الركب لا تعجل فلي إرب
فوق الرواحل حالت دونه الحجب
لعل بدر الدجى يرخي اللثام لنا
عن عارضيه فيشفى الواله الوصب
ماذا على ظاعن شط المزار به
لو أنه في الدجى يدنو و يقترب
فربما وجدت برداً به كبد
جری بنار الجوى والشوق تلتهب
فإن حبكم وسط الحشاشة لا
تناله غير الأيام و النوب
فؤاده نازح مستأنس بكم
و جسمه و هو بين الأهل معترب
ما هب من نحوكم في الصبح ربح
صبا إلا وهز إليكم عطفه الطرب
ولا ترنم قمري على فنن
إلا وظل من الأشواق ينتحب
يحن نحو الحمى إذ تنزلون به
و ليس بينهما لولاكم نسب

وإن جرى ذكر سلع في مسامعه
فإنه لدواعي وجده سبب
سحت غمام أنوار المزيد على
فبابه البيض سحا دونه السحب
فهي الشفاء لأسقامي وساكنها
هو الحبيب الذي أبغى و أطلب
يا ناقتي لا يعشاك الضلال ولا
مس القوائم منك الأين و النصب
سيرى إلى ان تحلى أرض أفضل من
في الأرض شد إلى أقطاره القتب
مُجد خير مبعوث بمرحمة
من خير بيت عليه أجمع العرب
مهذب طاهر طابت أرومته
و طاب بين الورى أم له وأب
أتاهم بكتاب صدق الصحف ال
أولى كما صدقت آياته الكتب
دعا إلى الله رب العرش وهو على
بصيرة لا تغطّي نورها الريب
صلى عليه إله العرش ثم على
أصحابه فهم الأعيان و النجب
أزكى صلاة و أنماها و أدومها
و أجر ذلك عند الله احتسب

وله رحمه الله تعالى :


ذكر العقيق فهاجه تذكاره
وهفت إلى سلع نوازع قلبه
يشتاق واديهها ولولا حبها
شغفاً بمن ملك الفؤاد بأسره
لولا هواه لما ثنى أعطافه
يا من ثوى بين الجوانح والحشا
عطفا على قلب بجزك هائم
لا يستفيق من الغرام وكلما
ما اعتاض عن سمر الحمى ظلاً
فاق البسيطة عزة ومهابة
يحمي النزيل وكيف لا يحمي وقد
أضحى ثرى عرصاته إذ حلها
سبحان من جمع المحاسن كلها
جبلت على التشريف طينته فما
وحوى الفخار سريره وفراشه
و تزوعت أردان بردته به

صبُّ عن الأحباب شط مزاره
فتضمرت بين الجوانح ناره
لم يُصْبِهِ وادٍ زهت أزهاره
وبوده أن لا يفكك إسماره
بان الحجاز ورنده وعراره
مني وإن بعدت علي دياره
إن لم تصله تصدعت أعشاره
حجبوك عنه تهمتكت أستاره
ولا طابت بغير حديثكم أسماره
فسما وعزٌّ من البرية جاره
حفت بجاه المصطفى أقطاره
يشفي من الداء العضال غباره
فيه فتمَّ بهأؤه وفخاره
نشأت على غير العلى أطواره
وخيامه وقبابه وجداره
طيباً وطاب ردأؤه وإزاره

وله من قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مُجَّد المبعوث للناس رحمةً
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيئةً
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه
وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا
وإن كانت الريح الرُّخاء مطيعةً
فإن الصبا كانت لنصر نبينا ورع
وإن كان إبراهيم أُعطي خلةً
فهذا حبيب بل خليل مكلم
وخصص بالحوض الرِّواء وباللِّوا
وبالمقعد الأعلى المقرب ناله
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها
وهنَّو إلى الجنات أول داخلٍ

يشيّد ما أوهى الضلال ويصلح
لداود أو لأن الحديد المصفح
وإن الحصا في كفه لئسبِّح
فمن كفه قد أصبح الماء يطفح
سليمان لا تألو تروح وتسرح
ب على شهر به الخصم يكلح
وموسى بتكليم على الطور يُمنح
وخصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
ويشفع للعاصين والنار تُلْفح
عطاءً لعينيه أقرُّ وأفرح
مراتب أرباب المواهب تلمح
له بأها قبل الخلائق يُفْتَح



وقفة ...
مع شعر التصوف

أوقف الشعراء الصوفيون شعرهم على التصوف حتى صار التصوف محور حياتهم والموضوع الوحيد الذي يصدر عن قصائدهم وأشعارهم وصارت اغراضه هي موضوعات التصوف ذاتها .

لذلك اصبح فهم قصائدهم يستدعي فهم الموضوع الذي قيلت فيه فلا يفهم شعرهم الا اذا عُرف التصوف وفُهم ، فَشِعْرُ القوم تعبير عن تجربة من داخلها حتى فرضت تلك التجربة او العلاقة على الشاعر نفسها فكتب بمفرداتها واصطلاحاتها وقوانينها ومقاماتها واحوال السالكين فيها .

وإذا كان شعر الزهد والوعظ والحكمة وهي الشكل الأول للتعبير عن التصوف والخطوات الأولى للدخول في عوالمه كانت بعمومها ذات غرض اخلاقي تعبدي أكثر من كونها ذات نزعة روحية باطنية ... فكانت واضحة المعاني واضحة المقاصد تستعمل مفردات ومصطلحات الشعر العام وان كانت تختلف معه في الأغراض ، فهي تتحدث عن ذم الدنيا وزخرفها والتذكير بالآخرة والحث على تفرغ القلب مما سوى الله تعالى .

اما الشكل الثاني من أشكال شعر التصوف فهو شعر الحب الإلهي والذي جاء كمرحلة تالية لشعر الزهد .

وإذا كان شعر الحب الإلهي يدور حول غرض واحد هو محبة الله سبحانه والوجد فيه والشوق اليه ولوعة البعد عنه الا انه وان كان المدخل اليه واحد الا ان التفرعات داخله متعددة .

فحين تكون المحبة الصوفية وكما يراها الشبلي :

(تمحو من القلب كل ما سوى المحبوب)^١

الا ان هذه المحبة تختلف باختلاف الحب ، وحاله ، مقامه وبالتالي قربه من الله ... ولأن الله سبحانه وتعالى طرقاتاً وسُبُلًا بعدد انفاس خلقاته ، كانت التفرعات

^١ الرسالة ص ٦١٥

داخل الحب ، وتعددت المسالك وكان على الحب ان يعبر عن كل هذه التنوعات وما فيها من شوق ولوعة فالحب لا يصل إلى درجة الحب مرة واحدة، فهناك أحوال ومقامات لا بد أن يمرَّ بها، وقد أوضحها أبو الحسن الشاذلي بأنها تبدأ بريضة النفس والسيطرة عليها، ثم القدرة على التحكُّم في شهوات القلب، ثم إذا استطاع المحب سياسة روحه، وتمت له المعرفة هبَّت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً إلى تمام نهاياته.

يقول الشاذلي: (وهذه طريقة العامة، وأما طريق سلوكه فتضمحل العقول في أقل القليل من شرحها)

وعندما يكون الشعر تعبيراً عن العلاقة بالله ، يصبح الحديث عن ثنائية القرب والبعد ضرورة تفرض نفسها .

فالله سبحانه هو الموجود الحق يتلمَّسه الصوفي في نسَمات الصباح وعند هبوبها في الليل ، وفي تغريدة البلبل وفي صوت الناي ، وفي كل المرئيات حوله ، الا انه ، وهو محور الشعر وغرضه بل محور الحياة للصوفي وكل تفاصيلها فهو سبحانه موجود مفقود ، مفقود حيث لا رؤيا تتم ولا شهود الوجود والتحقق فيه ، ومن هنا كانت لوعة الصوفي التي عبّر عنها في شعر المحبة .

فحين كان غرض الشعر الصوفي الزهد او التوكل او الرجاء فالله سبحانه وتعالى قريب يجيب دعوة الشاعر ويسمع همسه ، و حين تكون مفردات شعر المحبة الإلهية الوجد واللوعة والحرقه وتمني الوصل ، حينها تكون المعاناة التي يرسمها شعر المحبة من خلال ثنائية القرب والبعد ، القرب الذي يملأ الشاعر والبعد الذي يفرض نفسه بكل مواجيده واشواقه .

ان الحديث عن شعر المحبة الإلهية حديث عن ذلك الشوق وذلك الحب الذي كان ابتداءه تلك النفخة الربانية وذلك القرب الذي سما بالإنسان ، وأوقع له الملائكة سُجّداً ، روحٌ من روحِ الله تأهل بها أن يكون خليفته في الأرض، مُحمّلاً

برسالته داعياً في برياته ، فصيرته إنساناً يسعى في حياته بين الذكر والفكر ،
امتلاً قلبه حُباً، وفاض رحمةً وجمالاً .

كان البدء حين شَهِدَتْ تِلْكَ الأرواحَ أعظمَ إِشهاد، وأوثقَ ميثاق، حين
خُوطِبَتْ مِنْ قِبَلِ النُّورِ الأقدسِ بِخِطابٍ " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " فِي عَالَمِ الدَّرِّ، حَيْثُ
كَانَتْ الأرواحُ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾

ذلك اللقاء الذي صيّر الصوفي صوفياً يسعى في حياته بين الذكر والفكر، امتلاً
قلبه حُباً، وفاض رحمةً وجمالاً، صيّر إنساناً يرى الجمال في أدق تفاصيل حياته
، في الصّباح، والشمسُ تنشرُ خيوطها الذهبية، وفي المساء، والقمرُ يتلألُ في
السّماء، في الرّبيع وأزهاره، وفي العود وأوتاره، في الرّيح وهي تمسُّ في أذنِ
الوجود، وفي النَّاي يُداعِبُ قُلُوبَ العاشقين .

وكلما كبرت الرؤية واتسعت ضاقت العبارة واستحالت الكلمات أسواراً
وسجون والكلمات تلهث خلف العاشق الذي يخوض غمار تجرّبه الرّوحية بحثاً
عن الله، في الآفاق، وفي نفسه، في آياته الكونية، وفي كلماته العلوية، في قرآنه
المنظور، وفي كونه المسطور،

تذوّق حلاوة الإيمان، فصار همّه ان يملأ الأرض بفكره، ويناجي السّماء بذكره .
فكانت معاناته كبيرة كحُبّه .

روحه من عند الله منبعها ، تسبح في ملكوته ، زادها الشوق والمحبة ، والشعر
يسعى خلف الصوفي يللم أشواقه ومعاناته ووجده ليصوغه سحر بيان ولوحة
حب .

فكان خلف المباني معاني، ووراء العبارات إشارات، يُدركُ كُنْهَهَا من بَرِّحَ به طولُ البحث، وبرت جسده لوعهُ الشوق، ويعلمُ حقيقتَهَا من خلع ربة التقليد من عنقه، ونزع ثوب الرذائل، وتخلّى بأشرف الفضائل، فحينها يدخلُ المباني فيُخرجُ المعاني، ويقرأ العبارات فيفهمُ الإشارات، وتُزالُ العوائق، فتتجلي الحقائق. يقول جلالُ الدين الرومي حاكياً عن العشق الإلهي " ولا يُمكن تعليمُ درس العشق برسائلِ الفلسفةِ وعلم الكلامِ والمنطق؛ لأنَّ العشقَ ليست له أجدية، وكُلَّ سَعِيٍّ إلى بيانِ العشقِ وإيضاحِهِ وتفسيرِهِ لا طائلُ مِنْ ورائِهِ".

ويقول الرافعيّ مازجاً بين التوعين: (فليت شعري كيف تصنعُ هذه القوّة في الإنسان وهي فيه أمانة ثمَّ رغبة زائدة عليها، ووفاءً ثمَّ غاية أعلى منه، وحبُّ إنسانيّ ذاهبٌ إلى طَرَفِهِ الإلهيِّ، وشيء معلوم ثم شيء مجهول في معلوم؟)
الله هو المحبّ الأول للإنسان، فلولا محبّته لما خرّجنا من غياهب العدم إلى أنوار الوجود، ولما كرمنا في الجنة بالسجود، وكُلَّ حُبِّ نَقِيٍّ، فمُنْتَهَاهُ اللهُ العليّ، فهو الأوّل والآخِر، والمبدئ والمعبد، والكلامُ في الحُبِّ طويلةٌ ذبُولُهُ، بل لا نهاية لها . ولهذا كانت الرؤية كبيرة ، متسعة ، تقصّر عنها العبارة ، وعلى الشعر ان يتحمل هذه المعاناة .



الطرق الصوفية

(ربما كانت العقيدة الإسلامية، من بين العقائد الموروثة، هي العقيدة التي يظهر فيها بوضوح التفرقة بين جزئين متكاملين هما؛ الظاهر، والباطن، أعني “الشريعة” وهي الباب الذي يدخل فيه الجميع، و”الحقيقة”، ولا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار، وهذه التفرقة ليست تحكمية، وإنما تفرضها طبيعة الأشياء، مع أن الباطن لا يعني فقط الحقيقة، وإنما يعني كذلك السبل الموصلة إليها، أعني الطرق التي تعود بالإنسان من الشريعة إلى الحقيقة، والطريقة والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما “التصوف”، والتصوف ليس مذهباً لأنه الحقيقة المطلقة، والطرق ليست مدارس مختلفة، لأنها طرق، أي سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة، والتصوف ليس شيئاً أضيف إلى الإسلام، وإنما هو جزء جوهري من الإسلام)^١

الطريق والطريقة مترادفان ، والطريق لغة هو السبيل الذي تطرقه وتضربه الأرجل ثم صار كل مسلك يسلكه الإنسان في افعاله يسمى طريقاً .

وبعد ظهور التصوف كمنهج واستمرار الحركة الزهد اصبح للطريقة مدلولاً اصطلاحياً يُقصد به :

مجموعة قواعد وقوانين وأسس التربية التي يضعها المشايخ لمريديهم حتى يخالفوا هوى أنفسهم ويلجأون الى الله ظاهراً وباطناً ليحضوا برحمة الله ويفيض عليهم برضوانه ويتحققون بِصدق توحيده سبحانه .

وان كانت الغاية واحدة لكل الطرق الا ان السبل الموصلة اليها تختلف بين شيوخ التصوف فكان لكلٍ طريقةٍ منهجها واسلوبها في الوصول الى الغاية .

وطبيعي ان تختلف عملية تربية المرید بحسب اختلاف المرين ، فالطرق الى الحق سبحانه متعددة ومتنوعة ، وان كانت تلتقي كلها بنهاية واحدة .

فاختلفت الأوراد واختلفت اعدادها واختلفت مجالس الذكر واساليب الذكر

^١ المفكر والفيلسوف الفرنسي المسلم الشيخ عبد الواحد يحيى (رينيه جينو)

فيها وتنوعت واجبات المريدين ومسالكتهم .
فكانت الطريقة الجيلانية والطريقة الرفاعية والشاذلية والأحمدية والسمانية
والميرغنية وتعددت الأسماء وتعددت المشارب .. وبقي المورد واحد .
وجميع الطرق الصوفية وان اختلفت في بعض تفاصيلها وأساليبها الا انها تلتقي
(اضافة الى الغاية الجامعة) بأصول مرعية مثل ضرورة وجود شيخ يأخذ منه
المريد ويسلك على يديه ، وان لها أذكراً يرددها المريدون في مجالسهم او في
خلواتهم ، وان تكون لهم خلوات وزُبط وغيرها ، اضافة الى التزامهم
بالأحكام التشريعية والتكليفات التي لا رخصة فيها .
وفي ذات الوقت فإن لكل طريقة مفهومها عن الولاية والكرامات والمقامات
والأحوال ولغتها الاصطلاحية .

إن كل سالك وكل ساعٍ الى الله تعالى وصل إلى الله بطريق من الطرق، أو
صيغة من الصيغ، يعتقد أن الطريق الذي سلكه إلى الله هو أقصر الطرق،
ولذلك اختلف الناس؛ لأن وسائل عبادة الله متعددة، فإذا دخل إنسان من
باب وطريق وأحس أنه نقله وأوصله إلى الله، بادر إلى نقله لمن يجب.
ومن هنا، فإن معنى أن هناك طرقاً صوفية هو أن أناساً وصلوا إلى الصفاء من
الله سبحانه وتعالى، وجاءتهم الإشراقات والعلاقات التي تدل على ذلك في
ذواتهم، فعلموا أن الطريق الذي سلكوا فيه إلى الله صحيح، وكلما زادوا في
العبادة: زاد الله في العطاء .

وأول من نادى بالطرق الصوفية ووضع الأساس لتربية المريد وتوجيهه ، هو
الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره والمتوفي عام ٥٦١ هـ ١١٦٦ م
المدفون في بغداد ، ثم تلت الطريقة الرفاعية التي وضع أسسها وقواعدها السيد
احمد الرفاعي قدس الله سره والمتوفي في ٥٧٠ هـ ١١٧٣ م ، والمدفون في منطقة
الرفاعي في العراق .

وبعدها ظهرت الطريقة المولوية التي وضع أسسها الصوفي الشاعر مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره والمتوفي عام ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م والمدفون في قونية ، ثم توالى الطرق وانتشرت لكثرة السالكين لدرب التصوف ولكثرة الراغبين بالوصول الى الحق والتحقيق به سبحانه .

والطريقة (وان كانت كالشريعة يُراد منها الوصول الى الله) ، إلا انها تزيد على الشريعة بأعمال القلوب وملازمة الذكر والرياضات وباقي العقائد الخاصة بتلك الطريقة .

ثم ان الطرق الصوفية ذوقية لا محل للعقل والبرهان بتعريفها او تحديد ابعادها . يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (فإن يعرض لك ايها الأخ المسترشد من يُنْفِرُكَ عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان ، يعني أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون فيه من الأسرار الإلهية فاعرض عنه وقل له مجاباً : ما الدليل على حلاوة العسل ؟

فلا بد ان يقول لك هذا علم لا يحصل الا بالذوق فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه الدليل ، فقل له مثل ذلك)^١ وفي رسالة ارسلها الشيخ الأكبر رحمه الله الى الامام فخر الدين الرازي ليبين له الفرق بين طريقة الصوفية في المعرفة ، وطريقة غيرهم (ان الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة او شيخ . فلا علم الا ما كان عن كشف وشهود لا عن فكر وظن)^٢

وقد يكون تتبع الطرق الصوفية واحصائها عملية صعبة لكثرتها وتشعبها وتداخل الفروع فيها بالأصول احياناً ، وسعة المنطقة الجغرافية التي تنتشر فيها ، إلا اننا سنحاول ان نشير الى أغلبها ، وسنحاول ان نسلط الضوء على الأكثر انتشاراً

^١ تاريخ الطرق الصوفية ص ١٠

^٢ تاريخ الطرق الصوفية ص ١١

بينها وكما وردت في الموسوعة الصوفية :

- ١ . الأحمدية : طريقة السيد احمد البدوي المتوفي سنة ١٢٧٦ م . ولها عدة فروع : الشناوية . والمرازة . والكنّاسية . والإنباية . والحمودية . والمنائفية . والسلامية والحلبية . والزاهدية . والشعبية . والتسقيانية . والعربية . والسطوحية والبندارية . والمسلمية . والبندارية . والشرنبلالية . والبيومية . . ومعظم هذه الفروع بحسب اسماء المشايخ او الأماكن .
- ٢ . الإدريسية : فرع من الطريقة الخاضرية في العسير .
- ٣ . الأدهمية : تنسب الى ابراهيم ابن أدهم .
- ٤ . الإسماعيلية : طريقة نوبية في كردفان .
- ٥ . الإشراقية : أتباع السهروردي الحلبي .
- ٦ . الشرفية : فرع من الطريقة القادرية لمؤسسها عبد الله الأشرقي الرومي المتوفي(٨٩٩هـ) وتسمى أيضاً الواحدية .
- ٧ . الإعت باشية : فرع تركي من الطريقة الخلوتية .
- ٨ . الأكبرية : هي الحاتمية تتبع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي .
- ٩ . الأميرغنية : فرع من الطريقة الإدريسية .
- ١٠ . الأمي سنانية : طريقة تركية .
- ١١ . الأويسية : تنسب الى أويس القرني .
- ١٢ . البابائية : طريقة تركية في أدرنة .
- ١٣ . البدوية : نسبة الى السيد احمد البوي .
- ١٤ . البراقية : طريقة تركية مؤسسها بُراق بابا .
- ١٥ . البرهانية : او البرهية نسبة لمؤسسها الشيخ ابراهيم الدسوقي ، وفرعاها : الشهاوية . والشرابنة .
- ١٦ . البسطامية او الطيفورية : نسبة الى ابي يزيد البسطامي .

- ١٧ . البكتاشية : طريقة أناضولية ، ولها فرع الباني مركزه آقجه حصار .
- ١٨ . البكرية : وتسمى الصديقية .
- ١٩ . البكائية : فرع سوداني للقادرية . ولها فرعان :
الفضلية . والآل سيديية .
- ٢٠ . البناءة : فرع القادرية في الدكن .
- ٢١ . البوعلية : فرع جزائري مصري من القادرية .
- ٢٢ . البونوحية : طريقة مغربية .
- ٢٣ . البير حاجات : طريقة أفغانية .
- ٢٤ . البيرامية : مؤسسها حاجي بيرام وهي فرع تركي من الطريقة الصفوية ،
وانقسمت الى : الحمزاوية . والشيخية . والهمتمية .
- ٢٥ . البيومية : فرع من الطريقة الأحمدية .
- ٢٦ . التباية : طريقة تونسية .
- ٢٧ . التيجانية : طريقة جزائرية مغربية انتشرت في السودان .
- ٢٨ . التششتية : طريقة هندية أفغانية مركزها أجمير .
- ٢٩ . الجراحية : هي الفرع التركي من الخلوتية .
- ٣٠ . الجزولية : فرع من الطريقة الشاذلية ، ومنها فروع :
الدرقاوة . والحماشة . والعيسوية . والشرقاوة . الطيبية .
- ٣١ . الجلالة : فرع القادرية في المغرب .
- ٣٢ . الجلالية النجارية : فرع هندي من السهروردية (مؤسسها مخدوم جهانيان
المتوفي ١٣٨٣ م)
- ٣٣ . الجمالية : فرع فارسي من السهروردية ، مؤسسها أردستاني المتوفي في
القرن الخامس عشر .
- والجمالية أيضاً : طريقة تركية مكانها استنبول .

- ٣٤ . الجلوتية : فرع تركي للصفوية ، وفروعها :
 الهاشمية . والروشنية . والفنائية . والهدائية .
- ٣٥ . الجنيدية : تنسب للجنيد ، وتسمى أيضاً السُّنِّيَّة ، وتفرع منها :
 الخواجكان . والكبراوية . والقادرية .
- ٣٦ . الحاقمية : تنسب لابن عربي .
- ٣٧ . الحببية : فرع من الشاذلية في تافيلات .
- ٣٨ . الحريرية : فرع حوراني من الطريقة الرفاعية .
- ٣٩ . الحفوية : فرع مصري من الخلوتية وتنسب الى الشيخ مُحمَّد الحفني .
- ٤٠ . الحكيمية : تنسب للحكيم الترمذي في القرن الثالث الهجري .
- ٤١ . الحلاجية : تنسب للحلاج .
- ٤٢ . الحمادشة : فرع مغربي من الجزولية . ولها فروع :
 الدغوغية . والصداقية . والرباحية . والقاسمية .
- ٤٣ . الحنصلية : طريقة مغربية .
- ٤٤ . الخاضرية أو الخضرية : طريقة ابن الدباغ في المغرب . وتفرعت منها :
 المرغنية . والإدرسية . والسنونية .
- ٤٥ . الحُرَّازية : تنسب لأبي سعيد الخراز في القرن الثالث الهجري ، وتقوم على
 البقاء والفناء .
- ٤٦ . الخفيفية : تنسب لابن خفيف الشيرازي ، واساسها الغيبة والحضور .
- ٤٧ . الخفية : لقب النقشبندية في الصين والتركستان .
- ٤٨ . الخلوتية : جماعة الشيخ مُحمَّد الخلوئي وفرع السهروردية في خراسان ،
 وفروعها في تركيا :
- الجراحية . والاغتابشية . والعشاقية . والنيازية . والسنبلية . والشمسية .
 والشمسية . والكلشنية . والشجاعية .

وفي مصر :

الضييفية . والحفنونية . والسباعية . والصاوية . والدرديرية . والمغازية .

وفي النوبة والحجاز والصومال : الصالحية .

٤٩ . الخليلية : طريقة تونسية .

٥٠ . الخموسية : طريقة تونسية .

٥١ . الخواجكان : في ايران متفرعة من الجنيدية .

وفي تركستان : اليسوية نسبة الى يوسف الهمداني المتوفي سنة ١٤٤٠ م .

٥٢ . الدريزية : فرع مصري من الخلووية .

٥٣ . الدرقاوة : فرع جزائري ومغربي من الجزولية ، وفروعها :

البوزيدية . والكتانية . والحراقية . والعلوية .

٥٤ . الدسوقية : هي البرهانية ومؤسسها السيد ابراهيم الدسوقي رضي الله

عنه .

٥٥ . الدهرية : تنتشر في اليمن والصين والتركستان .

٥٦ . الذهبية : الاسم الفارسي للكبروية او للهمدانية .

والذهبية اثنتان : ذهبية كبروية . وذهبية نوربخشية .

٥٧ . الرحالية : طريقة مغربية .

٥٨ . الرحمانية : فرع خلوتي في بلاد القبائل .

٥٩ . الرسولشاهية : هندية .

٦٠ . الرشيدية : جزائرية منشقة عن اليوسفية .

٦١ . الرضوية : تنسب لعلي بن موسى الرضا ، وهي علوية .

٦٢ . الرفاعية : البصرة ثم دمشق واستنبول .

فروعها السورية : الحريرية . والسعدية . والسيادية .

وفروعها المصرية : البازية . والمالكية . والحبيبية .

- ٦٣ . الركنية : فرع عراقي للكراوية أسسها علاء الدين السماني المتوفي عام ١٣٣٦ م .
- ٦٤ . الروشنية : فرع مصري وتركّي من الخلوّتية .
والروشنية فرع افغاني من السهورودية .
- ٦٥ . الرومية : هي الأشرفية .
- ٦٦ . الزروقية : الفرع الايراني من الشاذلية .
- ٦٧ . الزيانية : فرع مغربي من الشاذلية .
- ٦٨ . الزينية : فرع تركّي من السهورودية .
- ٦٩ . السبعينية : طريقة ابن سبعين .
- ٧٠ . السعدية : فرع سوري من الرفاعية .
- ٧١ . السقطية : تركية نسبة الى السري السقطي المتوفي في بغداد ٨٦٧ م .
- ٧٢ . السلامية : وهي العروسية .
- ٧٣ . السلطانية : طريقة تركستانية .
- ٧٤ . السليمانية : طريقة تركية .
- ٧٥ . السمانية : فرع مصري وسوداني من الشاذلية .
- ٧٦ . السنبلية : فرع تركّي من الخلوّتية .
- ٧٧ . السنان أمية : طريقة تركية .
- ٧٨ . السنانية : طريقة تونسية .
- ٧٩ . السنوسية : طريقة ليبية .
- ٨٠ . السهورودية : طريقة عراقية (نسبة الى عبد القادر السهورودي وعمر السهورودي) .

وتسمى الصّدّيقية على اسم ابي بكر الصديق . وفروعها :
الجلالية . والجمالية . والخلوتية . والروشنية . والصفوية . والزينية .

- ٨١ . السهلية : نسبة الى سهل التستري ، وطريقته الاجتهاد والمجاهدة ،
ورياضة النفس وقبول البلاء .
- ٨٢ . السهيلية : فرع جزائري للشاذلية .
- ٨٣ . السياريّة : نسبة لأبي العباس السياري ، وتقوم على الجمع والتفرقة .
- ٨٤ . السينية : تنسب الى سليمان الفارسي . وعي علوية .
- ٨٥ . الشاذلية : نسبة لأبي الحسن الشاذلي . فروعها في المغرب :
الغازية . والحبيبية . والكرزازية . والناصرية . والشيخية . السهيلية .
واليوسفية . والزروقية . والزيرية .
وفروعها المصرية :
- البكرية . والخطاطية . والوفائية . والجوهريّة . والمكية . والهاشمية والسمانية
والعفيفية . والقاسمية . والعروسية . والهندوشية . والقاروجية .
ولها فروع في استنبول والنوبة وجزائر القمر .
- ٨٦ . الشرقاوة : فرع مغربي من الجزولية .
- ٨٧ . الشرقاوية : فرع مصري من الخلوتية .
- ٨٨ . الشطارية : طريقة هندية وسومطرية وجاوية ، نسبة الى شطار المتوفي
١٤١٥ م .
- ٨٩ . الشعبانية : تركية خلوتية .
- ٩٠ . الشمسية : تركية خلوتية .
- ٩١ . الشوذية : طريقة تركية سبعينية .
- ٩٢ . الشيخية : اولاد سيدي شيخ في وهران وهي شاذلية .
- ٩٣ . الصفوية : فرع آذري من السهوردية .
- ٩٤ . الطالبية : طريقة مغربية .
- ٩٥ . الطيبية : مغربية جزولية .

- ٩٦ . الطيفورية : نسبة الى ابي يزيد طيفور البسطامي ، وهي طريقة الغلبة والشكر .
- ٩٧ . العروسية : طرابلسية قادية .
- ٩٨ . العزوزية : تونسية .
- ١٠٠ . العشاقية : طريقة تركية خلوتية .
- ١٠١ . العشيقية : طريقة هندية شطارية (ابو يزيد عشقي المتوفي في القرن الخامس عشر) .
- ١٠٢ . العلوانية : طريقة حجازية .
- ١٠٣ . العمارية : طريقة تونسية جزائرية قادية .
- ١٠٤ . العلوية : طريقة جزائرية درقاوية .
- والعلوية نسبة الى الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام .
- ١٠٥ . العوامرية : تونسية عيسوية .
- ١٠٦ . العيدروسية : يمنية كبراوية .
- ١٠٧ . العيسوية : طريقة مغربية جزولية .
- ١٠٨ . الغازية : طريقة مغربية شاذلية .
- ١٠٩ . غزالية : مدرسة الغزالي .
- ١١٠ . الغوثية : طريقة هندية شطارية .
- ١١١ . الفردوسية : طريقة هندية كبراوية .
- ١١٢ . القادية : نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره .
- ولها فروع في اليمن والصومال : اليافعية . والمشارعية . والعراية .
- وفروعها في الهند : البناوة . والكرزمر .
- وفي الأناضول : الأشرفية . والهندية . والخلوصية . والنابلسية . والرومية .
- والوصلنية .

- وفروعها في مصر : الفارضية . والقاسمية .
- وفروعها في المغرب : العمارية . والعروسية . والبوعلية . والجلالة .
- وفي السودان الغربي : البكائية .
- ١١٣ . القرائية : طريقة تونسية .
- ١١٤ . القشيرية : تنسب للقشيري .
- ١١٥ . القصارية : نسبة الى حمدون القصار ، وتسمى الملامتية ، ومرادهم الحق لا الخلق .
- ١١٦ . القلندرية : ملامتية فارسية ، ومن قواعدهم هدم العادات .
- ١١٧ . القونية : نسبة الى صدر الرومي ، انبثقت من الحاتمية .
- ١١٨ . الكبراوية : طريقة خراسانية ، من الجنيدية . وفروعها :
- العيدروسية . والهمدانية . الأغتشاشية . النوربخشية . النورية . الركنية .
- ١١٩ . الكاكائية : طريقة علوية .
- ١٢٠ . الكرزارية : شاذلية في تافيلالت .
- ١٢١ . الكرزمر : هندية قادرية .
- ١٢٢ . الكميلية : علوية تنسب الى كميل بن زياد .
- ١٢٣ . المتبولية : طريقة مصرية .
- ١٢٤ . المحاسبية : نسبة الى الحارث المحاسبي المتوفي سنة ٢٤٣ م ببغداد .
- ١٢٥ . المحمدية : نسبة الى النبي مُحَمَّد ﷺ ، استعمل الاسم علي الخواص والشعراني .
- ١٢٦ . المدارية : هندية .
- ١٢٧ . المدنية : اسم الشاذلية أولاً .
- ١٢٨ . المرادية : طريقة تركية .
- ١٢٩ . المرازقة : فرع الأحمدية .

- ١٣٠ . المشارعية : يمنية قادية .
- ١٣١ . المشيشية : اتباع ابن مشيش .
- ١٣٢ . المصرية : النيازية .
- ١٣٣ . المطاوعة : الأحمدية .
- ١٣٤ . الملامية : خراسانية .
- ١٣٥ . الملامتية : الاسم الآخر للقصارية .
- ١٣٦ . المنصورية : الحلاجية .
- ١٣٧ . المولوية : اتباع مولانا جلال الدين الرومي ، وفروعها :
- البوستنشينية . والإرشادية .
- ١٣٨ . الميرغنية: سودانية .
- ١٣٩ . الناصرية : مغربية شاذلية .
- ١٤٠ . النبوية : رابطة حرفية في سوريا .
- ١٤١ . النزارية : فرع من الإسماعيلية .
- ١٤٢ . النعمانية : اتباع ابي عبد الله النعمان المتوفي سنة ٦٨٣ هـ بالإسكندرية
- ١٤٣ . النقشبندية : تركستانية من الطيفورية ، وفروعها في الصين وقازان وتركيا
والهند وجاوة .
- ١٤٤ . النقشبندية ، الخالدية : نسبة الى خالد النقشبندي .
- ١٤٥ . النوربخشية : خراسانية كبراوية (مُجد نور بخش المتوفي ١٤٦٥ م)
- ١٤٦ . النور الدينية : الجراحية .
- ١٤٧ . النورسية : طريقة تركية .
- ١٤٨ . النورية : مدرسة ابي الحسن النوري ، وتقوم على الإيثار .
- ١٤٩ . النيازية : تركية جلوتية .
- ١٥٠ . الهدارة : طريقة مغربية .

- ١٥١ . الهمذانية : كشميرية كبراوية .
١٥٢ . الالوارث عليشاهية : طريقة هندية .
١٥٣ . اليسوية : فرع خواجهكان بتركستان .
١٥٤ . اليوسفية : طريقة شاذلية مغربية .
١٥٥ . اليونسية : طريقة سورية ، الشيباني المتوفي ١٢٢٢ م)^١

وسنحاول ان نسلط الضوء على الطرق الصوفية ذات الانتشار الأكبر والأتباع الأكثر :

^١ انظر الموسوعة الصوفية ص ١١١٣ - ١١٢١

١ . الطريقة القادرية

درستُ العلم حتى صرت قطباً ونلت السعد من مولى الموالى
كساني خلعة بطراز عزم وتوجني بتيجانِ الكمالِ

الطريقة القادرية هي واحده من اقدم الطرق الصوفية في الإسلام ، أسسها في بغداد الشيخ الحنبلي عبد القادر الجيلاني (أو الجيلي) حيث اتسعت هذه الطريقة في حياة الشيخ وزاد متبعيها حتى ضمت الكثير من أهل بغداد ، وبعد وفاة الشيخ حمل طلابه وأتباعه لواء الدعوة حتى انتشرت الطريقة الجيلانية في أكثر بقاع الأرض التي يسكنها المسلمون .

النسب الشريف :

هو سلطان الأولياء السيد الباز الأشهب الشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى الجيلي الحنبلي بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن مُحمَّد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .^١
يمتد نسبه ﷺ من جهة أبيه بنسب نبوة طاهر عن طريق الإمام الحسن السبط بن فاطمة الزهراء الزكية بضعة رسول الله ﷺ .

أما نسبه من جهة أمه فينتهي كذلك الى هذا النسب الطاهر عن طريق الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

فأمه ام الخير أمة الجبار فاطمة بنت ابي عبد الله الصومعي بن ابي جمال بن السيد مُحمَّد بن ابي كمال بن السيد عيسى بن ابي علاء الدين بن السيد مُحمَّد بن السيد علي العريض بن الامام جعفر الصادق بن الامام مُحمَّد الباقر بن الامام

^١ مرآة الجنان ٣/٣٤٧

علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .^١

القابه عليه السلام :

وهو إمام صوفي وفقه حنبلي، لقبه أتباعه بـ (باز الله الأشهب) و(تاج العارفين) و(محيي الدين) و(قطب بغداد).

وإليه تنتسب الطريقة القادرية .

يقول قدس الله سره عن نسبه :

انا الجيلي محي الدين اسمي و أعلامي على رأس الجبال

وعبد القادر المشهور اسمي وجددي صاحب العين الكمال

نبي هاشمي مكّي حجازي هو جددي به نلت الموالي^٢

فهو الحسيني نسباً والحسيني أمماً والحنبلي مذهباً والشافعي والحنبلي افتاءً .

الولادة :

ولادته رضي الله عنه سنة (٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م) ووفاته سنة (٥٦١ هـ - ١١٦٥ م) .

وهناك خلاف في محل ولادته، حيث توجد روايات متعددة أهمها : القول بولادته في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين، والقول الآخر أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن التي تبعد حوالي ٤٠ كيلو متر جنوب بغداد ، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده العائلة الكيلانية ببغداد ، وهذا ما ذهب إليه أحد احفاده حيث أورد : (ولد الإمام عبد القادر في بلدة الجبل وهي قرية عراقية تابعة لمدينة المدائن قرب بغداد ، والنسبة إليها جيلي ، اما جيلاني وكيلاي فهي نسبة متأخرة والأصح الجيلي

^١ عن فتوح الغيب ص ١٨٢

^٢ الشيخ عبد القادر رؤية تاريخية ص ٩

رغم اشتهار غيرها في حقب متأخرة^١

نال عبد القادر الجيلاني قسطاً من علوم الشريعة في حادثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، وملتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة ٤٨٨ هـ الموافق ١٠٩٥م وعمره ثمانية عشر عاماً في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله. وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج ، في أقصى الشرق من جانب الرصافة ، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

نشأته :

سئل الامام الجيلاني عن مولده فقال :

لا أعلمه حقيقة ، لكنني قدمتُ بغداد في السنة التي توفي فيها التميمي ، وعمري اذ ذلك ثمان عشرة سنة . فلما كان ابو مُجَّد رزق الله التميمي المشار اليه في عبارة الإمام قد توفي سنة ٤٨٨ هجرية^٢ ، فإن مولد الجيلاني يكون سنة ٤٧٠ هجرية .

وهذا التاريخ هو الذي اعتمده الكثير من كتّاب السير الذين كتبوا عن الشيخ كالشطونفي وغيره .

وقد نهل الشيخ منذ سنين عمره الأولى من نبع ايمانٍ صافٍ ...

كان يتيم الأب الا ان الله عوضه من فضله وكرمه ، فهو في كنف جده لأمه الشيخ ابي عبد الله الصومعي الزاهد الصوفي كبير زهاد منطقته والذي كان معروفاً بورعه وتقواه ، كثير النوافل ظاهر الخشوع مجاب الدعوة ، فكان يسمع من جده أدعية وأوراداً صوفية منذ بدأ يفقه ما يسمع ، كان له موعد مع النور ، فنما حب التصوف في قلب الشيخ منذ سنين عمره الأولى .

^١ الشيخ عبد القادر رؤية تاريخية ص ٩

^٢ عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب ص ٣٤ عن بحجة الأسرار

سنده في التصوف :

قال صاحب (مرآة الزمان) : وكان الشيخ عبد القادر قد لبس خرقة المشايخ عن ابي سعد المخرمي ، ولبس المخرمي من ابي الحسن علي ابن مُحَمَّد القرشي ، ولبس القرشي من ابي الفرج الطرسوسي ، ولبس الطرسوسي من ابي الفضل عبد الواحد التميمي ، ولبس التميمي من والده عبد العزيز ، ولبس عبد العزيز من ابي بكر الشبلي ، ولبس ابي بكر الشبلي من ابي القاسم الجنيد ، ولبس الجنيد من خاله سَرِي السَّقْطِي ، ولبس السَّقْطِي من معروف الكرخي ، ولبس معروف من داود الطائي ، ولبس الطائي من حبيب العجمي ، ولبس حبيب العجمي من الحسن البصري ، ولبس الحسن البصري من علي ابن ابي طالب عليه السلام اجمعين^١

ويشاء الله لذلك الفتى الفقير الذي كان يكابد الجوع والفقر ان يكبر بتوفيق الله وبما فتح الله عليه به من العلم فيصير شيخاً يسعى اليه طلبة العلم لينهلوا من معرفته وتكون له مدرسة يعلم بها تلاميذه فنون الشريعة ويعلمهم علوم تركية الأنفس والإحسان .

بداية الظهور :

بدأ نجم الشيخ الجيلاني يبرز ونوره يشع بعد ان اتاه الأمر بتولي مدرسة شيخه ابو سعيد المخرومي وارتقاء المنبر ليخطب في الناس . وكان بداية ارتقاء المنبر قبيل صلاة الظهر من يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة ٥٢١ هجرية وكان الشيخ قد بلغ الخمسين من عمره^٢ وانتظم مجلس الامام ، كان الذين يحضرون في البداية أشخاصاً ، ثم أصبحوا

^١ الروض الزاهر ص ٣٣ - ٣٤

^٢ بحجة الأسرار ص ٩٠

مجاميع بالعشرات ثم مئات ، حتى ضاقت بهم المدرسة ، واضطر الشيخ لتوسعة المدرسة لتستوعب للوافدين ، وكان الناس يتبرعون للمدرسة كلِّ بما يستطيعه ، الغني بالمال والفقير يسهم بجهده وهكذا بدأت المدرسة تتوسع وتكبر .
وظل الامام طوال اربعين عاماً يدعو الى الله ، وكان الرجال يقصدونه لما بان لهم من علامات الولاية عند الشيخ وارتفاع علمه بين الأعلام ، وظل الامام يترقى في مراتب الولاية حتى كان يوماً على منبر الرباط يعلن رياسته على سائر الاولياء حين يقول :

قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ لِلَّهِ^١

ويطأطي جميع الأولياء رؤوسهم ويدعونون تصديقاً واعترافاً .
ولم يقل بمثل هذا احدٌ بتاريخ التصوف قبل ذلك ولا بعده .
والشيخ قالها ليُعرِّف عن نفسه وهو الذي حين سُئِل عن الذي اوصله لما هو عليه قال : الصدق .

وهذه العبارة ابتدأ بها صاحب كتاب بهجة الاسرار كتابه ليتحدث عن قطبية الامام قدس الله سره .

ومرة قال الإمام بلسان القطبية : انا سيفي مشهور ، وقوسي موتور ، ونبالي مَفوَّقة ، وسهامي صائبة ، ورحمي مصوَّب ، وفرسي مسرح ، انا نار الله الموقدة ، انا سلاب الأحوال انا بحر بلا ساحل ، انا دليل الوقت ، انا المتكلم في غيري انا المحفوظ ، انا الملحوظ ، انا المحظوظ ، يا صُوَّام ، يا قُوَّام ، اقبلوا الى امر من أمر الله ، انا أمرٌ من أمر الله ، يا بنيات الطريق ، يا رجال ، يا ابطال ، يا اطفال ، اطفال ، هلموا وخذوا من البحر الذي لا ساحل له^٢

وظل الامام يدعو الى الله ، وكان اول ما ينصح به الناس : التوبة ، وان الجميع

^١ المكتوبات الشريفة ١ / ٢٩٣

^٢ بهجة الاسرار ص ٢١

يحتاجوا ان يتوبوا الى الله ، ومهما ارتقى السالك فسيظل يحتاج ان يتوب ويرجع الى الله .

وفي قول متصل بالإمام :

(اراد الله عز وجل مني منفعة الخلق ، فإنه أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى وتاب أكثر من مائة الف .. وهذا خير كثير)^١

بداية الطريقة القادرية :

يُعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني من أول وأشهر من نظّم الصوفيّة في جماعاتٍ مُنهجة تسيّر وفق طريقة منضبطة، تضبط سلوك المريد مع شيخه وسلوك الشيخ مع تلميذه وسلوك الاثنين مع الناس والبيئة المحيطة بهم، ويتجلى ذلك في وصيته لابنه عبد الرزاق حيث قال: (أوصيك بتقوى الله، وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وأعلم يا ولدي - وفقنا الله وإياك والمسلمين - أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان) .

وقد أصّل الجيلاني لطريقته تأصيلاً يقوم على الكتاب والسنة ولا يجيد فيه عن فهم سلف الأمة، حيث يقول في وصيته : (أدخل الظلمة بالمصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن خطر خاطر أو جدّ الهامّ فاعرضه على الكتاب والسنة؛ فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك وأهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بأنه من الشيطان اللعين)^٢

مفهوم التصوف عند الشيخ الجيلاني :

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً

^١ بهجة الأسرار ص ٩٦

^٢ فتوح الغيب ص ٦٤

بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه
بالعبادة والمجاهدة^١

هذا التمسك بالشرع الذي عُرف به الشيخ طول حياته ، وصِدقَه الذي بان في
حادثة سطو اللصوص على القافلة في مجيئه لبغداد ، وزهده الذي يفوق
الوصف ويفوق الاحتمال ... هي مرتكزات الشيخ في تصوّره وتصويره للتصوف
فالصدق في كل الأحوال وحتى في المواقف التي يقود فيها الصدق الى الهلكة هو
منهج اهل الصدق .

يقول الشيخ الجيلاني في حديثه عن التصوف : (التصوف هو الصدق مع الحق
وحسن الخُلُق مع الخُلُق)^٢

وحين سُئل عليه السلام عن الصوفي قال :

(الصوفي من جعل ضالته مُراد الحق منه ، ورفض الدنيا وراءه ، فخدمته ورزقته
أقسامه ، وحصل له في الدنيا قبل الآخرة مرامه ، فعليه من ربه سلامه)^٣
وتحدد نظرة الامام الى التصوف فهو قبل كل شيء عبادة الله تعالى على ما
أمر والتحقق بصدق العبودية وهي بالضرورة تتأتى من التمسك بالشرع وتطبيق
الأوامر والنواهي .

ثم بعد ذلك يأتي الزهد (ورفض الدنيا وراءه) ، والمعنيان متصلان ، فمن توجه
الى الله بكليته لم يبق للدنيا مكان بقلبه ، فالأصل عبادة الله وتفريغ القلب مما
سواه سبحانه .

وتأتي بعد ذلك علامة القبول وعلامة صحة التوجه (وحصل له في الدنيا قبل
الآخرة مرامه) فمن شعور بالرضا وبالصفاء والطمأنينة والسلام في الدنيا ، والتي

^١ قلائد الجواهر: ص ٢٣

^٢ زاد المعاد ١/٧١

^٣ بحجة الاسرار ص ١٢٣

ستورث رضا الله في الآخرة .

ويفرق الشيخ رحمته الله بين المتصوف والصوفي :

فالمتصوف الذي يتكلف ان يكون صوفياً وان يتوصل بجهده ان يكون صوفياً ، فمن تقمّص حال القوم وتكلف ان يكون منهم يكون متصوّف كما يقال لمن لبس القميص تقمّص ومن لبس الدراعة تدرّع ، كما يقال لمن دخل في الزهد متزهد ، فاذا انتهى في زهده وبلغ وفنى عن الأشياء سمي زاهداً ، ثم تأتيه الأشياء وهو لا يريدتها ولا يبغضها بل يتمثل أمر الله فيها وينتظر فعل الله فيها ، فيقال لهذا متصوف وصوفي اذا اتصف بهذا المعنى فهو في الأصل صوفي على وزن فوعل ، مأخوذة من المصافاة يعني عبداً صافاه الحق سبحانه وتعالى ، وهذه المعاني أو الصفات إذا تحققت في العبد بلغ مرحلة الاصطفاء كما يرى الشيخ الجيلاني، فالصوفي عنده (من صفاء النفس أو العبد الذي أصبح صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالماً لحميد مذاهبه ملازماً للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق) ^١

ولذلك وضع معنى اصطلاحياً للصوفي بقوله: (الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل، وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق وتعفير الوجوه وجمع الأكتاف ولقلقة اللسان وحكايات الصالحين وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل والزهد في الدنيا وإخراج الخلق من القلب وتجردّه عما سوى مولاه عز وجل) ^٢

كان رحمته الله دائماً على شرح حقيقة التصوف لطلابه وتلامذته فالفهم الصحيح ينتج عنه سلوك صحيح ، لذا قرر الجيلاني على تلاميذه جملة من الآداب

^١ الغنية ص ٥٥١ - ٥٥٢

^٢ الفتح الرباني، مجلس ٢٥ ، ص ٩٠

والواجبات التي تنقي النفس وتسمو بها إلى مراتب الصفاء الروحي والنفسي .

أقوال العلماء في الشيخ الجيلاني رحمته الله :

كان شيخه أبو سعد المخرمي رحمه الله تعالى قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج ففوضت إلى عبد القادر . فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت فضاقت مدرسته بالناس فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير فعمرت المدرسة ووسعت وتعصب في ذلك العوام وأقام في مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي^١ وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وكانت فتواه تُعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه^٢

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد البندنجي رحمه الله تعالى: حضرت أنا والشيخ جمال الدين بن الجوزي رحمه الله تعالى مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه فقرأ القارئ آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهًا، فقلت للشيخ جمال الدين: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، ثم ذكر وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهًا وأنا أقول له: أتعلم هذا الوجه؟ وهو يقول: نعم، ثم الشيخ ذكر فيها وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا؟ قال: لا، حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهًا يعزو كل وجه إلى قائله، والشيخ جمال الدين يقول: لا أعرف هذا الوجه، واشتد عجبه من سعة علم سيدنا الشيخ رضي الله عنه^٣

يقول أبو الفتح الهروي رضي الله عنه: خدمت الشيخ عبد القادر رضي الله عنه

^١ المنتظم لابن الجوزي: ١٧٣/١٨

^٢ انظر الطبقات الكبرى للشعراي: ١٠٨/١ - ١٠٩

^٣ قلائد الجواهر: ص ٣٨

أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء^١
وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً
بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه
بالعبادة والمجاهدة^٢

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: دخلنا بغداد سنة
إحدى وستين وخمس مائة فإذا بالشيخ عبد القادر مما انتهت إليه الرئاسة بها
علمًا وغلًا وحالًا واستفتاءً، كان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة
ما اجتمع فيه من العلوم والصبر وسعة الصدر، وكان مليء العين وجمع الله فيه
أوصافًا جميلة وأحوالًا عزيزة ما رأيت بعده مثله^٣

ويقول الشيخ السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: الشيخ عبد القادر الجيلاني
ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اغترف،
لا ثاني له في عصرنا هذا.^٤

وقال السمعاني رحمه الله تعالى: كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة
وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع
الدمعة.^٥

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الإشبيلي رحمه الله تعالى: في
كتاب المشيخة البغدادية: (عبد القادر الجيلاني فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد
وشيخ جماعتهم، وله القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام، وهو أحد أركان

^١ الطبقات الكبرى للشعراني: ١١٠/١

^٢ قلائد الجواهر: ص ٢٣

^٣ بهجة الأسرار: ص ١٢٥ - ١٢٦

^٤ بهجة الأسرار ص ٣٦

^٥ سير أعلام النبلاء: ١٨٠/١٥

الإسلام، وانتفع به الخاص والعام، وكان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، دائم الذكر، كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، عزيز العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد^١

وقال عنه الذهبي: (الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحي الدين)^٢

قال الإمام النووي: ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه، وأهرع إليه أهل السلوك - التصوف - من كل فج عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتناء لكلام الشرع وأحكامه معظماً لأهل العلم مكرمماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله^٣

قال الإمام العز بن عبد السلام: إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إل

^١ قلائد الجواهر: ص ٧-٨

^٢ سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩

^٣ قلائد الجواهر ص ١٣٧ نقلا عن بستان العرافين للنووي

١ الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر.

قال الذهبي : الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو مُحَمَّد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد.

قال ابن قدامة المقدسي : دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت احداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.

قال ابن رجب الحنبلي : عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محيي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.

قال الحافظ ابن كثير : الشيخ عبد القادر الجيلي، كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات.

قال الإمام البيهقي : قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن

١ سير أعلام النبلاء ٢٠٤٣/ ٤٤٣

٢ سير أعلام النبلاء ٢٠٤٣/ ٤٣٩

٣ قلائد الجواهر ص ٦

٤ الطبقات لابن رجب الحنبلي

٥ البداية والنهاية : ابن كثير

الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بجلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء^١

قال الإمام الشعراي: طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً^٢

قال الإمام أحمد الرفاعي: الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه، ومن يبلغ مبلغه، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اغترف، لا ثاني له في وقتنا هذا^٣

قال الشيخ بقا بن بطو: كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربة كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوماً وكانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً^٤

قال عنه محيي الدين ابن عربي: وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته^٥

^١ قلائد الجواهر ص ١٣٦

^٢ الطبقات الكبرى ١/١٢٩

^٣ قلائد الجواهر ص ٦٦

^٤ الطبقات الكبرى ١/١٢٧

^٥ الفتوحات المكية ٥ / ١٢٣

فروع الطريقة في العراق وخارجه :

البرزنجية والكسنزانية والطالبانية .

تنتشر القادرية في العراق ومصر وتركيا واليمن والصومال والهند والمغرب وغرب السودان وبعض بلدان أفريقيا، وتفرعت منها طرق صغيرة، منها: اليافعية والنابلسية والرومية والعروسية^١

ومنها كذلك: الصمادية والرومية والعززية والهندية والمقدسية^٢

ومنها أيضاً: الأشرفية في تركيا، نسبة لمؤسسها عبد الله الأشرفي الرومي، وتسمى أيضاً: الواحدية^٣

ومنها في السودان: الطريقة البكائية ، ولها فرعان: الفضيلة، والآل سيديّة. والطريقة العركية، وتتركز في مدينتي أبو حراز وطيبة الشيخ عبد الباقي في ولاية الجزيرة، وشيخها الحالي هو أحمد عبد الباقي، وقد خلف والده على مشيخة الطريقة سنة ١٩٩٢م.

وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد الله العركي، المتوفى سنة ١٠١٩هـ (١٦١١م). وفيما يتعلق بالطريقة القادرية عموماً، فيعتقد أن الذي أدخلها إلى

السودان، تاج الدين البهاري، في القرن العاشر الهجري .

ومنها : البودشيشية، في المغرب، وشيخها حمزة بن العباس .

ومنها: اليافعية، والمشارعية، والعرايية في اليمن والصومال.

ومنها: البناوة، والكرزمر في الهند.

ومنها: الخلوصية، والهندية، والنابلسية، والرومية، والوصلنية في تركيا.

^١ . الطرق الصوفية للسهلي ص ٨٥

^٢ التصوف والتطرف ص ٢١١

^٣ الموسوعة الصوفية ص ٣٦٤

الكسنزانية ، في العراق، وخاصة في مدينة كركوك، وشيخها الحالي هو مُجَّد الكسنزاني، وتنسب الطريقة إلى عبد الكريم الشاه الكسنزان المولود سنة ١٢٤٠هـ في شمال العراق، وقد انتسب إليها عدد من المسؤولين العراقيين السابقين .

كما أن الطريقة القادرية تعد أصلاً لكثير من الطرق التي نشأت بعدها، كالعدوية^١ والمدينيّة، والسهروردية، والأكبزية، والمولوية، والرفاعية، والخلوتية^٢ ومن فروعها في مصر:

١. الفارضية: وتستمد اسمها من أحد مشايخهم المتأخرين، وهو مُجَّد الفارضي، المتوفى سنة ١٢٨٥هـ. ومقر هذه الطريقة جامع السادة القادرية بالقرافة الصغرى بالقاهرة، وشيخها الحالي: مسعود عبد السلام حجازي.

٢. القاسمية: وهي الأخرى اشتقت اسمها من أحد شيوخها المتأخرين، وهو قاسم بن حمد الكبير.

ومن أقطاب هذه الطريقة الشيخ أحمد بن عبد الحي الأشهب، صاحب بعض المؤلفات مثل : هداية المريد، وهداية السالكين، والنصيحة المرضية. والكتاب الأخير في العقيدة والأوراد القادرية. وشيخ الطريقة الحالي في مصر: حسين أحمد علي القادري.

٣. الشرعية: واشتق اسمها من استخدام شيخها عبد المنعم القادري، للفظه "الشرعية" في بعض مؤلفاته، مثل: الركائز الإيمانية في أصول مجلس ذكر طريقة السادة القادرية الشرعية.

٤. النيازية: واشتقت اسمها من الشيخ عبد الرحمن نيازي ، المتوفى سنة ١٣١١هـ والذي قدم من تركيا إلى مصر واستوطن بها، وأقام في مدينة الإسكندرية وهي

^١ الطريقة التي أسسها عدي بن مسافر

^٢ عقيدة الصوفية للقصير ص ١٩١

الآن مقر هذه الطريقة^١.

وفي سوريا :

امتد تأثير الطريقة القادرية (الجيلانية) في وقت مبكر إلى بلاد الشام عن طريق أبي عبد الله مُحَمَّد البطائحي الذي استوطن بعلبك. ومن فروع القادرية في دمشق الطريقة الداودية، أنشأها أبو بكر بن داود (ت ٨٠٦ / ١٤٠٣) وأسس الزاوية الداودية بسفح جبل قاسيون. والطريقة الصمادية، أنشأها مُحَمَّد الصمادي ولها زاوية في محلة الشاغور.

وفاة الإمام :

و شاء الله للباب ان يطير في رحلته الأخيرة ، وأراد الله لعبده ان ينتقل الى مستقر رحمته بعد واحد وتسعين عاماً ظلَّ يجاهد فيها نفسه والدنيا والشيطان حاملاً هموم من يعرفه من حوله ومن لا يعرفه ، فقلبه قد وسع الجميع .
وينظر حوله ويرمي بآخر درره ليزيح السُّرَّ عما كان عليه من حال لا يعلمه الا ربه الذي اختصه برحمة وفضل وذكّر سيمتد امتداد العشق الإلهي في الأرض ، فمن يحبُّ الله يحب كلَّ من أحبَّ الله .

بعد ان مرض أياماً اجتمع حوله أبنائه ومحبه ، يقول وكأنه يقرر حقيقة حاله :

(أنا لبُّ بلا قشر ...)

بيني وبينكم وبين الخلق

بُعْدُ ما بين السماء والأرض

فلا تقيسوني على أحد

ولا تقيسوا أحدٍ عليّ

وحين سأله ولده عبد العزيز عن مرضه ، قال :

لا يسألني أحدٌ عن شيء

^١ الموسوعة الصوفية ص ١٣٩ . ١٤٠

انا اتقلب في علم الله عز وجل
ان مرضي لا يعلمه أحد ، ولا يعقله انس ولا جن ولا ملك
ما ينقضني علمُ الله بِحُكْمِ الله
الحكم يتغير والعلم لا يتغير
يمحو ما يشاء ويُثبِت
وعنده أم الكتاب^١

وكانت عتمة ليلة السبت عاشر ربيع الآخر من عام ٥٦١ هجرية موعد فراق
الشيخ المريني ومريديه واحبابه .
ومما يجمل ان نحتم به ، قصيدة رقيقة للسيد الغوث باز الله الأشهب يحكي بها
عن جميل فضل الله عليه ، وما خصّه به من جميل عطاءه وعظيم مننه وكرمه
سبحانه ، يقول الشيخ :

مَا فِي الصَّبَابَةِ مَنَهْلٌ مُسْتَعْدَبٌ
إِلَّا وَلي فِيهِ الْأَلْدُ الْأَطْيَبُ
أَوْ فِي الْوِصَالِ مَكَانُهُ مَخْصُوصَةٌ
إِلَّا وَ مَنْزَلِي أَعَزُّ وَ أَقْرَبُ
وَهَبْتُ لِي الْأَيَّامُ رَوْنَقَ صَفْوِهَا
فَحَلَّتْ مَنَاهِلُهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ
وَ عَدَوْتُ مَخْطُوبًا لِكُلِّ كَرِيمَةٍ
لَا يَهْتَدِي فِيهَا اللَّبِيبُ فَيَخْطُبُ
أَنَا مِنْ رِجَالٍ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ
رَبِّ الرِّمَانِ وَلَا يَرَى مَا يَرْهَبُ

^١ عبد القادر الجيلاني الباز الأشهب ص ١١٠

أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلَأُ دَوْحَهَا
 طَرِبًا وَفِي الْعَلِيَاءِ بَارٌ أَشْهَبُ
 أَضْحَتْ جُيُوشُ الْحَبِّ تَحْتَ مَشِيَّتِي
 طَوْعًا وَمَهْمَا رُمْتُهُ لَا يَعْرُبُ
 مَا زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيَادِينِ الرِّضَا
 حَتَّى بَلَغْتُ مَكَانَهُ لَا تُوهَبُ
 أَضْحَى الرِّمَانُ كَحُلَّةٍ مَرْقُومَةٍ
 نَزَّهُوْا وَنَحْنُ هَا الطَّرَازُ الْمُدْهَبُ
 أَقَلْتُ شُمُوسُ الْأَوَّلِينَ وَشَمْسُنَا
 أَبَدًا عَلَى فَلَكَ الْعُلَى لَا تَعْرُبُ

الصلوات النبوية لسيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله :

لفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاتفاق علماء المسلمين جميعاً على اهميتها
 للتقرب الى الله تعالى فقد وضع الشيخ عبد القادر رحمته الله صيغةً في الصلاة على
 النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بلغت أربع عشرة صيغة ، يتعبد بها افراد الطريق الكيلانية
 ... وسنورد بعضها :

الصيغة الأولى :

((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ السَّابِقِ لِلْخَلْقِ نُورُهُ . وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ظُهُورُهُ .
 عَدَدَ مَنْ مَضَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَنْ بَقِيَ وَمَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ وَمَنْ شَقِيَ . صَلَاةً
 تَسْتَعْرِقُ الْعَدَّ وَتُحِيطُ بِالْحَدِّ صَلَاةً لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى وَلَا انْقِضَاءً . صَلَاةً
 دَائِمَةً بِدَوَامِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا مِثْلَ ذَلِكَ .

الصيغة الثانية :

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَزْكَى تَسْلِيمٍ عَلَى أَفْضَلِ عِبَادِكَ أَجْمَعِينَ مِنْ أَهْلِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ بَاقِيَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الصيغة الثالثة :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ الصَّادِقِينَ بِنُبُوَّةِ الْأَقْدَمِينَ وَالْمِعْثُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
عَدَدَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْخَلْقِ وَمَنْ تَأَخَّرَ وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ تَذَكَّرَ صَلَاةً
مُنْتَوَحَةً بِالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ مَخْصُوصَةً بِالْقُبُولِ عَلَى الدَّوَامِ صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الدَّهْرِ
الْمَوْجُودِ بَاقِيَةً بِنَقَاءِ أَحْكَامِ الْوُجُودِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ
الطَّيِّبِينَ كَمَا تَقَدَّمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ .

الصيغة الرابعة :

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ أَبَدًا * وَأَمْنِي بَرَكَاتِكَ سَرْمَدًا * وَأَزْكَى نِيَّاتِكَ فَضْلًا
وَعَدَدًا عَلَى أَشْرَفِ الْخَلَائِقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَجْمَعِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَطَوْرِ التَّجَلِّيَّاتِ
الْإِحْسَانِيَّةِ وَمَهَبِطِ الْأَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّةِ وَعَرْوَسِ الْمَمْلَكَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَاسِطَةِ عَقْدِ النَّبِيِّينَ
* وَمُقَدِّمِ جَيْشِ الْمُرْسَلِينَ * وَقَائِدِ رُكْبِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَكْرَمِينَ * وَأَفْضَلِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ
* حَامِلِ لُؤَاءِ الْعِزِّ الْأَعْلَى * وَمَالِكِ أَرْمَةِ الْمَجْدِ الْإِسْنَى شَاهِدِ أَسْرَارِ الْأَرْزَلِ *
وَمُشَاهِدِ أَنْوَارِ السَّوَابِقِ الْأَوَّلِ * وَتَرْجُمَانِ لِسَانِ الْقِدَمِ * وَمَنْبَعِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ
وَالْحِكْمِ * مَظْهَرِ وُجُودِ الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ وَإِنْسَانِ عَيْنِ الْوُجُودِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ رُوحِ
جَسَدِ الْكُونِيِّ وَعَيْنِ حَيَاةِ الدَّارَيْنِ الْمُتَحَقِّقِ بِأَعْلَى رُتَبِ الْعِبُودِيَّةِ الْمُتَخَلِّقِ بِأَخْلَاقِ
الْمِقَامَاتِ الْإِصْطِفَائِيَّةِ الْخَلِيلِ الْأَكْرَمِ وَالْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادِ
كَلِمَاتِكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الدَّاكِرُونَ وَعَقَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذَكَرَهُ الْعَاقِلُونَ وَسَلَّمَ
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

الصيغة الخامسة :

اللَّهُمَّ صَلِّ أَلْفَ أَلْفِ صَلَوَاتٍ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ مِنْ النَّبِيِّنَ وَكُلِّ صَلَاةٍ لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ لَهَا صَلَاةً مُتَّصِلَةً بِالْأَبَدِيَّةِ السَّرْمَدِيَّةِ وَكُلِّ صَلَاةٍ تَفُوقُ وَتَفْضُلُ عَلَى صَلَوَاتِ الْمُصَلِّينَ كَفَضْلِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))^١

الأوراد اليومية للطريقة القادرية :

للطريقة القادرية اليوم اوراد كثيرة ، تنوعت كتنوع الطرق التي تفرعت عن الطريق القادرية وسنوجز ما أتفق عليه :

(الأورادُ كثيرةٌ كما تعلمُ، لذلك أحببتُ أن أُبينَ لكَ فيما يأتي ترتيبَ الأورادِ والوظائفِ حسبَ الأهميَّةِ والأولويَّةِ، لكي لا تختارَ في كَيْفِيَّةِ العَمَلِ بها، وتعرِفَ كيفَ تزيدُ منها كُلِّما وجدتَ في نفسِكَ القُدرةَ عَلَيْهَا، شريطةً أن يكونَ لكَ الإذنُ بقراءتها من شيخِكَ الذي أدخَلَكَ في الطَّرِيقِ، فأقولُ وبِاللهِ التَّوفيقُ :
أولاً: اعلمَ أنَّ أهمَّ الوظائفِ في طريقتنا هُوَ المُحافظةُ على الفرائضِ والواجباتِ، ثمَّ السُّننِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، فأخذَرُ من تَرَكَهَا، فإنَّ نُورَكَ في هَذِهِ الطَّرِيقِ ووُصُولَكَ مَرْهُونٌ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ثانياً: واعلمَ أنَّ أوَّلَ أورادِ المُريدِ في طريقتنا هُوَ الوظيفَةُ اليوميَّةُ، ومَعَهَا التَّوَهِّيَّاتُ القَادِرِيَّةُ الشَّرِيفَةُ، وَهُوَ آكِدُ الأورادِ وَأَوْجِبُهَا، وَلَا يَجُوزُ تَرَكَهَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأحوالِ، واعلمَ أنَّ منَ لَا وَرَدَ لَهُ فَلا وَارِدَ لَهُ، فإنَّ فَاتَتْكَ فَعَلَيْكَ فَصَاؤُهَا فِي اليَوْمِ الثَّانِي، وَهُوَ وَرْدٌ يُقْرَأُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ .

ثالثاً: إِذَا وَقَّفَكَ اللهُ لِلعَمَلِ بِمَا سَبَقَ مِنْ وَظَائِفَ وَأورادِ، فابْدَأْ بِقِرَاءَةِ أَدْعِيَةِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ أَفْضَلِ وَأَعْظَمِ الأورادِ.

رابعاً: ثُمَّ الزُّمُّ بَعْدَ ذَلِكَ حِزْبُ الإِمَامِ النَّوَوِيِّ الشَّرِيفِ، مَرَّةً فِي الصَّبَاحِ، وَمَرَّةً فِي

^١ الفتح المبين ص ٤٠ - ٤٥

الْمَسَاءِ، وَهُوَ مِنَ الْأُورَادِ اللَّازِمَةِ فِي طَرِيقَتِنَا كَمَا قَرَّرَ مَشَائِحُنَا الْكَرَامَ .
 حَامِسًا: ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَشْتَغِلُ بِوَرْدِ أَسْمَاءِ الْأَنْفُسِ السَّبْعَةِ، وَلَا تَشْتَغِلُ بِغَيْرِهَا
 اثْنَاءَ عَمَلِكَ بِهَا، إِلَّا مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ أُورَادٍ، حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْهَا، وَلَا تَزِيدُ مُدَّةَ
 الْإِسْتِعَالَ بِهَا عَنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَكُلَّمَا نَقَصْتَ مُدَّةَ الْعَمَلِ بِهَا كَانَ أَفْضَلَ .
 سَادِسًا: فَإِذَا انْتَهَيْتِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْفُسِ السَّبْعَةِ، جَازَ لَكَ الْإِسْتِعَالَ بِبَقِيَّةِ
 الْأُورَادِ مِنْ أَدْكَارٍ وَأَحْزَابٍ، وَأَفْضَلُهَا وَأَهْمُّهَا هُوَ الْحِزْبُ السِّنْفِيُّ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاجْعَلْهُ وَرْدًا لَازِمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً، وَاقْرَأْ بَعْدَهُ دُعَائِي
 الْإِحْتِمَامِ وَحِزْبَ الْوَسِيلَةِ لِلْجِيلَانِي، وَأَفْضَلَ أَوْقَاتِهِ فِي السَّحْرِ، أَوْ فِي أَيِّ وَقْتٍ .
 سَابِعًا: فَإِذَا أَرَدْتَ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا سَبَقَ فَعَلَيْكَ بِحِزْبِ الْفَجْرِ الْكَبِيرِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ
 الْقَادِرِ، فَهُوَ عِمَادُ الطَّرِيقِ، وَمِنْ أَهَمِّ الْأَحْزَابِ فَالَازِمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ .
 ثَامِنًا: فَإِذَا أَرَدْتَ الزِّيَادَةَ فَاشْتَغِلْ بِوَرْدِ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَأَقْلُ وَرْدِهِ أَلْفُ
 مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَكْثَرُهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأُورَادِ، فَإِذَا وَفَّقَكَ اللَّهُ
 تَعَالَى لِلزِّيَادَةِ فَاشْتَغِلْ بِوَرْدِ الْجَلَالَةِ وَعَدَدُهُ خَمْسَةُ آلَافٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ الزِّيَادَةَ فَصَلِّ
 عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ، فَإِنْ حَافِظْتَ عَلَى هَذِهِ
 الْأَذْكَارِ فَهَذَا تَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ وَعَلَامَةٌ الرِّضَا وَالْقَبُولِ .
 تَاسِعًا: فَإِنْ وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى الزِّيَادَةِ فَاشْتَغِلْ بِوَرْدِ الْبِسْمَلَةِ الشَّرِيفَةِ
 وَعَدَدُهَا (٧٨٦) مَرَّةً فِي الْيَوْمِ وَالزِّيَادَةُ إِلَى أَلْفٍ أَفْضَلُ .
 عَاشِرًا: فَإِذَا ثَبَّتَكَ اللَّهُ عَلَى مَا سَبَقَ فَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ الْحُتْمِ الْقَادِرِيِّ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ
 عَظِيمُ الْبَرَكَةِ، كَثِيرُ الْخَيْرَاتِ، أَوْصَى بِهِ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ .
 أَحَدَ عَشَرَ: فَإِذَا أَرَدْتَ الزِّيَادَةَ فَعَلَيْكَ بِحِزْبِ الدَّوْرِ الْأَعْلَى لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِيِّ الدِّينِ
 بْنِ عَرَبِيِّ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَحْزَابِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا مَشَائِحُنَا الْكَرَامَ .
 اثْنَا عَشَرَ: فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى الزِّيَادَةِ فَعَلَيْكَ بِحِزْبِ السِّرِّ
 الشَّرِيفِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، وَحِزْبِ الْبَحْرِ وَالنَّصْرِ لِلْإِمَامِ الشَّاذِلِيِّ

قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ فَإِنَّهَا مِنَ الْأَحْزَابِ الْعَظِيمَةِ وَهَذَا مِنَ الْخَوَاصِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ
 إِلَّا اللهُ، فَإِنْ كُنْتَ طَامِعاً بِالْمَزِيدِ فَعَلَيْكَ بِمُلَازِمَةِ حِزْبِ السَّيْفِ الْقَاطِعِ الْمَعْرُوفِ
 بِحِزْبِ الْإِمَامِ الْعَزَالِيِّ، فَإِنَّهُ حِصْنٌ حَصِينٌ، وَحِرْزٌ عَظِيمٌ .
 ثَلَاثَةَ عَشَرَ: فَإِنْ وُجِدَتْ فِي نَفْسِكَ الْقُدْرَةُ عَلَى زِيَادَةِ الذِّكْرِ، فَلَا تَفُوتُكَ بَرَكَةُ
 الْأُورَادِ الْيَوْمِيَّةِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ، وَالْوَرْدِ الْكِيمَاوِيِّ كَذَلِكَ، فَهِيَ مِنْ أُورَادِ
 الطَّرِيقِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا وَهَذَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْبَرَكَاتِ الْكَثِيرِ .
 أَرْبَعَةَ عَشَرَ: فَإِنْ أَرَدْتَ الزِّيَادَةَ فَعَلَيْكَ بِالْحَتْمَةِ السُّهُرُورِيَّةِ، أَوْ مَا تَعْرِفُ بِالْوَرْدِ
 الثَّانِي مِنْ أُورَادِ الْأَيَّامِ، فَهِيَ عَظِيمَةُ الْمَنَافِعِ، أَوْصَى وَأَمَرَ بِهَا مَشَايِخُنَا الْكِرَامِ،
 فَاعْتَنِمْ أَجْرَهَا وَلَا تَفُوتُكَ بَرَكَتُهَا .
 خَمْسَةَ عَشَرَ: فَإِنْ كُنْتَ طَامِعاً بِمَزِيدٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، فَعَلَيْكَ بِمُلَازِمَةِ وَرْدِ الْحَيِّ
 الْقَيُومِ وَبَعْدَهُ قِرَاءَةَ دُعَاءِ الشَّرِيفِ، وَكَذَلِكَ وَرْدُ الْإِسْتِغْفَارِ (٧٠٠) مَرَّةً وَالزِّيَادَةُ
 إِلَى (٧٠٠٠) أَفْضَلُ وَأَقْرَأُ بَعْدَهَا دُعَاءُ دَحِيحَةَ الْأَبْرَارِ .
 مُمْلِحَةً: اعْلَمْ أَنِّي ذَكَرْتُ لَكَ تَرْتِيبَ بَعْضِ الْأُورَادِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ حَسَبِ
 الْأَهْمِيَّةِ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ اتِّبَاعُ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ
 الشَّيْخُ فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، لِأَنَّ الشَّيْخَ أَعْلَمُ بِحَالِ الْمُرِيدِ وَمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ
 الْأُورَادِ، فَيُعْطِيهِ حَسَبَ مَا يُنَاسِبُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ^١

^١ الكنوز النورانية ص ١٤١

٢ . الطريقة الرفاعية

(٥١٢ هـ - ٥٧٨ هـ) (١١١٨ م - ١١٨٢ م)

هي طريقة سنية طاهرة ينتشر اتباعها في أغلب الدول الإسلامية تنتسب هذه الطريقة إلى سيدى العارف القطب الكبير : أحمد الرفاعي أبو العباس بن السيد سلطان علي بن يحيى بن ثابت بن الحازم علي أبي الفوارس بن أحمد المرتضى بن علي بن الحسن الأصغر المعروف برفاعة بن مهدي المكي أبو رفاعة بن أبي القاسم مُجَّد بن الحسن القاسم المكنى بأبي موسى بن الحسين عبد الرحمن لقبه الرضي المحدث بن أحمد الصالح الأكبر بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن مُجَّد الباقر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب^١

صاحب الكرامات الربانية والفتوحات القدسية .

والذي رغم كل التزقي والقرب الذي منَّ الله به علي الشيخ من فضله فإنه لم يزد الا تواضعاً ، فكان قدس الله سره يحتطب بيده فيبيع ما احتطب ويتصدق ببعضه ويأكل مما بقي .

يقول قدس الله سره :

(ما دخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه ، من أنا ؟ ومن أنت ؟ انا لست بشيخ ، لست بمقدم على هذا الجمع ، لست بواعظ ، لست بمعلم ، حُشرت مع فرعون وهامان ان خطر لي اني شيخ على أحد من خَلْقِ الله الا ان يتغمديني الله برحمته فأكون كأحد المسلمين)^٢

فكان هذا هو الإطار الذي يحكم نوعية العلاقة بين الشيخ ومريديه في الطريقة

^١ طبقات الأولياء ص ٩٤

^٢ البرهان المؤيد ص ٢٥

الرفاعية العلية .

فالسيد الرفاعي قدس الله سره لا يرى لنفسه فضلاً على تلاميذه بل هو يرجو ان يرحمه الله ليكون مثلهم ومثل أي منهم ، فالتواضع وعدم رؤية حظوظ النفس هي السمة الأبرز للسالك في هذه الطريقة الكريمة .

ويصل التواضع الأصيل عند السيد الرفاعي عليه السلام حين يقول :

(كل الفقراء ورجال هذه الطائفة خير مني ، أنا أحمدم اللاش ، انا لاش اللاش)^١

نسبه لأمه :

هو عليه السلام ابن الوليَّة الصالحة ام الفضل فاطمة النجارية بنت الشيخ ابي سعيد يحيى النجاري الأنصاري بن الشيخ موسى بن الشيخ كامل بن الشيخ يحيى الكبير ... في نسب يصل الى خالد ابي ايوب بن زيد الأنصاري الصحابي رضي الله عنه .^٢

وأما كنيته فقد كُنِّيَ عليه السلام بأبي العلمين ، كناه بها شيخه ابو الفضل علي الواسطي لإشارة سماوية ظهرت له ، وقيل كني بهذه الكنية لأنه قائد اهل الظاهر والباطن وباب النجاح في أمر الدنيا والآخرة وقيل لأنه منسوب الى الحسنين^٣

أما نسبه :

فنسبة السيد احمد هي الرفاعي (بكسر الراء) نسبة الى جده السادس الحسن رفاعة الهاشمي المكي^٤

^١ البرهان المؤيد ص ٢٤

^٢ السيد احمد الرفاعي حياته - آثاره ص ٦

^٣ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٨٦ - ٨٧

^٤ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٨٧ عن حالة اهل الحقيقة مع الله للسيد احمد الرفاعي تحقيق الاستاذ محمد نجيب خياطة : ٦

وهو أصح الأقوال وليست كما قيل ان نسبه يرجع الى قبيلة بني رفاعة في المغرب ، لأن نسب السيد احمد يتصل بالنبي ﷺ ، وأما هذه القبيلة فلا تنتسب اليه صلوات الله عليه وسلامه .

النشأة :

ولد الشيخ في واسط في قرية أم عبيدة وبها نشأ الإمام احمد طفلاً بين ابويه .
وحين بلغ من العمر ما يمكنه من التعلم بدأ بالتردد على كُتّابها وشيخها المقرئ ، وعلى يديه يبدأ السيد احمد بدروس قراءة القرآن الكريم .
ويشاء الله للطفل المبارك ان يذوق اليتيم ويحرم من حنان أبيه وهو في السابعة من عمره .

(خرج والد السيد احمد الرفاعي (السلطان علي) الى بغداد فتوفي فيها سنة ٥١٩ هجرية - ١٥١٣ م ودفن فيها ، وأقام على قبره ابن المسيب مشهداً منوراً وقبره يزار وله مسجد عرف باسمه يقع في شارع الرشيد ببغداد) ^١
وينتقل السيد هو وعائلته بعد وفاة أبيه الى بيت خاله الذي أفرد لهم داراً بجانب رواقه .

ويبدأ الخال الشيخ العابد الزاهد منصور (وهو المرابي الذي انتهت اليه الرياسة في تربية المريدين في منطقتة) بتربية السيد احمد واخوته أبجديات التصوف ويربيهم بالذي يربي به مرديه وتلاميذه خصوصاً بالذي رآه من أنوار تحيط بابن اخته وما استشفه بنور الله .

وتحفتُ العناية الربانية بالسيد اليتيم ، ويحيطه خاله وعائلته بالرعاية ليعوّضهم عن الذي فقدوه بوفاة السيد علي .

^١ السيد احمد الرفاعي حياته واثاره ص ١١

في رحاب العلم :

فلما ترعرع ﷺ عهد به خاله الشيخ منصور البطائحي الى الشيخ المقرئ عبد السميع الحروبني ، فحفظ عليه القرآن وتعلم أصول الترتيل وأجاد في ذلك .
ثم ان الشيخ البطائحي كان يحيط السيد احمد ﷺ باهتمام مضاف تأدباً مع رسول الله ﷺ ولأمر سبق له من المصطفى عليه الصلاة والسلام في المنام برعايته مما صح وتواتر من رؤيته للنبي ﷺ وما أمره به من الاهتمام بالسيد ﷺ وان يعهد به الى الشيخ الفقيه المقرئ والمفسر الشيخ علي الواسطي ﷺ وقوله ﷺ ان أبشرك يا منصور ان الله يعطي اختك بعد اربعين يوماً ولداً يكون اسمه احمد الرفاعي مثلما انا على رأس الأنبياء سيكون هو على رأس الأولياء ، فحين يكبر خذه الى الشيخ علي القارئ الواسطي ليربيه ، لأن ذلك الرجل عزيز عند الله ، ولا تغفل عنه يا منصور^١

بزوغ نجم القطب :

ويأخذ الشيخ منصور السيد احمد الرفاعي ﷺ الى الشيخ علي الذي يقول له :
أي سيدي يوشك ان ينتهي هذا الأمر الى هذا الصبي ، ويكون امام أهل الطوائف^٢

ويُتمُّ الصبيُّ الذي سيصير لاحقاً قطب وقته وشيخ الرجال معرفته بعلوم الشريعة والحديث النبوي ، اضافة لعلم السلوك الذي تتلمذ به على يد خاله الشيخ منصور فبرع في العلوم العقلية والنقلية ومهر واشتهر وتفرد بالعلوم والمزايا وبدأ نجمه يبرز .

كان قدس الله سره يلازم درس خاله ابي بكر الواسطي ، ويتردد الى حلقة خاله

^١ انظر تحفة الأحباب ص ١٠٧ والامام الرفاعي ومنهجه ص ٨٩

^٢ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٨٩ عن ترياق المحبين ص ٤ والارشاد لعمر الفاروثي

منصور الربّاني ، اضافة الى تلقيه العلوم الأخرى على الشيخ عبد الملك الحريوني والشيخ علي الواسطي .

(ولما بلغ عمره المبارك عشرين سنة أجازه شيخه علي ابو الفضل مُحَدِّث واسط وشيخها اجازة عامة بجميع علوم الشريعة والطريقة ، وألبسه الخرقة المباركة ، ونوّه بذكره ، واعظم شأنه ولقبه ب (ابي العلمين) لإشارة سماوية ظهرت له ، فَهَمَّ منها : انه قائد الظاهر والباطن ، وباب النجاح في أمرَي الدنيا والآخرة^١

وانعقد عليه في حياة مشايخه الإجماع ، واتفقت بشأنه ورفعة قدره الكلمة .
حفظ القرآن وفسره بفضل الله ومنته ، وكان يكتب الفتوى بخطه ، وبرز في العلوم الأخرى كالفقه والنحو واللغة والحديث وسائر العلوم .

كان ﷺ بارعاً يتكلم بالشريعة والحقيقة واذا اشكل على الفقهاء أمر رجعوا اليه فيفصح لهم .

كان ﷺ اذا صعد الكرسي ليحدّث يجري الحديث على قلبه ولسانه كالسيل ويجسب السامع ان السيد يغترف من بحر زاخر ، تخشع لقوله القلوب وتسكن الأرواح ، وكأن الحكمة تنطق بما يقول .

(قال الامام جمال الدين الخطيب الحدادي : انتهت نوبة الفضائل الى الامام الرفاعي في عصره .

كان اذا جلس للدرس على كرسية تحيط به أئمة العلماء وفحول الفضلاء وصفوف اهل المعارف والعلوم ، فاذا ابتدأ الكلام أخرج المتكلمين وابهت الجاحدين وحير العارفين وارقص السالكين وابكى الخاشعين واذهل المتمكنين واتى بجوامع الكلام وراثته من جده ﷺ)^٢

وكان مجلسه مدرسة العلماء ورباط للفقراء ورياضة للسالكين وحجة للعارفين .

^١ تحفة الأحاب ص ١٠٨

^٢ الامام الرفاعي ومنهجه ص ١١٠

وبعد اقامته ، قرر الشيخ قدس الله سره الرجوع الى رواق ابيه بقرية حسن فزادت شهرته وانتشر صيته ، وكان عليه السلام كلما علا شأنه ازداد تواضعاً حتى عُرف له شدة التواضع .

كان كثير الخلوة بربه ، ملازماً للذل والانكسار والمسكنة والافتقار لله الواحد القهار ، لا تفتّر عبادته ولا تنقص همته .

العمر ثمان وعشرين عاماً عهد اليه خاله الشيخ منصور بمشيخة الشيوخ ومشيخة الأروقة والرُّبُط المنسوبة اليه ^١

وفي تلك السنة توفي الشيخ منصور ، فتصدر السيد احمد الرفاعي قدس الله سره على سجادة الإرشاد .

مورد عيشه :

كان للإمام أكثر من مائة الف من المريدين والتلاميذ وطلاب العلم والكثير من الضيوف والمحبين الذين يفدون عليه والكثير من الفقراء الذين يقصدونه ، سواء في مسجده او بيته ، وكان يطعمهم ويأويهم ويكرمهم ، فالكرم كان من صفاته رضي الله عنه .

كانت للسيد موارد مالية تمكنه من الإنفاق على فقراءه منها :

موارده من ميراثه من ابيه السيد سلطان علي والذي كان واسع الثراء، وشيخه السيد منصور الرباني جعل املاكه تحت يد السيد الرفاعي وجعله الناظر عليها والمتصرف فيها دون اولاده .

اضافة لأموال الشيخ ابو الفضل علي القارئ الواسطي التي اوصى حين حضرته الوفاة ان تسلم أملاكه الى السيد احمد فنفذت وصيته فزادت من ثروة الامام الرفاعي وبما مكّنه من الصرف على الفقراء من طلبة العلم الذين كانوا يتبعونه وغيرهم .

^١ تحفة الأحياب ص ١٠٩

الرفاعي ... شيخ الطريقة :

ويتحمل الشيخ الرفاعي مسؤولية تربية المريدين وتوجيههم لتزكية أنفسهم ...
ولا ينسى مسؤوليته في نقل العلم لطلابه وتلامذته ..
واتخذ لنفسه مجلساً في المسجد الكبير ...

كانت أولى تعاليمه بأن يكون لكل طلابه عمل يكسبون منه وانه لا يقبل بعاطل بينهم ، فمن لم يكن له عمل فليبحث عما يكسب منه رزقه ، ومن لا يعرف كيف يبحث فالسيد سيعينه في بحثه ، ومن كان بلا عمل فلا يحضر مجلس السيد او يحضر حلقات علمه او حلقات الذكر ، فليس في المجلس مكان لعاطل .

كان عليه السلام يشرح بوضوح مشرق طريقته :

(طريقي دين بلا بدعة ... وهمة بلا كسل ... وعمل بلا رياء .. وقلب بلا شغل .. ونفس بلا شهوة .

و .. بُني الطريق على الصدق ، والإخلاص . وحسن الخلق ، والكرم .

و.. طريقنا تقى واخلاص ، فمن ادخل في عمله الرياء والفجور ، فقد بعد عنا ، وخرج منا .

و.. من رغب في اظهار الكرامات وخوارق الاحوال وامشاء براهين الأولياء ، قاصداً بذلك التفاخر ، وجلباً لحسن الظن به ، وسُئلاً لصيد الدراهم ، فأنا بريء منه في الآخرة ,, وهو عدوي وانا عدوه .

و.. كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة .

و.. تجارتنا العمل ، ورأسمانا الاخلاص وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، هذا

معراج السير ، وسلم الوصول ، وان الرياء وترك العمل يجلبان التدمير ويورثان الكسل .

و .. من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله .

و .. بني الطريق على الصدق والاخلاص وحسن الخلق والكرم ، أكثر من الدعاء المأثور ،ومل عن الطريق المشهور الرياء والسمعة .^١ كان ﷺ يؤسس للأخلاق التي أمر الله بها ،أليس رسول الله ﷺ قال (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^٢ فالدين أخلاق ، والتصوف حُسْنُ الخُلُق ، وهذا ما كان السيد الرفاعي يسعى لزرعه في نفوس طلابه ومحبيه ، ويبيني عليه طريقته في إعدادهم وتربيتهم .

الرفاعي مدرسة التربية والأخلاق :

كان ﷺ معلماً ، جعل من نفسه نموذجاً للمسلم الذي يسير على الطريق الذي رسمه له الإسلام ووضحه الكتاب والسنة ، وكان اسوة صالحة ومثالاً عالياً امتهن ﷺ وهو الذي امتلأ وقته بالعبادة والذكر المتواصل وتربية المريدين واعطاء دروس العلم والقراءة والبحث ، امتهن الاحتطاب ، فكان ﷺ يحمل فأسه وحبلاً ويحتطب فيبيع ما احتطبه ، يتصدق ببعض ما كسب ويعيش بما بقي . كان لا يأكل الا من كسبه .

وكان يحمل الماء على أجرٍ يتصدق بغالبه ويعيش بما يتبقى رغم سعة ثروته . وكان يحتطب للفقراء للذين لا يجدون من يعيلهم ، ويمأل الماء لمن لا يقدر على جلب الماء او لا يجد ثمنه .

وكان ﷺ يسعد بمساعدة الفقراء كأئهم عياله ، وساد هذا السلوك بين محبيه الذين أورشتهم صحبة الإمام محبة الفقراء والسعي لخدمتهم ، فكانوا كشيخهم يجلبون المياه لكبار السن وللأرامل وأمهات اليتامى .

كان ﷺ قد حُوب الانكسار والتواضع اليه حتى صار التواضع طبعه الذي

^١ انظر اقطاب التصوف الثلاثة ص ٢٧

^٢ رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (٢٧٣) ، و ابن سعد في " الطبقات " (١ / ١٩٢) ، و الحاكم (٢ / ٦١٣) ، و أحمد (٢ / ٣١٨) ،

يوصي به طلابه .

يقول ﷺ : (سلكت كل الطرق الموصلة ... فما رأيت اقرب ولا اسهل ولا اصلح من الافتقار والذل والانكسار .
ف قيل له : يا سيدي فكيف يكون ؟ قال : تُعظّم أمر الله ، وتشفق على خلق الله ، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله)^١

تنظيم الطريقة :

الطريقة الرفاعية العلية اراد لها الله ان تنمو وتنتشر ويزداد روادها فكان لا بد من تنظيم الجماعة بما يؤمن تربية التلاميذ وتركيتهم ومراقبة احوالهم .
بنى السيد الرفاعي ﷺ نظاماً متكاملًا للطريقة الرفاعية نظّم من خلاله العلاقة بين المريدين ببعضهم وبينهم وبين الناس من جهة وبينهم وبين الخليفة من جهة اخرى .

كما انه ارسى العلاقة بين الخليفة والشيخ وبين الخليفة والناس من حوله .
ثم بيّن ﷺ علاقة الشيخ بالجميع وعلاقته بالمجتمع .
قسّم السيد الرفاعي الجماعة الى : مريدين (وهم التلاميذ) ولكل مجموعة من التلاميذ هناك خليفة (معلم) ولكل مجموعة من الخلفاء خليفة الخلفاء .
وقد ركز الامام على تربية المريد والذي يعبر عنه احياناً بالفقير ، يقول ﷺ (علي المريد بالإخلاص ، فانه نهج مسلك العارفين ، وعليك بقلّة العجلة ، وقلة الكلام ، ولينه ، واجابة دعوة الاخوان الى ما لهم فيه مسرة وصلاح حال .. وعليك بالورع فهو سيد الأعمال .. وعليك بالصدق في كل حال ، وبقلّة الدعوى ، وكثرة التواضع ، وكثرة العبادة ، وكثرة الحزن و رقة القلب ، والجهد بخدمة الفقراء ، وحفظ العهود والوفاء بها وبذل المجهود

^١ طبقات الشافعية ٦/٢

والالتجاء الى الملك المعبود^١

وقد ذكر الإمام ما يعين الفقير على التمسك والترقي من خلال :

(أ . فقد المعلوم المحسوس المفضي الى البؤس (اي الماديات وحب الدنيا)

ب. الصبر والتخلي عن كل شيء ما عدى الله تعالى .

ج. ان لا يشكو لمخلوق مثله .

د. ترك المسألة حتى لا يهرب الى الخلق من باب الله تعالى .

هـ. ان يظهر الغنى حتى في فقره .

و. ان يكون عمله خالصاً لله وان لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة)^٢

ومن وصاياه الجامعة قوله ﷺ :

كونوا مواظبين على الصلاة المفروضة ، وابتعدوا عن الحرام ، وراعوا الآداب على

مقتضى آداب الخالق ، وامشوا على منهج الحق والطريق المستقيم ، وتقيدوا

بخدمة الفقراء اخوانكم والضيوف والغرباء والمساكين .. وعليكم بالأذان حسبة

.. فإن للمؤذنين درجة عالية عند الله وهم اطول أعناقاً يوم القيامة .

كما ان على المرید ملازمة شيخه والتعلم منه ليستفيد من بركته عند الله تعالى .

أسس الطريقة الرفاعية :

استندت الطريقة الرفاعية العلية على مجموعة من التعليمات والأوامر والنواهي

التي وضعها السيد الغوث ابو العلمين احمد الرفاعي قدس الله سره والتي جمعها

الشيخ السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه في كتاب اسماء :

(الطريقة الرفاعية) هي :

١ . إحكام جانب التوحيد والتحقيق بمعانيه كإفراد القدم عن الحدوث وذلك

^١ الامام احمد الرفاعي المصلح المجدد ص ٣١ عن المجالس الرفاعية ص ١٤٠

^٢ اقطاب التصوف الثلاثة ص ٢٦ - ٢٧

بتنزيه الله سبحانه في ذاته وصفاته عن سمات الحدوث .

٢ . تعظيم كتاب الله تعالى بالأخذ بأحكامه الكريمة وامتهال أوامره العظيمة .
قال سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه (يا مبارك اقتد بالقرآن المجيد واعمل به
تسعد .

وإياك والأخذ برأيك في كتاب الله تعالى ، بل انتفع بعلم نبيك وتفسيره وعمله
ففي الخبر الطاهر (صلّوا كما رأيتموني أصلي) ولا تتكل على رأيك وعلمك
وتفسيرك فتنزلق)

٣ . الإيمان بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إقراراً باللسان
وتصديقاً بالجنان وعملاً بالأركان واتصافاً بالإحسان و أعني الإحسان (أن
تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ومن تم له هذا المقام فقد اتصف
بالعبودية الحقة التي تلحق صاحبها بأهل السلامة إن شاء الله .

٤ . دوام حضور القلب واستعمال اللسان بذكر الله سبحانه وتعالى بغير عدد
مع ترادف الأنفاس ، فإن العدد قيد وقد قال تعالى (اذكروني أذكركم) .
وفي كلام سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه (اجعل لقلبك بذكرك ربك
حضرة . لا يتدلجح فيها غير ذكره فإنه غيور)

وليكن دائماً لسانك رطباً بذكر الله وإذا ذكرت الله فأذب له أنانيتك وغرضك
وعوائق نفسك وتجرد له تجرد أهل الحق الذين يذكرون إسمه ولا تحف خواطرهم
إلى غيره وهنالك تليق للمجالسة .

ففي الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني)

٥ . المحبة كل المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم والوله به ، وكثرة الصلاة
والسلام عليه ، مع الأدب الخالص وحضور القلب عند ذكره والخشوع لجليل
شأنه صلى الله عليه وسلم . والتمسك بسنته والغيرة له ولشريعته وصدق الموالاتة
لذريته الطاهرة وعترته

٦ . الأخذ بعقيدة السلف والأدب مع الخلف .

والمعنى المقصود من الأخذ بعقيدة السلف نص عليه سيدنا الإمام السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنه) في البرهان المؤيد ولفظه .

" أي سادة نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين وطهروا عقائدهم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقراء ، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول . تعالى الله عن ذلك . وإياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان واليد والعين بالجارحة والنزول بالإتيان والانتقال ، فإن كل ما جاء بالكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما ذكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود

٧ . محبة آل النبي (صلى الله عليه وسلم) وذريته الطاهرين محبة إجلال

وإعظام وإسعاف وصدق مودة عملاً بقوله تعالى :

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)

٨ . إعظام مقادير أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وحفظ حرمتهم والثناء الحسن عليهم والكف عما شجر بينهم وهذا طريق الإمام الأكبر الرفاعي (رضي الله عنه) .

٩ . رد القول بالوحدة المطلقة والحلول ، بل وردّ الشطحات والدعاوى العريضة التي لا يقول بها الشرع ولا يرتضيها العقل قال صلى الله عليه وسلم (إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) إن أردت أن لا يكذب الله ورسوله فكلم الناس على قدر عقولهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه (لا تحدثوا الناس بما لا يفهمون فيفتنون)

١٠ . موافقة إمام من الأئمة الأربعة الكرام أصحاب المذاهب المتبعة في الإسلام . والأخذ بما كان عليه من دون تلفيق ولا تخليط جزماً بأن الإمام الأعظم أبا حنيفة أو الإمام الأجل الشافعي أو الإمام المكرم مالكا أو الإمام

المبجل أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أعلم من ذلك المقتدى به اقتداء تعلم
وتتلمذ لا اتباعاً في ذات الحكم والتقليد فيه إنما هو اتباع وتقليد للمعصوم
صلى الله عليه وسلم

١١ . عدم القول بتصرف الأرواح وسريان الهمم استبداداً لا للأحياء ولا
للأموات ولا يثبتون إغاثة ولا إعانة لمخلوق بالاستبداد منه بل يقولون أن الرحيم
الكريم جلت قدرته وتعالى عظمتة يفيض القدرة والإغاثة والإعانة إلى أرواح
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإلى أرواح الأولياء والصالحين . وهم يفيضون
الإغاثة والإعانة بإفضاء الله سبحانه للمستمدين والنادبين والله المعين . قال
شيخ مشايخ الإسلام الإمام الهمام سيدنا السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي
الله عنه وعنا به في البرهان المؤيد ما نصه :

(شر الهوى رؤية الأغيار والاشتغال عن الخالق بالمخلوق . ما الذي يراه العاقل
من الاشتغال بغيره القول بتأثير غيره في كل أثر ما قليل أو كثير كلي أو جزئي
شرك)

١٢ . الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى ،

١٣ . ذكر الله سبحانه وتعالى مع الإخوان بالجهر التام وحسن الانتظام
والأدب الكامل حالة القعود والقيام وقبض البصيرة والبصر عن النظر إلى الآثار
وقوفاً مع جلاله المذكور العظيم الرحمن الرحيم . والذكر منفرداً خفية بحيث لا
يطلع على سر العبد السالك الذاكر غير ربه أحد ، وهذا هو تعليم النبي صلى
الله عليه وسلم لأصحابه المتأدبين بأدابه .

١٤ . عدم التلبس بثوب شهرة ولبس كل ما أباحه الشرع من دون تقييد بزي
مخصوص عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب كل مبتذل لا
يبالي ما لبس)

١٥ . المبايعه في طريق الحق عملاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذاً بما

كان عليه صلوات الله وتسليماته .

قال الله تعالى " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً " وفي حديث سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، ونقول الحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم)

١٦ . الاهتمام بالتخلق بخُلُق النبي صلى الله عليه وسلم على أن أحسن الحُسن الخُلُق الحسن وفي الخبر عن النبي الصادق عليه الصلاة والسلام (بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

١٧ . حماية القلب من الغفلة لأن الغفلة سواد القلب ويحصل هذا بالتذكير والله تعالى قال " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب "

١٨ . حفظ قدر النعمة لكل منعم قلت أو جلت .

١٩ . قراءة القرآن وطلب العلم لوجه الرحمن قال شيخنا شيخ مشايخ الإسلام مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به " من انقطع عن مجالسنا لأجل قراءة القرآن العظيم أو لطلب العلم ، فهو مجاز فإن القرآن مآدبة الحق والعلم سُلم القرب ونور الحقيقة " .

٢٠ . الاجتماع على ذكر الله تعالى والتحلُّق للذكر وافتتاحه بشيء من الصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآل كلِّ صحب كلِّ أجمعين ، والقيام للذكر

٢١ . اتخاذ حرفة للمعيشة من طريق حل ، وقد عد ذلك الإمام الرفاعي رضي الله تعالى عنه سلوكاً وأوصى أتباعه بذلك وبالغ بالوصية .

٢٢ . الأخذ بما يعني والترك لما لا يعني من كل قول وعمل ، فإنه من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

٢٣ . تطبيق ما ينقل عن القوم على قانون الشريعة المطهرة حتى إذا نأى التطبيق وتعذر التأويل أنكروا نسبة ما يُنقل عنهم إليهم وجزموا بأنه من المدسوس عليهم وبرؤا ساحة أهل الله من المؤاخذات الشرعية العقلية وإجلال مقاماتهم وإعزاز مراتبهم

٢٤ . تعظيم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً وتعظيم الأولياء والصالحين والعلماء العاملين جميعاً وزيارة قبورهم والدعاء في مشاهدهم المباركة والمحاضرة مع أرواحهم الطيبة^١ .

هذه هي اسس الطريقة التي أمر السيد احمد الرفاعي قدس الله سره أتباعه بالتزامها اضافة الى مجموعة من الأذكار والأوراد والأدعية .

انها التزام بالشرعية واستدامة الذكر ، فمن وصاياه الجامعة ﷺ قوله يوصي تلاميذه ومريديه :

(كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهراً وباطناً .

فإن من كان مع الشرع ظاهراً وباطناً كان الله حظه ونصيبه .

ومن كان الله حظه ونصيبه كان من اهل صدق عند مليك مقتدر)

واجبات الشيخ : الشيخ هو الأب والمرابي الذي يدل المرید والسالك على

الطريق الموصل الى رضا

الله ، وهو القدوة التي يتأسى بها السالك ويقيس نفسه عليها ، وهو المرجع

للسالك بعلمه وبحاله وكل ما أشكل على المرید من أمور الدنيا والآخرة .

وقد تعددت مهام الشيخ فهو الذي يصنع الرجال ويمدّهم بالحال والمعرفة ويبين

لهم الطريق اذا تشابكت الطرق وتداخلت عليهم الصور والمرئيات .

والشيخ له معالم ومظاهر وعليه واجبات ، وكما يعرفه السيد الرفاعي ﷺ :

^١ انظر الطريقة الرفاعية للصيادي ص ١٥ - ٤٨

(الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع)

و .. (الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ويبعدك عن المحدثه والبدع)

و .. (الشيخ اذا نصحك أفهمك .. واذا قالك ذلك .. واذا اخذك نهض بك)

و الشيخ مسؤوليته تتعدى الدنيا لتمتد الى لحظات الموت والى العالم الآخر .
فتعاليم الشيخ هي التي ستحدد (بتوفيق الله) الحال التي سيموت عليها المرید
وهي التي ستحدد اعماله يوم العرض والحساب ، فالشيخ الناجح هو الذي يربي
المرید تربية صالحة ويأخذ بيده الى رضوان الله ومغفرته .
فالشيخ هو المرید والمعلم والأب والواعظ .

منهج الشيخ الرفاعي في التصوف :

والشيخ رحمه الله وهو من أقطاب التصوف ومن رجاله فإنه يلخص التصوف بقوله :
(ليس الأمر كما تظنون جبّة صوف وتاج وثوب قصير وانما هو جبّة الحزن وتاج
الصدق وثوب التوكل)^١ .

وهو رحمه الله يرسم لمريديه طريق الإخلاص في سلوك التصوف ، والصدق مع الله ثم
مع النفس .

ويؤكد رحمه الله هذا المنهج حين يقول :

ليس التصوف بلبس الخرق من قال هذا ما صدق

ان التصوف يا فتى حرق يمازجها قلق^٢

فالله سبحانه وتعالى مطّلع على الأفتدة ويعلم ما في الضمائر .

فالتصوف الصادق سلوك صادق ، انه الاحسان ، وليست مظاهر كثوب او

^١ البرهان المؤيد ص ٣٩

^٢ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٢١٩

ادعاء او مسبحة انه اخلاص وصدق ومحبة ... انه صدق العبودية (اتقنوا طريق العبودية بترك الدنيا وترك دعوى واحتمال البلوى وحب المولى)^١ كان ﷺ يؤكد على الجوهر على الإخلاص ويرى المظاهر حُجُبٌ تبعد السالك وتحجبه عن الحق .

يقول السيد الرفاعي ان الله تعالى لا ينظر الى السبحة والجمبة والعمامة ، بل ينظر الى قلبك ، فكيف يفرغ فيه سيره وبركة قربه ، وانت غافل عنه بحجاب الخرق ، بحجاب السبحة ، بحجاب العصا ، بحجاب المسوح ، ما عملت بأعمال الطائفة وتلبس لباسهم يا مسكين^٢

ويرى السيد ان التصوف الاعراض عن غير الله وعدم شغل الفكر بذات الله والتوكل على الله والقاء زمام الحال في باب التفويض وانتظار فتح باب الكرم ، والاعتماد على الله والقاء زمام الحال في باب الكرم والاعتماد على فضل الله وحسن الظن به في جميع الحالات^٣

اركان التصوف عن الإمام الرفاعي :

ان ثلاثية الطريقة (المنهج) والشيخ والمريد هي ما يقوم عليه التصوف .
وان كنا تناولنا مبحث الشيخ والمريد فالطريقة عند الشيخ تماثل سابقتها من حيث الأهمية .

يقول الإمام الرفاعي :

(تزعم انك اكتفيت عنا بعلمك ما الفائدة من علم بلا عمل ؟ وما الفائدة من عمل بلا اخلاص ؟ الإخلاص على حافة طريق الخطر .

^١ البرهان المؤيد ص ٧٦

^٢ البرهان المؤيد ص ٤٤

^٣ البرهان المؤيد ص ٩٨

من ينهض بعملك ، من يداويك من سم الرياء ؟ من يدلك على طريق الإخلاص ؟ (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ^١ هكذا انبأنا العليم الخبير ، تظن انك من اهل الذكر لو كنت منهم ما كنت محجوباً عنهم .
لو كنت من اهل الذكر ما حُرمت ثمرت الفكر .
صدك حجابك ... قطعك عملك) ^٢

ويحدد السيد الرفاعي اولويات السالك من حيث أهميتها .
يقول السيد بملاحظة مهمة : لا تجعل غاية همتك ومنتهى قصدك ان تمر على الماء او تطير في الهواء ، يصنع الطير والحوت ما أردت ، طر بجناح همتك الى ما لا غاية له .

العارف المتمكن لا شيء عنده من العرش الى الثرى اعظم من سروره من ربه والجنة وكل ما فيها في جنب سروره بربه اصغر من خردلة ملقاة في ارض فلاة .
من خساسة النفس ودناءة الهمة وقلة المعرفة اشتغالك بالنعمة عن المنعم .
العارفون تجردوا عن الدارين وطلبوا رب العالمين .

اشكال السالكين في الطريق :

يتكلم السيد الرفاعي عن مراحل الطريق ، حديث عارف بالطريق ، حديث من سلك الطريق وعرف ما فيه .

يقسم السيد الرفاعي السائرين في الطريق الى اربعة :

اولهم : حال رجل طلب المرشد حين رأى إقبال الناس على الطائفة وأحب حالهم وفرح بالرواق والتجمع والزي ونظرة الناس للسالك .

ثانيهم : حال رجل أحب الطائفة وجاء بقلب نظيف ونية مخلصه .

ثالثهم : حال رجل سلك المقامات وقطع العقبات وبلغ من الطريق عوالي

^١ النحل ٤٣

^٢ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٢٣٤ عن البرهان المؤيد ص ٤٤

الدرجات ولكنه وقف عند قوله تعالى (سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا) ^١ فساعة يرى الكون بمشهد الآية التي ارويتم له فيغيب عنم اراه اياها .

وساعة يرى نفسه بمشهد الآية التي ارويتم له فيغيب بها وهذا المشهد هو مشهد الإدلال ومنه تحصل الشطحات والتجاوز .

والرابع : درجة رجل سلك الطريق مقتفياً اثار النبي ﷺ في كل قول وفعل وحال وخلق حاملاً راية العبدية فارشاً جبين الذل في الحضرة الربانية.

فصاحب الدرجة الاولى محجوب ، وصاحب الدرجة الثانية محب ، وصاحب الدرجة الثالثة مشغول ، وصاحب الدرجة الرابعة كامل .

وفي كل درجة من الدرجات تلك درجات كثيرة تظهر للعارف من حال الرجل ^٢ وفي رسالة سواد العينين في مناقب الإمام أبي العلمين للإمام الرفاعي أخبرني الفقيه العالم الكبير بقية الصالحين قال : كنت في أم عبيده زائراً عند السيد احمد الرفاعي في رواقه وحوله من الزائرين أكثر من مائة ألف إنسان ، منهم الأمراء ، والعلماء ، والشيوخ ، والعامّة وقد احتفل بإطعامهم وحسن البشر لهم كل علي حاله وكان يصعد الكرسي بعد الظهر فيعظ الناس ، والناس حلقاً حلقاً حوله فصعد الكرسي بعد ظهر خميس وفي مجلسه وعاظ واسط ، وجمّ غفير من علماء العراق ، وأكابر القوم فبادر قوم بأسئلة من التفسير ، وآخرون بأسئلة من الحديث ، وجماعة من الفقه وجماعة من الخلاف ، وجماعة من الأصول ، وجماعة من علوم أخرى فأجاب علي مائتي سؤال من علوم شتى ولم يتغير حاله حال الجواب ، ولا ظهر عليه أثر الحدة .

^١ فصلت ٥٣

^٢ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٢٣٥ عن البرهان المؤيد ص ١٠٣ - ١٠٤

السلسلة الرفاعية :

أخذ الطريق رضي الله عنه بالسند المتصل بالنبي صلي الله عليه وسلم من أربع طرق :

الطريق الاول : السيد أحمد الرفاعي (من) الشيخ منصور الرباني البطائحي (من) الشيخ أبي المنصور الطيب (خال ام وابن عمه الشيخ منصور) (من) الشيخ يحيى النجاري (من) الشيخ أبي القرمزي (من) الشيخ أبي القاسم السندوسي (من) الشيخ رويم البغدادي (من) الشيخ ابي القاسم الجنيد البغدادي (من) الشيخ سري السقطي (من) الشيخ معروف الكرخي (من) الامام علي بن موسى الرضي (من) والده الامام موسى الكاظم (من) والده الامام جعفر الصادق (من) والده مُحَمَّدُ الباقر (من) والده الامام زين العابدين علي (من) والده الامام الحسين (من) والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (من) ابن عمه رسول الله صلي الله عليه وسلم

الطريق الثاني : السيد أحمد الكبير الرفاعي (من خاله الشيخ منصور الرباني (من) والده الشيخ يحيى النجاري(من) والده الشيخ موسى بن سعيد الأنصاري (من) والده الشيخ كامل الانصاري (من) والده الشيخ يحيى الكبير الانصاري (من) شيخ الصوفية أبي بكر بن موسى الواسطي (من) الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي ثم بالسند المتصل بالطريق الاول

الطريق الثالث : السيد أحمد الكبير الرفاعي (من) الشيخ علي القارئ الواسطي (من) الشيخ أبي الفضل بن كامل الواسطي (من الشيخ غلام ابن ترکان (من) الشيخ علي الروزباري (من) الشيخ علي العجمي (من) الشيخ أبي بكر الشبلي من الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي (من) الشيخ سري السقطي (من) الشيخ معروف الكرخي (من) الشيخ داود الطائي (من) الشيخ حبيب

العجمي (من) الشيخ أبي سعيد الحسن البصري (من) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (من) النبي صلى الله عليه وسلم .

الطريق الرابع :

السيد أحمد الكبير الرفاعي (من) خاله الشيخ منصور الرباني (من) الشيخ محي الدين أبو مُحمَّد الشبنكي (من) الشيخ بكر الهوازني البطائحي (من) (الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالمنام) (من) الامام سهل بن عبد الله التستري (من) الشيخ ذو النون المصري (من) الشيخ اسرافيل المغربي (من) أبي عبيد الله مُحمَّد حبيشة التابعي (من) جابر الانصاري الصحابي (من) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (من) النبي صلى الله عليه وسلم ^١

كراماته :

للسيد الرفاعي كرامات كثيرة ، قد يكون ابرزها هذا الثبات على المنهج الحمدي وهذا التأييد الرباني والنصر الإلهي ، فتلك كرامة لا نظير لها . ثم قيادته لهذه الطريقة الكبيرة وتربيته لهذا العدد الغفير من المريدين في حياته وتكاثرهم بعد وفاته وهذا الذِكر الطيب والمحبة في قلوب مريديه واحبابه . ومن كراماته الكبيرة والعالية الشأن تقبيله يد جده المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وتلك المأثرة التي ما عهدتها أحد قبل الإمام ولا بعده تلقاها الناس خلفا عن سلف حتي بلغت مبلغ التواتر .

وقد تحدثت عنها الكثير من الكتب والتصانيف .

ومن المراجع التي ذكرتها ووصلت إلي علمنا هي (مذكورة في كتاب لباب المعاني ص ٤٣) :

ترياق المحبين للحافظ تقي الدين الواسطي ، نزهة المجالس للصفوري ، النفحة

^١ البرهان المؤيد ص ٨

المسكية للفااروئي ، سواد العينين ، للرافعي القزوين ، الوظائف الاحمدية للصيد
، البهجة الكبرى للحافظ مُجَّد بنقاسم الواسطي، ربيع العاشقين للخطيب
الحدادي ، أم البراهين للحافظ مُجَّد بن قاسم لحاج الواسطي ، التنوير للحافظ
جلال السيوطي ، الشرف المحتم للحافظ السيوطي، طبقات الكواكب الدرية
للمحدث المناوي ، كتاب الاسرار الرحمانية للعارف الصاوي المصري، التذكرة
للشيخ العطار ، النجم السباعي للعيد روس الحسيني، إجابة الداعي للعلامة
ابي القاسم البرزنجي ، شرح الشفاء الشريف للخفاجي ، مناقب الصالحين
للإمام الشعراي ، خزانة الاسير للشيخ علي الواسطي، روضة الاعيان للموصلي
، قاموس العاشقين للشيخ عبدالمنعم العاني نزيل دمشق، صحاح الاخبار للسيد
سراج الدين الرفاعي ، مقدمة البرهان المؤيد للشيخ شرف الدين العباس
الواسطي ، قال الامام عزالدين الفاروئي (مذكورة في كتاب لباب المعاني ص
(٤٣)

في كتابه ارشاد المسلمين : أخبرني أبي الحافظ محي الدين أبو اسحق عن أبيه
الشيخ عمر (الفاروئي) أنه قال : كنت مع سيدنا ومفزعنا وشيخنا السيد
أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه عام حجه الاول وذلك سنة خمس
وخمسين وخمسائة وقد دخل المدينة يوم دخوله اليها قوافل الزوار من الشام
والعراق ، واليمن والمغرب ، والحجاز ، وبلاد العجم ، وقد زادوا عن تسعين ألفا
فلما أشرف علي المدينة المنورة ترجل عن مطيته ومشى حافيا إلي أن وصل الحرم
الشريف المحمدي ، ولازال حتي وقف تجاه الحجرة العطرة النووية فقال : السلام
عليك يا جدي فقال له " وعليك السلام يا ولدي " سمع كلامه الشريف كل
من في الحرم النبوي فتواجد لهذه المنحة العظيمة ، والنعمة الكبرى ، وحن وأن
، وبكي وجثا علي ركبتيه مرتعدا ثم قام وقال :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الارض عني وهي نائيتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فأمدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدَّ له رسول الله صلي الله عليه وسلم يده الشريفة النورانية من قبره الأزهر
الكريم فقبلها والناس ينظرون وقد كان في الحرم الشريف الالوف حين خروج
اليد الطاهرة المحمدية وكان من اكابر العصر فيمن حضر الشيخ حياة بن قيس
الحراني , والشيخ عدي بن مسافر , والشيخ عقيل المنبجي , وهؤلاء لبسوا خرقة
السيد احمد رضي الله عنه وعنهم بذلك اليوم , واندرجوا بسلك اتباعه وكان
فيمن حضر الشيخ احمد الكبير الزعفراني , والشيخ عبدالقادر الجيلاني ,
والشيخ أحمد الزاهد الأنصاري , والشيخ شرف الدين بن عبدالسميع الهاشمي
العباسي , وخلائق وكلهم تبركوا وتشرفوا برؤيا اليد المحمدية ببركته رضي الله عنه
وبايعوه هم ومن حضر علي المشيخة عليهم وعلي أتباعهم رحمهم الله^١

فروع الطريقة :

ولهذه الطريقة فروع منتشرة في العراق وليبيا وسوريا ومصر والباكستان ، ودول
اسلامية اخرى .

ويرى د . توفيق شافي الباحث في الطريقة الرفاعية العلية ان هناك طرق رئيسية
تفرعت عن الطريقة الرفاعية سنورها كما بيّنها في كتابه (الامام الرفاعي
ومنهجه في التربية والسلوك) وهي :

١. السلسلة الواسطية : هذه السلسلة تتصل بسيدنا الامام الرفاعي بواسطة عبد
السميع بن ابي تمام عبد الله بن عبد السميع المعروف بأبي المظفر الهاشمي
الواسطي العباسي .

ومن رجال هذه السلسلة السيد شرف الدين بن عبد السميع وهو الذي جمع

^١ البرهان المؤيد ص ٩-١٠

كتاب البرهان المؤيد .

٢. السلسلة الواسطية الثانية : وتتصل بسيدنا الامام الرفاعي بواسطة الحافظ تقي الدين الواسطي الكبير نزيل الإسكندرية .

٣. الطريق البدوية : فالشيخ السيد احمد البدوي سلك على يد الشيخ بري احد تلامذة الشيخ ابي نعيم أحد مشايخ العراق وأحد اصحاب سيدي احمد الرفاعي .

٤. من فروع الطريقة الرفاعية سلسلة السادة الصيادية والأعزبية والحريرية والشمسية والكيالية والسبسية والعززية والجدلية والعجلانية والقطنانية ومنها فرع الشعبة العلمية المنسوبة لشيخ بلاد الشام ... والجبرتية والعيدروسية والزينية وهي منسوبة الى الامام العارف زين الدين ابي بكر الخوافي ونسبته تصل الى السيد الرفاعي بواسطة الشيخ ابو الفتوح الواسطي ...

كما ان نسبة الامام الشاذلي قدس سره تنتهي الى الغوث الرفاعي .

٥. السلسلة الصيادية : تتصل بحضرة الرفاعي عليه السلام بواسطة سبطه الشيخ السيد عز الدين احمد الصيادي قدس سره .

٦. السلسلة الأعزبية : وهي تتصل بحضرة الغوث الرفاعي قدس سره عن طريق سبطه ابراهيم الأعزب عليه السلام .

٧. السلسلة الكيالية : وتنتهي الى الشيخ اسماعيل المجدوب البلخي المعروف بالكيال الساكن في حلب .

٨. السلسلة الحديدية : تنتهي الى العارف بالله السيد علي بن ابي الحديد من قرية حديد في البصرة ثم هاجر الى الشام .

٩. السلسلة الشمسية : تنتهي الى مولانا الشيخ شمس الدين محمد ، ومنه تفرع فرع مولانا السيد محمد الرفاعي دفين حديثة .

١٠. السلسلة الرجبية : تنتهي الى السيد رجب الرفاعي الكبير نزيل البصرة .
١١. السلسلة العجلانية : ترتبط بالسيد الرفاعي عن طريق ابي البشائر مُحَمَّد بن عجلان الحسيني نزيل الشام .
١٢. سلسلة السادة الجبرية : تنتهي الى الولي الشيخ اسماعيل بن احمد الجبرتي صاحب كتاب النجم الساعي في مناقب السيد الرفاعي .
١٣. العزيزية : ترتبط عن طريق الشيخ عبد العزيز الدميري الديريني الشافعي .
١٤. الجندلية : ترتبط عن طريق الشيخ مُحَمَّد جندل الرفاعي .^١

الرحيل :

ويشاء الله لعبده الصالح ان ينتقل الى جواره في عام ٥٧٢ هجرية بعد عمر قصّاه في التعب والسعي الى الله من كل طريق يستطيعه ﷺ .

وكان ﷺ قد تزوج مرتين ، زوجته الأولى السيدة خديجة بنت ابي بكر ابن اخي الشيخ منصور الرباني خال السيد الرفاعي ، والتي انجب منها ابنتيه فاطمة وزينب .

ويشاء الله ان تتوفى الزوجة الصالحة ، فيتزوج السيد بأختها رابعة التي انجبت له ولده صالح الذي توفي في حياة ابيه .

وحين أتى أمر الله توفي السيد احمد الرفاعي قدس الله سره .

ويدفن في أم عبيدة في العراق .

ويترك السيد أكثر من مائة الف من مريديه وتلامذته الذين تربوا بين يديه وعلى منهجه .

ويترك السيد آثار قيمة خالدة ... في الفقه يخلف السيد كتاب البهجة وشرح التنبيه في الفقه الشافعي .

وفي التوحيد : اهل الحقيقة مع الله .

^١ الامام الرفاعي ومنهجه ص ٣٩٥ - ٣٩٩

وفي علم التفسير : الصراط المستقيم في معنى بَيْبِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وتفسير سورة القدر .

وفي الحديث النبوي : كتاب الرواية في حديث النبي ﷺ ، وكتاب البرهان المؤيد لصاحب اليد .

وفي التصوف : كتاب الطريق الى الله .. وكتاب المجالس الأحمديّة .
ويترك أشعاراً ومخطوطات جمعها لاحقاً تلاميذه .

ويترك اوراداً ليستدل بها ويذكر بها تلاميذه بعده ، ويترك احزاباً كتبت بأسلوب بليغ بلغ عددها ٦٣٢ حزباً وورداً ودعاء .

ويترك اسيد منهجاً وطريقة في السلوك الى الله .

ويترك محبة في قلوب مئات الآلاف من محبيه وتلاميذه ودعاء له بالخير والرحمة من الله .

ويترك طريقة وتكايّا تنتشر في أغلب البلدان الإسلامية تدعوا الى الله وتسبح بحمده .^١

صيغ صلوات السيد الرفاعي على رسول الله ﷺ :

وردت عن السيد الرفاعي ﷺ ست عشرة صيغة صلاة على رسول الله ﷺ ،
منها :

الصلاة الأولى : جوهرة الأسرار

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نُورِكَ الْأَسْبَقِ وَصِرَاطِكَ الْحَقِيقِ الَّذِي أُبْرَزْتَهُ رَحْمَةً شَامِلَةً لَوْجُودِكَ وَأَكْرَمْتَهُ بِشَهُودِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ لِنُبُوتِكَ وَرَسَالَتِكَ وَأَرْسَلْتَهُ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسَرَاجًا مَنِيرًا نَقْطَةً مَرَكِزِ الْبَاءِ الدَّائِرَةِ الْأُولِيَّةِ وَسِرِّ أَسْرَارِ الْأَلْفِ الْقُطْبَانِيَّةِ الَّذِي فَتَقَتْ بِهِ رَتَقَ الْوُجُودِ وَخَصَصْتَهُ بِأَشْرَافِ الْمَقَامَاتِ

^١ انظر اقطاب التصوف الثلاثة ص ٤١ بتصرف

بمواهب الامتنان والمقام المحمود وأقسمت بحياته في كتابك المشهود لأهل الكشف والشهود فهو سرّك القديم الساري وماء جوهر الجوهريه الجاري الذي أحيت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات قلب القلوب وروح الأرواح وأعلام الكلمات الطيبات القلم الأعلى والعرش المحيط روح جسد الكونين وبرزخ البحرين وثاني اثنين وفخر الكونين أبي القاسم أبي الطيب سيدنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب عبدك ونبيك وحبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الصلاة الثانية :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَخَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ صَلَاةً أَرْقَى بِهَا مِرَاقِي الْإِخْلَاصِ وَأُنَالُ بِهَا غَايَةَ الْإِخْتِصَاصِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذَكَرَهُ الْغَافِلُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النُّورِ اللَّامِعِ وَالْقَمَرِ السَّاطِعِ وَالْبَدْرِ الطَّالِعِ وَالْفَيْضِ الْهَامِعِ وَالْمَدَدِ الْوَاسِعِ وَالْحَبِيبِ الشَّافِعِ وَالنَّبِيِّ الشَّارِعِ وَالرَّسُولِ الصَّادِعِ وَالْمَأْمُورِ الطَّائِعِ وَالْمُخَاطَبِ السَّامِعِ وَالسَّيْفِ الْقَاطِعِ وَالْقَلْبِ الْجَامِعِ وَالطَّرْفِ الدَّامِعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَوْلَادِهِ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِهِ الْعِظَامِ وَأَوْلَادِهِمُ الْفَخَامِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْإِسْلَامِ عَلَى مَمَرِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ مَا نَاحَ الْحَمَامُ وَجَنَّ الظَّلَامُ وَحَجَّ مُسَلِّمٌ وَصَامَ وَقَعَدَ فَتَى وَقَامَ وَنَطَقَ بِحَرْفٍ مِنْ كَلَامٍ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ إِلَى يَوْمِ الزَّحَامِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ الْأَنْبِيَاءِ الْعِظَامِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى آلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

الصلاة الثالثة

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ بَحْرِ أَنْوَارِكَ وَمَعْدِنِ أَسْرَارِكَ وَعَيْنِ عَنَانَيْكَ وَلِسَانِ حُجَّتِكَ وَخَيْرِ خَلْقِكَ وَأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ عَبْدُكَ

ونبيك الذي حققت به الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الصلاة الرابعة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ طَبِّ الْقُلُوبِ ودوائها وعافية الأبدانِ وشفائها
ونور الأبصارِ وضيائها وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

الصلاة الخامسة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تُكْتَبُ بِهَا السُّطُورُ وتُشْرَحُ بِهَا الصُّدُورُ
وتَهْوَى بِهَا جَمِيعُ الْأُمُورِ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفُورُ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

الصلاة السادسة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الزَّكِيِّ صَلَاةً تُحَلُّ بِهَا الْعَقْدُ
وتفكُّ بِهَا الْكَرْبُ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

الصلاة السابعة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمَلِيحِ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْأَعْلَى وَاللِّسَانِ
الْفَصِيحِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَمَنْ وَالَاهُ
عَدَدَ مَا تَعَلَّمَهُ مَنْ بَدَأَ الْأَمْرَ وَمُنْتَهَاهُ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ أَنْتَ لَهَا وَلِكُلِّ كَرْبٍ عَظِيمٍ يَا رَبِّ فَرِّجْ عَنَّا بِفَضْلِ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

٣. الطريقة الأحمدية

الطريقة الأحمدية أو البدوية إحدى الطرق الصوفية السنيّة التي تنسب إلى الشيخ أحمد البدوي الملقب بأبي الفتيان. وقد نشر طريقته من مصر من طنطا وتولى أمور الطريقة بعده عبد العال وهو من أوائل مريديه الذين تربوا على يده. وانتشرت طريقته من مصر إلى أقطار العالم الإسلامي مثل تركيا وليبيا والسودان وغيرها من الدول العربية والأوربية والآسيوية.

التعريف بصاحب الطريقة :

هو السيد احمد بن السيد علي بن السيد ابراهيم بن السيد مُحمَّد بن السيد ابي بكر بن السيد اسماعيل بن السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن السيد حسين بن السيد مُحمَّد بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد علي بن السيد مُحمَّد بن السيد حسن بن السيد جعفر بن السيد علي الهادي بن السيد مُحمَّد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد مُحمَّد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام^١ نسب شريف يتصل بالدوحة العلوية الهاشمية المباركة .
كأن الشعر قصد البدوي حين قال :

نسبٌ عليه من النبوة رونقٌ

و مهابةٌ و جلاله و ظهور

نسبٌ كأن الشمسَ بعضُ عقودِهِ

وعلى حواشيه النجومُ سطورٌ

^١ انظر الطرق الصوفية في مصر ص ١٠٣

نسب أم القطب البدوي :

هي السيدة فاطمة بنت مُحَمَّد بن عبد الله بن مدين بن شعيب المَزِينِيَّة (من بني مُزِينَة من مدينة فاس من زقاق الحَجْر بالمغرب)
وأماها : اسماء بنت عثمان بنت أبي بكر المزنية ، وكان عمها سلطان المغرب ^١

المولد المبارك :

ولد قدس الله سره في فاس بالمغرب والتي كانت تسمى مراكش ، سنة ست وتسعين وخمسمائة للهجرة ، وبدأ يتنسم هواء فاس ويشب بين ربوعها .
وحين بدأ بتهجّي الحروف الأولى للقراءة بدأ بحفظ القرآن .
كان منشأ العارف البدوي منذ بدايته إيمانياً ربانياً .

أبوه من المشهود لهم بالتقوى والورع حتى ان قبره بالقرب من باب المعلاة بعد موته سيصير بمكة (لاحقاً) ظاهراً ومزاراً لمحبيه وهو معدود من اقطاب الولاية وذوي الخلافة والتربية لأهل السلوك على نهج السنّة المحمدية ، وأم ذات نسب شريف وخلق قويم ، وأخ أكبر عارف بالله ومن اهل السلوك (والذي سيقود خطى أخيه في التصوف في بداية سلوكه)

رحلة الحج الى الحجاز :

لكن مُكثَّ الأسرة في المغرب بعد ميلاد احمد لم يطل ، ففي مستهل القرن السابع الهجري اي في سنة ٦٠٣ رأى علي ابن ابراهيم (رب العائلة) فيما يراه النائب من يأمره بالرحيل الى الحجاز .

وحزم الشريف علي أمره وعزم على الحج الى بيت الله الحرام .
وبدأت الرحلة ، ولم يكن هناك ما يدعو للعجلة .

وأخذت الأسرة تسير في راحة تامة .. لتدخل البلد الحرام بعد أربع سنين .

^١ الاقطاب الأربعة ص ٧

في رحاب مكة :

وفي مكة بدأت دراسة احمد بانتظام ، فأجاد حفظ القران الكريم واجاد تجويده وتعلم القراءات السبع واشتغل بفقهِ الامام الشافعي .

وبدأت مواهبه تتفتح بالفروسية حتى صار يُضرب به المثل بالشجاعة والفتونة وبدأت مواهبه بالتفتح وتظهر جليّة .

ويتعلم الفروسية وفنونها ، ويتقنها ، حتى صارت هواية له .

وحين اكتملت في شيخنا البدوي صفات الرجل العالم المؤمن القوي ، وحين يشتد السيد ويقوى عوده وتظهر فروسيته وعلمه ويزداد تأمله وتفكره وتعبده ، يشاء الله ان يتوفى والده . لتبدأ مرحلة مهمة في حياته تؤثر فيما سيلي من عمره .

احتل السيد علي حيزاً واسعاً في قلب ابنه احمد ، كان يحبه كأب وكمربي وكمثل أعلى وقيمة قليلٍ مثلها .

وينفضّ المعزّون ويتفرق المشيعون ، ويبقى البدوي مع خيال أبيه ، او ذكراه ، وأسئلة حيرى تبحث في عقل السيد عن أجوبة .

كان ابوه قبل قليل ملء السمع والبصر ، والآن لم يبق منه الا عملٍ قدمه وخيراً فعله .

ربما شاهد قبل أبيه كثيرين يموتون ، لكن الأثر يتحدد بقرب الشخص ، او بمكانه في القلب .

وينكشف للشيخ زيف الحياة ، ويتبين الكذب في بريقتها .

وينغلق الشيخ على نفسه وتُحبب اليه الخلوة ، يتأمل ويفكر ويعبد .

الرحلة .. الى الله :

وقذف ﷻ بنفسه كلها : شعوراً واحساساً ، قلباً وجوارحاً ، بصراً وبصيرة ،

حركة وسكوناً ، نطقاً وصمتاً ... لقد قذف بنفسه في اطلاق مطلق في المحيط
الرباني .

سار السيد في الطريق الذي سار به أسلافه .
بدأ كمريدٍ بايع شيخه فتاب والتزم .

عالج نفسه واستغرق في الطريق ، وتابع شيخه بعد ان أسلم نفسه اليه .
أخذه شيخه وانتهى به الى مقام الرجال الكُمَّل .. أصبح شيخاً وله مريدون
يقودهم ، ساعدهم على ان يصلحوا انفسهم ، حتى اذا وصلوا الى مقام الرجال
بعثهم للهداية والارشاد في اقطار الأرض .

ومن اجل الاستغراق الكامل ، ومن اجل الانغماس الى اقصى ما تستطيع
القدرة البشرية الوصول اليه ، لبس اللثامين .

وربما يكون السبب في التلثم التبرّي من ملاحظة الخلق .

وحين علل ذلك قال : لا معاملة للملثم الا مع الله عز وجل .

ولقد اراد الشيخ رحمته الله ان معاملته مع الله خاصة .

ولزم السيد العبادة واحتلى .

وكان سيدي احمد البدوي رحمته الله يتعبد بجبل ابي قبيس ، وفتح الله عليه ، ويسلك
على يد الشيخ بري احد تلامذة الشيخ ابي نعيم وأحد اصحاب سيدي احمد
الرفاعي قدس سره .

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يكون فيها السيد البدوي صاحب سلوك ، فقد
بايع سابقاً ولبس الخرقة من الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن النيسابوري
والذي ينتهي سنده بلبس الخرقة الى سيدنا الحسن البصري رحمته الله .

واعترزل البدوي الناس ولزم الصمت فكان لا يتكلم الا بالإشارة واصبح في حالة
وله دائم ووجد مستمر .

ويقول رحمته الله :

(وعندما يزيد الوجد عن حده ينتقل الى درجة في المحبة اعلى من مرتبة الوجد) ، وهي الوله ، والوله نوع من المحبة ينسى معه العبد نفسه ، ويسلب عنه حسه ، وفي هذه المرتبة يبلغ المرید أعلى مرتبة في التسامي الروحي ، فيفيض الله عليه من كمالاته ، وانعاماته ، ما يقتضيه كرمه ، ثم يمنّ عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء ، فيرده الى نفسه ، ويصحو بعد محوه ليؤدي رسالته التي اقتضاها ذلك الكرم)

ولقد كانت هذه الحالة سبباً في اطلاق عدة القاب عليه ، منها :

(القدسي) : وهو لقب استأهله بدوينا احمد حين اصبح منصرفاً بكليته الى قدس الجبروت . و (الصامت) ولقد مرت عليه فترة لا يتكلم فيها الا بالإشارة .

و (ولي الله) و (الزاهد) وهو لقب اطلق عليه منذ صغره ^١

لقد سار السيد عليه السلام في الطريق الصوفي المعهود ، الطريق الذي رسمه السالكون الى الله .

وصارت الخلوة ضرورة لصفاء النفس ، صفاء يحجبها عن التردّي في مهاوي الضلال . حتى اذا تمت تزكية النفس (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) ^٢ عاد الى الناس مرشداً وهادياً وناصحاً .

ولقد أتم السيد البدوي خطوات الطريق : أخذ العهد ، الخلوة ، الاستقامة .

ثم كانت الرؤى الآمرة المحتمة الموجهة المرشدة .

ويرى الشيخ (وهو الذي أسلم نفسه لله) فيما يرى النائم من يأمره بالسفر الى العراق ^٣

^١ تحفة الاحباب ص ١٣

^٢ الشمس ٩

^٣ انظر اقطاب التصوف ص ٤٩ - ٥٨

في السنة الثالثة والثلاثين بعد المائة السادسة للهجرة .

السفر الى العراق :

يقال ان السيد سمع هاتفاً في نومه يقول :

(لا تتم فمن طلب المعالي لا ينال وحق آباءك الكرام سيكون لك حال ومقام)
وكان قبلها سمع هاتفاً يأمره بالتوجه الى بغداد .

ويجمع عزمه على التوجه الى بغداد ، ويصارع أخيه حسن بما أزمع عليه ونوى ،
ويتردد أخوه ، فيقول وهو يغالب قلقاً اشتد به : اني اخاف عليك من العراق
فإنها برزخ الأولياء والصالحين .

وامام اصرار السيد احمد يأذن له اخوه بالسفر شريطة ان يرافقه ليطمئن عليه .
وتبدأ رحلتهم نحو العراق وكأنها سير الى مجهول او رحلة لا يُعرف منتهاها .. او
هكذا فكر السيد حسن وهو يغالب قلقه على أخيه الأصغر^١

العراق برزخ الأولياء وبلاد الصالحين ولو كان السيد احمد شخصاً عادياً لما
أشفق عليه الشريف حسن فزيارة الأولياء اقتباس من نورهم وبركتهم ، لكن ..
السيد احمد يسافر الى العراق وقد اصبحت له قدم في الطريق فلا يعلم ما ينتظره
ويتم السفر .. ويدخلان بغداد في ربيع الأول من سنة ٦٣٤ هجرية .

في بغداد :

وحين دخلوا بغداد أحس الشريف حسن بنسائم قدسية تغمرهم واستشعر
بالأرواح الطاهرة تحيطهم ، ويتبدد خوف الشريف حسن حين أخبره أخوه بأنه
رأى في المنام الشيخ الكيلاني والسيد الرفاعي الكبير ، يرحبان به ويعرضان عليه
مفاتيح ويخبرونه بأن يختار منها ما يشاء وبأنه يقول لهما بتواضع ومحبة انا منكما
لكني اريد المفتاح من يد الفتاح .

^١ انظر اقطاب التصوف الثلاثة ص ٥٤ - ٥٥

ويظل السيد البدوي في العراق ينتقل بين الصالحين يروي ظمأ قلبه من محبتهم ،
ثم ... يعود الى مكة في السنة ٦٣٥ هـ .

في ربوع مكة من جديد :

ويرجع الى مكة ، وفي ربوعها يرجع الى خلوته يقضي الساعات في الذكر
والمناجاة ويلزم الصيام والقيام والتفكير .

كان يعيش في عزلة عن كل شيء سوى الله سبحانه وتعالى وكان يتقلب بين
الذكر والقران والصلاة والصوم وكان في احواله شاخصاً يبصره الى السماء ،
كأنه ينتظر امراً او يترقب شيء .

وترد عليه الواردات الربانية والمواهب الإلهية فيرى في المنام من يوجهه للذهاب
الى طنطا في مصر ليربي الرجال وينشر التصوف .

يرى السيد في المنام من يقول له :

سر الى طنطا فإنك تقيم بها وتربي أبطالاً ورجالاً ، وهي تعني فيما تعنيه انه
صار أهلاً لأن يربي رجالاً ، وهذا يستدعي من البدوي ان يشكر الله على
نعمته ومنه وفضله ، كما انها ستزيد مسؤوليته في العبادة والتقوى وجهاد النفس
لأنه بلغ منزلة القدوة والأسوة .

وتبتدئ المرحلة الثانية من حياة شيخنا البدوي قدس الله سره .

ويرحل الى طنطا كما أمر .

ويرحل الى طنطا ليصنع تاريخاً ويخط اسمه بين الأقطاب .

و بمجرد ان يصل طنطا وينزل عند أحد الصالحين فيها يوطن نفسه على ان
يعتلي سطح المنزل . اراد ان يستقر حيث لا يحجبه عن السماء حجاب .

وعلى بركة الله تبدأ المهمة الأصب ... تربية الرجال .

البدوي في طنطا :

وفي طنطا تبدأ مرحلة جديدة في حياة شيخنا البدوي .

كان الأمر بتوجهه الى طنطا يعني بلوغه مرحلة التعليم والقدرة على نقل مفاهيم التصوف وتربية الرجال وقيادتهم في الطريق الموصل الى رضوان الله سبحانه ، يعني انه اصبح استاذاً يُقتدى بسلوكه ويُستنار بتعاليمه .. يعني ان توبته واناوبته الى الله قد قُبِلت وان صيامه وصلاته ، وقيامه قد قُبِلَ وانه صار داعية ... يدعو الناس الى الله تعالى معزراً بالنصر والتأييد .

(روى المؤلفون عن السيد البدوي قوله :

فقرائي كالزيتون وفيهم الكبير والصغير ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أساعده في جميع اموره وقضاء حوائجه ، لا بحولي وقوتي ولكن ببركة النبي ﷺ . فقرائي كالزيتون ومن لم يكن له زيت فأنا زيته ، يعني من كان صادقاً في فقره صافياً كالزيت الصافي ، عاملاً بالكتاب والسنة ، فأنا مساعده في جميع حوائجه الدنيوية والأخروية)¹

كان ﷺ يربي الرجال حتى اذا وصلوا الى حال من الصفاء وحسن التلقي وجههم الى اقطار البلاد لينقلوا تعاليمه في الدعوة الى الله للناس في انحاء مصر ، ثم خارجها لاحقاً .

وكان ﷺ قد اتخذ لنفسه مستقراً على سطح بيت أحد تلاميذه ، ومن فوق السطح كان يوجه ، وفوق السطح يتعبد ويواصل صمته الطويل والتأمل المستمر بالسماء ، وفوق السطح كان يلتقي بالمریدين يربيههم ويعلمهم وينقل اليهم تعاليمه وما أفاء الله عليه به من خير ونور وهدى ، كان السطح خلوة تتكشف فيها السماوات فيسرح في ملكوت الله مسبحاً بجلاله وعظمته ، مشاهداً بالبصيرة هيمنته على هذا العالم الفسيح الواسع ، كان يربي رجاله فوق السطح حتى اذا اكتمل تعليمهم ، أرسل بهم الى انحاء البلاد ليشغلوا بالدعوة الى الله وليعينوا الناس في حربهم مع انفسهم والشيطان والدنيا .

¹ اهل التصوف ص ٦٩

تلامذة الشيخ يجوبون الآفاق :

(ويرسل الشيخ تلميذه حسن القليني الذي تربى على يد الشيخ على السطح ، يرسله الى قلين ويبيشره بأنه سيكون له شأننا فيها وكرامات تعينه في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى .

والشيخ ابو بكر الدقدوسي الذي التقاه الشيخ وجعله في جملة المريدين حتى اذا ما صلح للدعوة بعثه الى ناحية دقدوس في ساحل البر الشرقي ليدعوا الى الله تعالى .

ومن السطوحين الشيخ مُجَّد الكتاني ارسله الاستاذ الى سلمون بالبحر الصغير ومن رجال السطح مُجَّد الواطي الذي أمره الأستاذ بعد التربية بالعودة الى الواط وقال له ان بها مقامك وسيكون لك ذرية صلحاء وشهرة .

ومن اصحاب السطح الشيخ خلف المدفون بقنطرة سنقر بمصر وكان الشيخ عليه السلام يقول له يا خلف انت خليفتنا في مصر .

وكان الشيخ خلف من اهل القيام الطويل والذكر المتواصل ، وكان الذكر يزيده قوة فوق قوته بصورة ملحوظة .

ومن اصحاب السطح علي البراق أرسله السيد الى سبرباي فلما ذهب الى هناك لم يرض عن المكان ولا عن اهله فخرج مغضباً وغادر البلدة راجعاً الى السيد الذي وجَّهه وأعاداه الى البلدة بعد ان زوده بالنصائح التي تنفعه في الدعوة الى الله .

ومن اصحاب السطح الشيخ وهيب أرسل بالدعوة الى ناحية برشوم الكبرى بالقلبيوية وقيل له لا تفارقها فإن مدفنك بها ، وهكذا كان ، بعد ان استمر بالدعوة فيها لآخر ايامه .

ويذكر ان ضريحه كان حرماً يلجأ اليه الناس فلا يقدر احد من الظلمة ان يتعدى عليهم فيه .

ومن اصحاب السطح الشيخ صالح المناوي واخوه الشيخ صلاح ، فأمر السيد الشيخ صلاح بأن يذهب داعياً ومبشراً الى البيجور فذهب اليها واقام بها هادياً ومرشداً الى ان توفاه الله ، و اشار الى الشيخ صالح بالإقامة في بلده فأقان فيها مبشراً وداعياً الى ان توفاه الله بها .¹

الدعوة خارج مصر :

لقد كان من اصحاب السطح الشيخ علي البعلبكي وقد حمل الدعوة الى بعلبك بالشام واستمر يحمل لوائها الى ان توفاه الله ودفن في بعلبك .

وقد حظيت بعلبك ايضاً بداعية اخر من اصحاب السطح هو الشيخ عبد الله اليونيني دفين بعلبك ، كان يحرس البساتين وغيرها ويأكل من كسبه ، ولا يذوق من فاكهة البساتين شيئاً ، ويقول لبطنه على حد تعبير صاحب النصيحة العلوية يا بطن امامك في الجنة ما هو احسن من هذا .

وهذه المهنة التي اتخذها الشيخ اليونيني من انسب المهن لتمكين الانسان من الذكر ومن قيام الليل ومن الاستغفار في الاسحار ، وكان الشيخ اليونيني قدوة في الصلاح والسلوك المستقيم .

ومن جامعة السطح توجه الشيخ خليل الشامي الى الشام بإذن سيدي احمد الى ان مات ، ووقعت له كرامات كثيرة مع نائب الشام حتى انجذب وتبعه وترك الإمارة .

ومن جامعة السطح توجه الشيخ سعد التكروري المدفون في حوران الشام ، الى الشام داعياً ومبشراً ومنذراً ، وكان صائم الدهر متورعاً لا يأكل من طعام احد الولاة وحاشيته ، وكان لا يضع جنبه الى الارض في الصيف ولا في الشتاء .

ومن جامعة السطح تخرج الشيخ نعمة الصفدي خفير صنفد وقد منحه الله سبحانه وتعالى هبة الى درجة ان الشريين كانوا من خشيته لا يسرقون من

¹ انظر اهل التصوف ص ٧٠ - ٧٨

صفد شيئاً .

ومن توجه الى العراق الشيخ عز الدين الموصللي ، كان أصله نائباً في طرابلس
فهاجر الى سيدي احمد لما كان بالعراق وصحبه داعياً ومبشراً ، وكان من اوائل
أصحاب سيدي احمد ، مات في الموصل .

والى اليمن : ومن اصحاب السطح الشيخ علي الكندرائي ارسله السيد الى
اليمن هادياً وداعياً .

والى اليمن ايضاً ارسل السيد من جامعة السطح الشيخ احمد بن علوان اليمني
بناحية تعز .

لقد صحب السيد بمكة المكرمة اوائل جذبه قبل خروج السيد الى العراق .
ومن ارسله السيد الى اليمن الشيخ عوسج المصري دفن في زبيد من ارض اليمن
وهو من اصحاب السطح ، وكان قد ورد الى مصر فزار سيدي احمد بطنطا
وهو على السطوح فأشار اليه بالرجوع الى زبيد وقال له أقم هناك تذكر بنا ،
وما بقي بيننا اجتماع (اي اقم هناك تذكر بطريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ،
واراد السيد ان يوحي اليه بالاستقرار في ارض اليمن دون ان يحاول الرجوع الى
مصر فينقطع تيار الدعوة هناك) وقال له : ما بقي بيننا اجتماع .

اما مكة المكرمة فقد ترك فيها السيد في اثناء اقامته فيها عبيراً زكياً واتباعاً ومع
ذلك فإنه ارسل اليها الشيخ بشير يقول صاحب النصيحة العلوية ارسله سيدي
احمد البدوي من طنطا الى باب المعلاة في مكة المشرفة عند زاوية والده ، فأقام
بها الى ان مات وقبره في باب المعلاة .

طريقة البدوي :

لا تختلف الطريقة البدوية عن باقي الطرق الصوفية من حيث ان جميع الطرق
تعتمد الكتاب والسنة كإطار ، ثم تسعى لتزكية النفس وترقيتها وتحقيق صدق
العبودية فيها لتصبح مؤهلة لدخول حضرة القدس والوصل بالله تعالى .

فتكون بداية الطريقة توبة نصوح ونية بالإقلاع عن الذنوب والعزم على عدم العودة للذنب .

وقد وردت أسس هذه الطريقة العلية ومبادئها في وصايا الشيخ لتلميذه عبد العال ، حيث جاء فيها :

١. طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهود .

٢. اياك وحب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح واعلم بأن الله قال في كتابه العزيز (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) ^١

٣. يا عبد العال اشفق على اليتيم واكس العريان واطعم الجوعان واكرم الغريب والضيفان عسى ان تكون عند الله من المقبولين .

٤. يا عبد العال عليك بكثرة الذكر واياك ان تكون من الغافلين ، واعلم ان كل ركعة بالليل خير من الف ركعة في النهار .

٥. يا عبد العال اوصيك ان لا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله ولا تنطق بغيبة ولا نميمة ولا تؤذ من يؤذيك واعف عن ظلمك واحسن لمن أساء اليك واعط من حرمك .

٦. اوصيك ان تكون عارفاً بالله تعالى .

٧. اوصيك ان تكون مراعيماً لأوامر الله وان لا تترك شيئاً مما أمر الله به .

٨. وان تكون متمسكاً بسنة النبي ﷺ .

٩. وان تكون دائم الطهارة في الليل والنهار .

١٠. وان تكون راضياً عن الله على كل حال في الفرح والحزن والعطاء والمنع .

^١ النحل ١٢٨

١١. وان تكون موقناً بما وعد الله به من رزق دنيوي او نعيم اخروي .

١٢. وان تتحمل اذى الناس .

١٣. ان تكون مبادراً الى اوامر الله فإن المبادرة بالامتثال امانة الاهتمام بالأمر
وامارة العناية بالمأمور به .

١٤. ان تكون شفوفاً على خلق الله .

١٥. ان تكون متواضعاً للناس ولا تتعالى على أحد وان ترى نفسك أقلهم .

١٦. ان تعلم بأن الشيطان عدواً لك كما أخبر الله تعالى .

هذه قواعد السلوك والأسس في الطريقة الأحمدية ، ومعها جملة من الأوراد
والأذكار والأدعية التي وضعها السيد احمد البدوي قدس الله سره لمتبعي طريقته
العلية .

والسيد البدوي لم يترك كتباً ، لكنه عليه السلام ترك رجالاً وترك طريقاً في التصوف
يسلكه الرجال لوقتنا .

وللطريقة في مصر فروع كالمرازة والكناسة والامباية والسلامية والحلبية والشعبية

القاب السيد وتسمياته :

كان للسيد عليه السلام القاب عديدة أطلقها عليه محبوه لِمَا رَأَوْا من جميل أخلاقه
وحُسن صفاته ، وحسب الحال التي رآوه عليها ، ولم يكن له عليه السلام يد في اطلاق
هذه التسميات والالقاب فهو عليه السلام ما كان ليترك الجوهر وينشغل بالعارض
، فَهَمَّهُ عليه السلام أكبر وعين ترى ما هو أهم وأعظم ، لكنه حب الناس لهذا الولي
الصالح وتعلقهم به .

البدوي : وهذه تسمية مدح فالبداوة تعني القوة والفتونة فالبدوي هو الذي
يقطع الصحارى منفرداً لا يخاف ضوايرها ولا ترهبه قسوة الطبيعة فيها ، فكانت
البداوة مرادفة للشجاعة والصبر والتحمل .

الملثم: والثمام غطاء يوضع على الوجه فلا يظهر الا العينين ، وكان البدو يستخدمونه لتفادي رمال الصحراء او حرارتها فكانوا يضعونه عند الحاجة وينزعوه اذا انتفت الحاجة اليه .

أما السيد البدوي عليه السلام فكان وضعه للثام دائم ، وكانا لثامين يغطيان وجهه صيف شتاء .

ويقول العارفون ان وضع السيد البدوي عليه السلام للثامين ربما كانت لستر أحواله التي ترد على وجهه .

ابو الفتيان : الفتى في اللغة هو الشاب وهي حالة بلوغ الأشد ، وملزمة القوة لحالة الشباب اخذوا الفتوة الروحية من كلمة الفتى لأنها تنبئ عن القوة الروحية التي تشابهها قوة او تدانيها .

كما أخذوا الفتوة البدنية والشجاعة الشديدة من هذه المفردة ايضاً .
وقد قيل عن سيدي احمد عليه السلام انه لم يكن بمكة والمدينة وقتها من يضاويه قوة وشجاعة وإقدام .

هذا بما يتعلق بالفتوة الجسدية ، كما انه لم يكن بأولياء مصر من هو اكبر فتونة منه .

السَيِّد : السَيِّد هو أجلُّ القوم قدراً وسائر القوم دون السيد في الشرف .
والسَيِّد : السبع : وفي كل من السَيِّد والسَيِّد معنى الرياسة والزعامة المنبئتين عن الشرف .

وقد إصطلح على تسمية كل من ينتمي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسباً بالسَيِّد للشرف المكتسب من البضعة الطاهرة .

ولجلالة قدره صلى الله عليه وآله وسلم وظهر فضله على العالمين اطلقوا عليه سَيِّد المرسلين .
ولاجتماع اسباب السيادة في سيدي احمد اطلقوا عليه لقب (السَيِّد) حتى

صار هذا اللقب مرافقاً له ومشيراً إليه فلا يُعرف عند اطلاقه الا البدوي رضي الله عنه .

القطب البدوي : قطب الرحي : هو العمود المثبت في مركز القاعدة ، وعليه يدور جزؤها الأعلى اذا تطابق مع القاعدة بواسطة هذا العمود .

وجيَّاب الأسير و بحر العلوم والزاهد وأبو فَرَّاج وابو العباس و الصامت والعطَّاب والسطوحي .

وصية جامعة من وصايا السيد البدوي عليه السلام :

كل وصايا السيد البدوي عليه السلام وصايا حكيمة نافعة لأنها ترتبط بالكتاب والسنة واللتان هما أساس الفكر البدوي ومنهجه في التربية والإرشاد .
وسنعرض واحدة من وصاياه لنستدل على نوع الفكر والمنهج الذي تركه عليه السلام لمحبيه وتلاميذه .

يقول عليه السلام :

(من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم ، ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب ، ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، ومن لم يكن له صبر لم تكن له في الأمور سلامة ، ومن لم تكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله)

وفاته عليه السلام :

اراد الله للنفس الطاهرة ان ترجع الى ربها ، وأراد الله سبحانه وتعالى ان ينتقل وليّه الى جواره .

ويلي سيدي البدوي نداء مولاه وينتقل الى مستقر الرحمة الربانية يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول عام ٦٧٥ هجرية .

ويدفن ﷺ في منزله ويبنى له فيه قبر ومزار .
ثم بُني حول القبر مسجد ، وشيدت فوق القبر قبة كبيرة في عهد علي بك
الكبير .
وما زال القبر والمسجد بطنطا قبلةً لأفئدة احاباه وتلاميذه ومركزاً لتجمع المريدين
الذين يرحل بهم شوقهم الى قبره ومسجده .

صيغ صلاة الشيخ البدوي على رسول الله ﷺ :

الصلاة الأولى

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ شَجَرَةِ الْأَصْلِ النُّورَانِيَّةِ وَالْمِعَةِ الْفَضِيَّةِ الرَّحْمَانِيَّةِ
وَأَفْضَلِ الْخَلْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَشْرَفِ الصُّورَةِ الْحِسْمَانِيَّةِ وَمَعْدَنِ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ
وَحَزَائِنِ الْعُلُومِ الْإِصْطِفَائِيَّةِ صَاحِبِ الْقُبْضَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْبَهْجَةِ السَّنِّيَّةِ وَالرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ
مَنْ أُنْذِرَتْ النَّبِيُّونَ تَحْتَ لُؤَائِهِ فَهُمْ مِنْهُ وَإِلَيْهِ وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ عَدَدَ مَا خُلِقَتْ وَرَزِقَتْ وَأُمَّتٍ وَأَحْيِيَتْ إِلَى يَوْمِ تَبْعَتْ مَنْ أَفْنِيَتْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الصلاة الثانية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نُورِ الْأَنْوَارِ وَسِرِّ الْأَسْرَارِ وَتَرْيَاقِ الْأَعْيَارِ وَمِفْتَاحِ بَابِ الْيَسَارِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَحْيَارِ عَدَدَ نِعَمِ اللَّهِ وَأَفْصَالِهِ .

٤ . الطريقة البرهامية

الطريقة الدسوقية أو الطريقة البرهانية أو الطريقة البرهامية، هي أسماء لطريقة صوفية سنية رئيسية منسوبة ل إبراهيم الدسوقي آخر أقطاب الولاية الأربعة، وتفرعت هذه الطريقة إلى طرق فرعية.

مؤسس الطريقة الدسوقية هو «إبراهيم الدسوقي، بن عبد العزيز أبو المجد»، الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب .

التعريف بصاحب الطريقة :

الطريقة الدسوقية ، نسبة الى مدينة دسوق التي ولد فيها ونشأ وتعبّد مؤسس الطريقة وانتشرت منها .

ودسوق مشتقة من دسق وهو الامتلاء . يقال ملأت الحوضَ حَتَّى دَسِقَ، أي امتلأ حتى ساق ماؤه .

كما انها تعني بياض ماء الحوض وبريقه .

الاسم :

هو السيد إبراهيم الدسوقي بن السيد عبد العزيز أبو المجد بن السيد علي قريش بن السيد مُجَّد أبو الرضا بن السيد مُجَّد أبو النجا بن السيد زين العابدين بن السيد عبد الخالق بن السيد مُجَّد أبو الطيب بن السيد مُجَّد الكاتم بن السيد عبد الخالق بن السيد موسى بن السيد القاسم بن السيد إدريس بن السيد جعفر الزكي بن السيد علي الهادي بن السيد مُجَّد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد مُجَّد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي مُجَّد ﷺ^١

^١ الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار / ١ / ١٨١)

وقد ولد -على أرجح الأقوال- في يوم ٣٠ شعبان عام ٦٥٣ هـ بمدينة دسوق في عهد الملك المعز عز الدين أيك السلطان الأول للدولة المملوكية .

اما نسبه من والدته :

والدته هي السيدة فاطمة الولية الصالحة العابدة ابنة ولي الله تعالى أبي الفتح الواسطي (وهو العارف الكبير ابو الفتح نجم الدين مُحَمَّد بن ابي الغنائم الواسطي وهو من اجل اصحاب الإمام الرفاعي وقد توجه بإشارة منه الى مصر وأسس مدرسة صوفية كبيرة من اشهر رجالها سيدي علي المليجي والإمام عبد العزيز الديريني والعارف جامع الفضلين الدنوشي وجمال الدين البخاري وأضرابهم)^١

النشأة :

ولد ﷺ في ليلة الثلاثين من شعبان سنة ٦٣٣ هجرية وولادته كانت في موضع دفنه في دسوق (وهي الان من المدن التجارية والصناعية بمحافظة كفر الشيخ بمصر ، والقطب الدسوقي هو سبب عمراتها وشهرتها)

ومن حكي صومه في المهدي صاحب كتاب التذكار وكنز الأخبار في كتابه مراسم الطريقة في فضائل اهل الشريعة والحقيقة (ان الشيخ له كرامات كثيرة وان كان مجذوباً في صغره ، وليس المراد بالجدبة لإستاذنا : غيبته عن التدبير بالعقل ، لأنه كان له استنباط وتأليف كما سيأتي ، بل المراد والله اعلم انه سبحانه جذبته اليه من صغره حتى بلغ حالة الكمال في رتبة المشيخة ، فصار مجذوباً متداركاً بالسلوك)^٢

وبعد مولده المبارك عني والده السيد عبد العزيز ابو المجد وهو المتصوف المعروف بتربيته تربية صالحة ونقل الفهم الصوفي للصغير المبارك .

وقد لاحظ والده منذ البدء نبوغ الطفل والعناية الربانية التي تحيطه وبشكٍ جليٍّ .

^١ الاقطاب الأربعة ص ١٣٢

^٢ القطب الصوفي ص ٢٣٨

عمل الوالد الصوفي الزاهد والذي سئلبس ولديه فيما بعد الخرقه لإبنيه موسى و ابراهيم ، عمل على تحفيظ ولده القران الكريم وتعليمه الفقه الشافعي .
وبيني السيد عبد العزيز مكان للخلوة لولده الذي سيصير لاحقاً قطباً يربي رجالاً وينشئ طريقة تعمل للإرشاد الى طريق الإحسان والقرب من الله تعالى ، وكان السيد بخلوته يتلقى العلم من أبيه ويتعبد الى الله بما شاء الله لعبده ان يتعبد به .

ويطول اعتزال القطب في خلوته ... ويشيع خبره ، وتتلهف للقيامه قلوب المحبين وتطول بالسيد الدسوقي رحمته خلوته ، حتى بلغ من العمر الثالثة والعشرين من عمره .

ويشاء الله لوالد السيد الدسوقي ان ينتقل الى جوار ربه ، ويضطر السيد للخروج من الخلوة ليحضر تشييع الوالد المري ودفنه .

وبعد انتهاء مراسم الدفن بهم شيخنا الدسوقي رحمته للرجوع لخلوته ، فيقف محبوه بينه وبين ذلك ويقسمون عليه بالله ان يبقى بينهم لينهلوا من علمه ومعرفته ، وأمام اصرارهم يترك شيخنا الخلوة ويجلس بين ناسه ومحبيه .

السند الصوفي :

تكلم الكثيرون عن اتصال السيد القطب الدسوقي رحمته بكبار الأولياء وانه أخذ العهد عنهم .

والمتتبع لسير السادة الأولياء رحمته جميعاً انه لم يصح لقاءهم بالسيد الدسوقي رحمته ، حيث لم نقع على كتابات علمية ومعتمدة تبين لقاء القطب الدسوقي بأحد او التصريح بأنه لبس الخرقه بأمر منه ، اللهم الا ما كان من علاقته بوالده رحمه الله تعالى والذي أرجعت المصادر انه يستمد طريقته من السلسلة الرفاعية العلية ، ومن الطريقة الشاذلية العلية .

كما ان السيد السوقي رحمته لم يصرح بأنه سلك على شيخ معين ،

بل عكس ذلك ذكر ﷺ انه يسلك على يد سيدنا رسول الله ﷺ .
فالدسوقي ، علمه والده وعني بتربيته منذ كان صغيراً (وكان نبوغه واضحاً ظاهراً
ملفتاً، وبعد أن حفظ القرآن الكريم وتفقه على المذهب الشافعي بنيت له خلوة
بدسوق .

فكان معلمه الأول ابوه رحمه الله تعالى .
ويبدو أنه أمضى سنوات طويلة بخلوته هذه متعبداً متهجداً أثناء الليل وأطراف
النهار ، وكان ابوه هو الذي يرعى خطاه ويوجه تعليمه وإنشائه .
وهذا يقود للاعتقاد ان فتحه كان وهيباً ليس لبشر به يد .
والله تعالى يقول :

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ^١

القطب الدسوقي .. والتصوف :

ربما تتحدد نظرة السيد الى التصوف من خلال قوله :
نطالع في بعض المصادر رأي الدسوقي في التصوف؛ إذ يقول: (ليس التصوف
لبس الصوف ، انما الصوف من بعض شعار التصوف ، ورفيق صفاته ورونق
بمحجته ترقية لا تحصل إلا بالتدرج ، فإذا وصل الصوفي إلى حقيقة التصوف
المعنوي لا يرضى بلبس ما خشن ، لأنه وصل إلى مقامات اللطافة ، وخرج من
مقامات الرعونة وعاد ظاهره الحسي في باطنه الإلهي، واجتمع بعد فرقة، وقذف
فيه جذوة نار الاحتراق، فعاد الماء يحرقه والثلج والبرد يقوي حزامه)^٢
فالتصوف ليس مظهرًا ، وليس لباساً ، انه عقيدة وسلوك ، والملابس تُعين على
الوصول الى غاية ، وليس غاية بذاته .

^١ الشورى ١٣

^٢ الطرق الصوفية في مصر ص ١٢٥

يقول القطب الدسوقي وهو ينصح مريديه ويوجههم :

(يا ولدي البس قميص الفقر النظيف الظريف ، فما الأمر بلبس الثياب ، ولا بسكنى القباب ولا بلبس الصوف ... انما الفقر ان تخلص عملك بقلبك)^١
فمدار الأمر وأساسه هو الإخلاص ، الإخلاص الذي محله القلب ، أما المظاهر كالملبس وغيره ، فليست المقياس ولا الغاية .
والطريق عند الدسوقي كله ذوق .

يقول رحمته الله :

(ومقصودي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لا واصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادتها الربانية، لا من الصدور والسطور، وما تكلم القوم إلا شيء ذاقوه ، وقلوبهم كانت ملائنة بعباء الله تعالى ومواهبه، ففاضت منها قطرات من الحياة التي فيها، فانفجرت علومهم عن عين عين حاصل ماء الحياة، وأما الوصاف فإتما هو حاك عن حاكٍ غيره، وعند التخلق والفائدة لا يجد نقطة ولا ذرة من ذوق القوم)^٢

ويقول رحمته الله :

لا تقنعوا من الطريق بالوصف دون الذوق وما تكلم القوم الا على شيء ذاقوه ، فبالله عليكم يا اولادي اذا سألكم أحد عن شيء من مقامات الطريق فلا تجيبوه الا ان كنتم متحققين به)

(فيا جميع اولادي اذا سألكم أحد عن التصوف مثلاً او عن المعرفة والمحبة فلا تجيبوه قط بلسان قالكم حتى تبرز لكم من صدق معاملتكم ما برز للقوم ، فيكون كلامكم عن حاصل وعن محصول، فاذا قام احدكم بالأوامر الدينية وصدق في العمل يترجم لسانه بالفوائد التي أثمرت من صدقه ،

^١ الطرق الصوفية في مصر ص ١٢٦

^٢ قادة الفكر الصوفي ص ١٢٨

وكل من ادعى الصدق والاخلاص ولم يحصل عنده ثمرة الأدب والتواضع فهو كاذب وعمله رياء وسمعة لا يثمر له الا الكبر والعجب والنفاق وسوء الاخلاق شاء ام ابى ^١

وكان ينصح مرديه دائماً بضرورة صفاء نفوسهم وتجردها من كل الأوصاف والأعلاق الدنيئة حتى يرقوا إلى أعلى المقامات ويشاهدوا، فيقول: (السماع والمخاطبة والمشاهدة من المقامات التي لا يصل إليها إلا من صفت نفسه، وخلا قلبه من ظلمة الخواطر، وتجرد من كل وصف دني، وتخلق بكل خُلُقٍ سني، ولم يطلب في الوجود سوى رضا مولاه، فكان في كل حركاته وسكناته مجموعاً على الله لأى، لا يبغي سواه، فاعمل لعلك تكون من الذين عادت أرواحهم روحانية لطيفة نورانية، جولة تحول في الملكوت، وتشاهد الحي الذي لا يموت، وهي تنظر عجائب غرائب يكون من الأمر المكنون) ^٢

وتظل الشريعة هي المقياس لصحة المنهج وقبوله ، فكل عمل وكل عبادة فالشريعة هي الميزان لكونها مقبولة او مرفوضة .

يدعو القطب الدسوقي رحمته الله الى اقامة شعائر الإسلام والتحقق بأدابه فيقول : اذا حقق الرجل اسلامه واتفق ايمانه فقد فاز باليقين لأن المقرّ بالشهادتين بلا اتيان فروض الدين فهو مسكين .

فاذا اتى بالإسلام والشريعة المطهرة واداء الفرائض المفروضات من الصلاة والصوم والزكاة والحج والحلال وضبط الدين في الأعمال والأفعال والأقوال ، كان هو المسلم المؤمن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، فإن الله تعالى قد حرّم الهمز واللمز والتنايز

^١ قادة الفكر الصوفي ص ٢٥٥ - ٢٥٦

^٢ الطرق الصوفية في مصر ص ١٣٠

والغيبة والنميمة والكفر والفسوق والعصيان^١

ويقول في حقيقة الصلاة :

ليس كل من ركع وسجد فقد صلى ، المصلي هو الذي يأتي بالصلاة على هيئتها وفروضها وتسبيحها وركوعها وسجودها وتشهدها وتكبيرها وتحليلها وتحريمها ووقارها وآدابها وخشوعها وخضوعها وحضورها ، فإن من حافظ على ذلك وجمع وصلى حتى يعلم صلاته كيف تقع ، وتعقل ذلك ووعى وطهر الأعضاء كلها من الحرام ، وليس الحرام واكل الحرام وشرب الحرام ونظر الحرام وسمع الحرام والجلوس الحرام والسعي الحرام والكلام الحرام ومن كل ما حرّمه الشرع ثم صلى وأعطى في صلاته كل عضو حقه وتلذذ بخدمة الله تعالى ، يحصل له من ذلك زيادة عظيمة وبركة جزيلة جسيمة^٢

ويظل الدسوقي رحمته الله يدور بمريديه في جوانب الشريعة ، لا يغادرها وبينه تعالىمه على ما يوافقها وما يلتزم بحدودها .

فقد كان الدسوقي يقول لمن يطلب منه سلوك الطريق :

((يا فلان، اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، وعلى أن تتبع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية، والامتثال بطاعة الله لأقولاً وفعلاً واعتقاداً، وألا تنظر يا ولدي إلى زخارف الدنيا ومطاياها، وقماشها ورياشها وحظوظها، واتبع نبيك في أخلاقه فإن لم تستطع فإن نزلت عن ذلك هلكت، واعلم يا ولدي، أنّ طريقنا هذه طريقة تحقيق وتصديق وجهد وعمل وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف

^١ قادة الفكر الصوفي ص ١٣٢

^٢ قادة الفكر الصوفي ص ١٣٣

شيئاً من أمثالها رفضه الطريق طوعاً أو كرهاً .

وكثيراً ما كان ينصح أتباعه باتباع الشريعة الغراء، فيقول: اسلك المناهج السديدة، والشريعة القويمة السديدة البهية الساطعة اللامعة، التي من عمل بها كان عمله مضموناً، فإن من سلكها واتبع امرها نجا، فإن الله أمركم أن تطيعوا ولا تعصوا، وأن تستقيموا ولا تلهوا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^١

، ويقول في قوة لأتباعه ناصحاً لهم بالتمسك بأهداب الشريعة : من أحب أن يكون من ولدي فليحبس نفسه في قمم الشريعة، وليختم عليها بختم الحقيقة؛ ليقتلها بسيف المجاهدة وتجرع المرارات، الشريعة أصل والحقيقة فرع، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع، والحقيقة جامعة لكل علم خفي، وجميع المقامات متدرجة فيها .

وهكذا يتضح ان الجانب العملي من تصوف الدسوقي يقوم على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله، كما يقوم على : اصطناع المكابدة والمجاهدة، وذلك بالإكثار من الصيام والقيام والذكر وقراءة القرآن، وبالتسبيح والتقديس والدعاء والابتغال من جهة، وعلى الزهد في الدنيا والترفع عن اللذائذ والشهوات والابتعاد عن ضروب اللهو، وأن يرضى المرید بما قد يصيبه في حياته من متاعب ومضايقات من جهة أخرى .

وفي ذلك يقول الدسوقي: من أحب أن يكشف له عن الأنوار ويسقي من دون الدنو وخمر الخمار، وتطلع في قلبه شمس المعاني والأقمار، فليزم عبادة ربه في الأسحار ويداوم الاستغفار .

ويستمر عليه السلام بدعوة أتباعه الى التمسك بالشريعة وبالدين الحنيف حتى بعد موته ويوضح ذلك في وصيته لأتباعه :

^١ الحشر: ٧

ولطالما حذر أتباعه من مخالفة طريقه : ...، وإني أبرأ إلى الله ممن يأخذ على الطريق عوضاً من الدنيا، ويتلف طريقي من بعدي، ويخالف ما كنت عليه أنا وأصحابي، اللهم إن كان أحد من أصحابي يفعل خلاف طريقي فلا تهلكني بذنوبهم، فإن الله يبغض الفقير الذي يبيع أخلاق أهل الطريق بلقمة، وطريقي إنما هي طريق تحقيق وتدقيق، فيا أولادي، إن كنتم أولادي وخالفتموني فأنتم كاذبون))^١

الطريقة الدسوقية :

تبين من أقوال السيد القطب ابراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى ان الطريقة البرهانية تقوم على تعظيم الشريعة الإسلامية والعمل بمقتضى فتحلل ما أحلت وتحرم ما حرمت مهتدين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وفي تفصيل منهج الطريقة يقول الإمام محمد بن علي السنوسي الإدريسي^٢ : ((وأما طريق السادة البرهانية فهو المنسوب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي، وهو مبني على الذكر الجهري، ولزوم الجد في الطاعات، وارتكاب خطر أهوال المجاهدات، وذبح النفس بسكين المخالفات، وحبسها في سجن الرياضة حتى يفتح الله عليها بالسراج في رياض المعرفة، ومن شأن أهل هذه الطريقة السنية الاستكثار بذكر «دايم» بياء النداء (سيما في ضم مجالس التلاوة والذكر الجهري بالجلالة مع الهوية، ومن شأنهم لبس الزي وهو الأخضر) ويصف الإمام الدسوقي نفسه طريقته، فيقول:

(آه، آه. ما أحلى هذه الطريقة ما أسناها وما أمرها، ما أصعب مواردها، ما أعجب واردها، ما أعمق بحرها، ما أكثر أسدها، ما أكثر حياتها وعقاربها، فبا لله يا أولادي لا تفرقوا، واجتمعوا يحميكم الله من الآفات ببركة أستاذكم)

^١ انظر الطرق الصوفية في مصر ص ١٥٩ - ١٦٠

^٢ مؤسس الطريقة السنوسية ١٢٠٢ - ١٢٧٦ هجرية

وحقيقة الطريق لا يقدر عليها إلا كل مجاهد للنفس، مجالد لهواه .
يقول الإمام الدسوقي ليوضح ان الطريق كله مجاهدة لله وبالله :
(واعلم، أنَّ الطريق إلى الله تفني الجلاذ، وتفتت الأكباد، وتضني الأجساد،
وتدفع الشهاد، وتسقم البدن، وتذيب الفؤاد، فهيمان القلب في باطن الأمر،
وجولان الفكر في حصول السر، ونشآن السكر في مداومة الذكر، ومجاهدة
النفس والحواس، والحس في حصول الأنس هو الهيمان الحقيقي المشكور الذي
هو أفضل من هيمان كل واد ودأب مبرور، والمحافظة على السنن والفرض
والتأهب يوم العرض)

والطريقة كلها عند الدسوقي (ترجع إلى كلمتين: تعرف ربك وتعبد، فمن قبل
ذلك عنده فقد أدرك الحقيقة والشريعة)

ومثل بقية الطرق الصوفية فإن الطريقة الدسوقية تستلزم وجود شيخ مربي يأخذ
العهد على المريد الذي يبدأ أمره بالتوبة إلى الله والاستغفار عن ذنوبه .
نلاحظ أنَّ الدسوقي يجعل (الطريقة كالخلافة أو الإمامة، تأخذ العهد والتربية
من شيخ عن شيخ))^١

والواضح ان القطب الدسوقي بنى طريقته كما بُنيت باقي الطرق الصوفية على
الكتاب والسنة ، وسعى لتربية المريدين على تطهير القلب مما سوى الله ،
والمجاهدة لبلوغ رضاه سبحانه وتعالى .

يقول ﷺ: (إِنِّي اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَنْ الْوَلَدَ يَلْبَسَ الْخُرْقَةَ النُّظَيْفَةَ الْعَفِيفَةَ
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ)

الشيخ والمريد :

وإذا كان الطريق شيخ ومريد بينهما عهد، فقد اهتم إمام الطريقة الدسوقية
بإرشاد هؤلاء الأشياخ والمريدين إلى الطريق الحق، فها هو يحذر الشيخ من

^١ انظر الطرق الصوفية بمصر ص ١٦٣

الرشا، (إن أردت أن تكون ولدي حقاً فأخلص العبودية لله لأ، واجعل واعظك من قلبك، وكن عمالاً بجسدك وقلبك، ولا تأخذ لأحد من المريدين درهماً، فإنّ هذه طريقي ومن أحبني سلك معي فيها، فإنّ الفقير الصادق، هو الذي يطعم الناس ولا يطعمونه، ويعطيهم ولا يعطونه، فإنّ الرشا في الطريق الحرام، وشيخكم قد بايع الله تعالى ألا يأخذ فلساً ولا درهماً ولا يأكل له طعاماً إلا أن سلم من العلل)

وعند الدسوقي أنّ الذي يقدم في الطريق هو من فتح عليه الله، ليس لأحد أن يقدم في الطريق لكبر سنه وتقادم عهده، إنّما يقدمه فتحه، ومع هذا فمن فتح عليه منكم فلا يرى نفسه على من لم يفتح عليه، وتأمل يا ولدي إبليس اللعين لما رأى نفسه على آدم ؛ وقال: أنا أقدم منه وأكثر عبادة وقدراً، كيف لعنه الله تعالى وطرده .

ويحدد ﷺ واجبات الشيخ ونوعية العلاقة بالمريد ، كما ينبه المريد الى أساس علاقته بشيخه ، فالطريق اضافة لكونها منهجاً فكرياً فهي مدرسة عملية في البناء والتربية والإرشاد .

ومن أهم واجبات الشيخ كما يرى سيدي إبراهيم الدسوقي، حمل الناس على التوبة من المعاصي (تتوب الناس وتدعوهم إلى طاعة الله وتأمروهم وتنهاتهم وتحذرهم وتذرهم وتحوفهم وتعظهم، وتكون مجتهداً فيما يفلح مریدك، والمريد على قدر ما يرى ممن يتوبه، فكن آمراً بالأعمال الصالحة، تعمل بنفسك، وتأمّر بالعدل، فإذا رآك الذين تأمرهم بالعمل عاملاً عملوا أو سمعوا، وعملت فيهم الموعظة. وإن كنت يا بطل بطلاً وتأمروهم بالعمل قالوا: يعدل هذا نفسه ويقوم ويصوم فإنّ كنت عملاً ولم تعظهم وعظنتهم أعمالك التي يرونها، فإنّ الأعمال أعظم موعظة من الأقوال)

وبالنسبة لواجبات المريد مع شيخه فقد رأينا من قبل أنّ أهم هذه الواجبات كما

يقول الدسوقي: (وللمريد مع شيخه الأدب وحسن الطلب والتسليم للشيخ،
وأن لا يتكلم إلا بدستوره)

ان القرآن الكريم هو المعجزة وهو الهدى الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ،
فالتمسك به هو أساس المنهج الصوفي عند السيد الدسوقي وكل السادة
الصوفية عليهم السلام .

المنهج الدسوقي والقران الكريم :

ان دعوة السيد الدسوقي عليه السلام للتمسك بالقران والتَّوَرُّ به ومعرفة احكامه تظل
ملازمة للسيد الدسوقي في وصاياه لمريديه .

(لا ينتفع بحمل القران العظيم الا من عمل به)

ان هذا الهدى الرائع الذي لا يجعل حداً بين العقيدة والعمل ، بين قراءة القران
والعمل به ، فالعمل هو المقياس فقراءة القران تستمد اهميتها من معرفة النصوص
والعمل بها ، اما القراءة لمجرد القراءة ، وبلا فهم او التزام فلا انتفاع بها ولا
محصلة فيها .

يقول عليه السلام :

(أتروم ان تتذوق اسرار معاني كلام الله عز وجل وانت تبارزه بالمعاصي ؟

ام تروم ان تتذوق اسرار معاني كلام الله عز وجل وانت في الشهوات غارق ؟

ام تروم ذلك وقد تذكرت كل شيء سواه فلا تتلذذ الا بما يحجبك عنه ؟

حاشا لله فإن كلام الله أعز وأجل من ان يدركه المنصرفون عنه)

ثم يوضح السبيل الى فهم معاني كلام الله عز وجل فيقول :

((ان اردت يا ولدي ان تفهم اسرار القران العظيم فاقتل نفس دعواك ، واذهب

شبح قولك ، واطرح نفسيتك تحت قدم اقدامك ، وعفر خديك على الثرى ،

واشهد ان نفسك قبضة من تراب ، واعترف بكثرة ذنوبك ، وخاف ان تردُّ

عليك عبادتك ، وقل : يا ترى مثلي يُقبل منه عمل ؟

فاذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك ان تشم رائحة من معاني كلام ربك .
والا فباب الفهم عنك مغلق .

وعزة ربي ان كل حرف من القران العظيم يعجز عن تفسيره الثقلان ، ولو
اجتمع الخلق كلهم على ان معنى الباء بعقولهم لعجزوا ، وما لأحد من ذات
نفسه شيء قل ولا جل .

وان لم يكن الله تعالى يعلم العبد والا فهو عائم في البحر مزكوم لا شم ولا لم ولا
علم ولا حس ، ومن لم يذق مقام القوم ويرى ويشاهد ، لم يحسن ان يصف بجرأ
لا قرار له او يترجم عن ساحل لا آخر له او يعوم في مقر التخوم او يصل الى
النون او يدرك معاني السر المصون ، واما اذا اعطى عبده علم ذلك فلا مانع)
والباء المشار اليها هي الباء في بسم الله ، والنون في قوله تعالى (ن والقلم وما
يسطرون) والنون في (كن فيكون) .

ان القران علمه محجوب عن المحجوبين ، ولا تُفتح اسراره الا لمن عمل بالكتاب
وتوجه الى الله بكليته واسقط من قلبه ما سواه .

(لو انفتحت اقفال القلوب لاطلعت على ما في القران من العجائب والعلوم
، ولأغناكم عن النظر فيما سواه ، فإن فيه كل ما سُطر في كتب العلماء
(مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)^١)^٢

ويمكن اجمال مبادئ الطريقة الدسوقية العلية بالتالي :

١. من احب ان يكون صادقاً في ارادته وجميع اعماله واقواله فليحبس نفسه
في قمم الشريعة وليختم عليها بخاتم الحقيقة وليقتلها بسيف المجاهدة وتجرع
المرارات .

٢. لا بد للمريد من المجاهدة مع الإخلاص .

^١ الأنعام ٣٨

^٢ انظر من قادة الفكر الصوفي ص ١٤١ - ١٤٢

٣. من لم يكن عفيفاً نظيفاً شريفاً فليس من اولادي ولو كان ولدي من صُلبي .
٤. من التزم بأحكام الدين وأسس الطريقة ومبادئها والتزم بالزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدي وان كان من أقصى البلاد .
٥. على المرید مطالعة مناقب الصالحين وتتبع آثارهم في العلم والعمل ، وكثرة الذكر في الليل والنهار فذلك الطريق ليلتحق بهم .
٦. شرط المرید الصادق ان يخرج من حظوظ نفسه كلها .
٧. المرید الصادق لا يكون له افعال ردى وان لا يصرفه عن طريق القوم صارف ولا حتى السيوف .
٨. ان لا يكون للمرید دعوى صادقة ولا كاذبة وان لا يكون بينه وبين الأحداث والنساء الأجانب ودُّ ولا إخاء .
٩. ان لا يلتفت قلبه لتزكية الناس له .
١٠. ان يكون ابعد الناس عن الآثام ، وان يكون كثير السهر كثير القيام .
١١. إياك ايها المرید ان تدعي كمال محبتك لله تعالى ثم تعصيه .
١٢. من اراد ان يكون من اولادي فليقم قياماً دائماً ويجاهد جهاداً ملازماً .
١٣. والله ما صدق مرید في محبة الطريق الا تبعت الحكمة قلبه .
١٤. شرط المرید الصادق ان يثبت في الطريق .
١٥. لا يدعي المرید الصدق في حبه للطريق وهو ينام وقت الغنائم ووقت فتح الخزائن ووقت نشر العلوم وإظهار المكتوم .
- لقد وضع السيد الدسوقي قدس الله سره اسس لتربية المریدين اضافة لمجموعة من الأذكار والأوراد والأدعية كطريق للتقرب الى الله عز وجل .

خلفاء السيد القطب بعد وفاته :

أجمع كتاب السير والتراجم بان عمر السيد الدسوقي رحمته الله توفي وله من

العمر ثلاث واربعون عاماً قضاها بالدعوة الى الله والإرشاد الى الطريق الموصل لرضوانه .

وبعد ان ربّى الآلاف من المريدين طيلة السنوات التي قضاها في الدعوة والتربية لبيّ نداء ربه وانتقل الى جواره الكريم .

اختلفت المصادر في تحديد سنة ولادة القطب الدسوقي وسنة وفاته ، لكنها اجمعت ان عمره المبارك حين وفاته كان ثلاث واربعين سنة .

ان أكثر المصادر وثوقاً تلك التي حددت ان مولده ﷺ كان سنة ٦٥٢ هجرية وان سنة وفاته كانت في سنة ٦٩٦ هجرية .

وبعد وفاته رضي اله عنه تولى أمر الطريقة وتربية المريدين شقيقه العارف بالله شرف الدين ابو العمران موسى .

والشيخ ابو العمران موسى هو الأخ الأصغر للسيد الدسوقي ﷺ .

وحين باشر الشيخ موسى ﷺ مهمة تربية المريدين بدأ بالتنقل بين دسوق والإسكندرية لمتابعة التلاميذ ونشر الطريقة .

ويشاء الله للشيخ موسى ان ينتقل لجواره وهو في الاسكندرية عام ٧٣٩ على رأي بعض المؤرخين ، وفي عام ٧٢٩ هجرية على قول مؤرخين غيرهم ، ثم حمل ﷺ الى دسوق حيث دفن جنب السيد الدسوقي رضي الله عنهما .

وبعد وفاة السيد موسى تولى أمر الطريق ابنه السيد شمس الدين محمد بن ابي العمران موسى .

ثم استخلف بعده ولده الشيخ جمال الدين عبد الله .

ثم استخلف من بعده ابن ابن عمه وهو المربي الشيخ ابو عبد الله شمس الدين بن ناصر الدين .

ﷺ اجمعين ، وما زالت الطريقة الدسوقية باقية يتخرج منها الرجال حاملين لواء الدعوة والإرشاد .

تفرعات الطريقة الدسوقية :

الطريقة الدسوقية سميت بهذا الاسم نسبة الى مدينة دسوق حيث ولد مؤسس الطريق الولي العارف ابراهيم الدسوقي رحمه الله ، ومنها انتشرت الطريق لباقي البلاد وتسمى بالطريق الإبراهيمية نسبة الى اسم مؤسسها رحمه الله تعالى .
ويطلق عليها ايضاً الطريقة الراهانية نسبة للقب السيد حيث يُطلق عليه برهان الدين .

وقد تشعبت الطريقة فيما بعد وخرجت منها فروع هي :

الطريقة الشرنوبية .

الطريقة الشهاوية .

الطريقة العاشورية .

الطريقة النازية .^١

ومن صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي وردت عن الشيخ الدسوقي :

الصلاة الأولى

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الدَّاتِ المَحْمَدِيَّةِ اللَّطِيفَةِ الْأَحَدِيَّةِ شَمْسِ سَمَاءِ الْأَسْرَارِ وَمَظْهَرِ
الْأَنْوَارِ وَمَرْكَزِ مَدَارِ الْجَلَالِ وَفُطْبِ فَلِكِ الْجَمَالِ اللَّهُمَّ بِسِرِّهِ لَدَيْكَ وَبِسِرِّهِ إِلَيْكَ
أَمِنْ حَوْفِي وَأَقْلِ عَثْرَتِي وَأَذْهَبِ حُزْنِي وَحِرْصِي وَكُنْ لِي وَحُدْنِي إِلَيْكَ مَتِي وَارْزُقْنِي
الْفَنَاءَ عَتِي وَلَا تَجْعَلْنِي مَفْتُونًا بِنَفْسِي مَحْجُوبًا بِحِسِّي وَاكْشِفْ لِي عَنْ كُلِّ سِرِّ
مَكْتُومٍ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ

^١ تاريخ الطرق الصوفية ص ٣٩ - ٤٠

الصلاة الثانية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ عَدَدَ مَا
يَتَعَلَّقُ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ الْقَدِيمِ مِنَ الْجَائِزِ وَالْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحِيلِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً مِنْذُ
خَلَقْتَ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ مِثْلَ ذَلِكَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

٥ . الطريقة الشاذلية

سلسلة صوفية مشهورة وطريقة صوفية منتشرة في مصر وتونس والجزائر وغيرها من البلدان، والشاذلية نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبدالله المولود بعمارة من قرى سبتة في بلاد المغرب .

مؤسس الطريقة :

لقد كان ابو الحسن جميل المظهر جسماً وملبساً ، وكان فارساً يركب الخيل ويقتنيها ، وكان غير متحرج فيما يتعلق بالمأكل والمشرب من حيث النوع وإن كان يتحرج كل التحرج فيهما من حيث الحل والحرمة .

وكان عالماً أجمل ما يكون العلم وأعمقه ومجاهداً يقف مع الجيوش في الميدان يعمل على احراز النصر ومكافحاً يعمل في الحرث والغرس والحصاد .

وكان عابداً أدت به عبادته الى قرب ، قال هو عن حقيقته :

انه الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب .

هذا هو ابو الحسن علي (وشهرته الشاذلي) بن عبد الله بن عبد الجبار ابن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف (ابو يعقوب) بن يوشع بن ورد بن علي (ابو بطال) بن أحمد بن محمد بن عيسى بن ادريس الأول بن عبد الله المحض ابن حلیم اهل البيت الإمام أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام رزقه من زوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء بضعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء^١

المولد والنشأة :

ولد عليه السلام سنة ٥٩٣ هجرية (١١٩٧ ميلادية) بقرية (عُمارَة) من قرى شمال افريقيا بالقرب من مدينة (سبتة) ، وهي تتبع للمغرب حالياً .

^١ هذا الشاذلي ص ١٥٨

ولما بلغ سن التعلم تلقى علومه ومعارفه الأولية على يد شيوخ بلده ، فحفظ القرآن الكريم وأحسن تفهّمه ، وتلقّى مبادئ الطريقة على يد الشيخ مُحمّد بن علي بن حِرزهم^١ وهو احد شيوخ المغرب والأندلس المعدودين وله شهرة وصيت طيب في التصوف .

الرحلة والسياسة :

كان رحمته الله دائم البحث والسعي ، حياته قلق وبحث ، ترقّب ووجد وحب .. وهذا شأن العاشقين ، حياتهم بحث ولوعة .

بعد ان اكمل رحمته الله علوم القرآن وتجوّده في مدينته تاقت روحه للاستزادة من المعارف وإسكات عطش روحه المتزايد ، والذي سيظل في ازدياد. ويترك المغرب ويتوجه الى (زَرَوِيْلَة) قرب تونس عام ٦٠٣ هجرية .

كان عمره عشر سنوات ، وابتدأ شيخنا بالتردد على مشيخة تلك الديار ويتزود من علماءها ، ويتفقه رحمته الله بعلوم الشريعة على مذهب الإمام مالك رحمته الله وبعلم النحو والصرف وعلم الحديث والتفسير ، ويأخذ عنهم آداب الطريقة ومبادئ السلوك .

وينتقل رحمته الله بين مدن افريقيا ويدخل مدينة (القيروان) ينتقل بين العلماء ... ففتحت له ابواب الحقائق واتسعت امامه ميادين المعرفة حتى صار عارفاً بالعلوم الظاهرة .

لكن روحه تظل تدفعه للبحث في دنيا الحقيقة ، فالذي كان يبحث عنه أكبر من ان تتسع له الكتب التي قرأها ويتجاوز العلوم التي حصّلها .

حصّل من العلوم كل ما كانت تزخر به علوم العلماء والشيوخ في تونس والمغرب

^١ احد شيوخ الأندلس والمغرب المعدودين ' من كبار الفقهاء حافظاً للفقّه زاهداً ورعاً متقشفاً ولد في المغرب بضواحي فاس سنة ٦٣٣ هجرية وتوفي ودفن في الأحواز بالمغرب ، كان والده شيخاً لأبي مدين ولبس منهم خرقة التصوف

حتى قيل عنه انه كان (ذا علوم جمّة) وهو (صاحب العلوم الغزيرة)^١ وكان
ﷺ كلما ازداد علماً كلما يزداد شعوره بنقصان علومه ، كلما قرأ أكثر شعر بأن
الذي لا يعرفه يزداد ويتوسع .

كان دأبه ﷺ طلب العلم والترحال ، التزود من العلم ما أمكن والسياحة في
أرض الله ، سافر في صباه من بلدِه المغرب الى تونس ثم سيسير الى ارض العراق
ثم يرجع الى المغرب ثم يعود الى تونس ثم يشد الرحال الى مصر ، وبين كل هذه
المراحل ، كان لا يطيب له المقام في بلدة بل كان يقصد الصحراء او يسكن في
مغارة بسفح جبل ليختلي مع ربه متعبداً متقرباً متضرعاً ينشد المغفرة والقرب
والرضا ، حتى فتح الله عليه وأكرمه بما يكرم به أوليائه .

كانت استزادته من العلم اقتداءً بسيدي رسول الله ، فرغم كل ما أفاء الله عليه
من العلم كان خطاب ربنا تبارك وتعالى له ﷺ (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)^٢ ، فلم
يكن بعدها لعلم العلماء حد يقفون عنده ورسول الله ﷺ مأمور من الله تعالى
بزيادة علمه .

وأما سياحاته المتعددة والمتكررة ﷺ انما كانت هجرة الى الله ، وذهاباً اليه ،
وفراراً نحوه .

يقول الشيخ ابو الحسن ﷺ : أبا المحققون ان يشهدوا غير الله تعالى ، لما
حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية .

كان همه ان ينقي نفسه وان يجاهدها ليزيل عنها شهواتها ، لِتَصْلِحَ للمسير في
طريق السالكين الى الله .

^١ المدرسة الشاذلية ص ٤٧ عن لطائف المنن ص ٤٤

^٢ طه ١١٤

الرحلة الى بغداد :

كان رضي الله كلما ازداد علماً كان يشعر بنقص علمه أكثر ، فكأن العلم بحر كلما ازداد التوغل فيه يبدو من حجمه ما كان مستوراً فكأنه يكبر كلما اوغل فيه أكثر .

وبدأت تستفيق بروحه فكرة ان كل هذه العلوم هي مصابيح تنير له الطريق وليست هي الطريق ، المعارف التي حصل عليها وسيلة للوصول وليست الغاية ، وأحس بأن الذي كان يصبو اليه هو القرب من الله ، ان تستضيء بروحه بنور المعرفة الدنية ، ان .. يكشف الله له الحجب .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)^١

بعد العلم سيضع قدمه على الطريق ، وستبتدئ الخطوة الأولى .
والطريق صعب ومسالكه كثيرة ، والمنزقات فيه متعددة ، ولا بد للسائر من مرشد ، لا بد من رجل يعرف الطريق وخبير مسالكه ويعلم أخطاره .
فمن اين يبدأ ، وأين سيجد هذا الشيخ المجرب العارف بالطريق .
وتصحو بقلبه فكرة ، لم لا يتوجه الى بغداد ؟ حاضرة الدنيا وعاصمتها ،
أليست منذ عهد العباسيين قبلة طالبي الدين والدنيا؟
أليس فيها كبار المحدثين والقمم العوالي من رجال التصوف ؟
أليس فيها معروف والجنيد ؟ أليس فيها الحلاج والسري والشبلي والحبیب العجمي وداوود الطائي ، وأحس بأنه يعرف من أين يبدأ .
وجمع همته وتوجه الى بغداد متوكلاً على الله ، باحثاً عن القطب الذي سيقود خطاه في مسراه الى الله .

^١ العنكبوت ٦٩

في بغداد :

ودخل بغداد سنة ٦١٨ هجرية وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاماً .
وخيّل اليه وهو يدور في انحاءها انها أكبر وأجمل مما تصوّر انها جميلة بشكل غير
مألوف ، كأن السحر والجمال يتهاديان عبر دروبها وأزقتها ، ولم يستغرب ، فقد
خُيّل اليه انه يشم روائح الجيلاني تضيع من الدروب وروائح بخور طلابه تنتشر
بين البيوت ..

وزار الجيلاني ، وزار الجنيد والمعروف والشبلي ، وزار أكثر من مزار ، وأحسّ
بأنه يعرف أصحاب المزارات ، أنهم احبائه واخوانه في الطريق .

التقى الشيخ الشاذلي رحمته الله بأكثر أولياء بغداد وتنقّل بين التكايا وحضر مجالس
الذكر وحلقات التوحيد ، وتعرّف على أهل الأحوال ..

وأحسّ بقلبه ينشدُ أكثر الى الشيخ ابو الفتح الواسطي تلميذ الإمام القطب
سيدي احمد الرفاعي ووالد السيدة فاطمة ام الإمام القطب سيدي ابراهيم
الدسوقي رضي الله عنهم اجمعين .

والسيد ابو الفتح رحمته الله سيتوجه بعدها الى مصر ليؤسس فيها الطريقة الرفاعية
العلية .

وبعد ان يتعرف السيد ابو الفتح على الشيخ الشاذلي يخبره بأنه يبحث عن
القطب في العراق مع ان القطب ببلده ، وينصحه بأن يعود الى بلده ليلتقي
بالقطب .

ويعزم الشيخ الشاذلي على العودة الى تونس ، والى غمارة ..

سيرجع من حيث أتى .

وسيصحب معه أسئلته .

اللقاء بالقطب سيدي عبد السلام بن مشيش :

ويريد الله سبحانه ان يثمر صبر عبده خيراً ، ويصل الى علمه ان ولياً لله يتعبد في جبل خارج قرية (غمارة) ، ويقع في قلب ابي الحسن ان الرجل قد يكون هو ضالته التي يبحث عنها ، ويتوجه الى الجبل .

وعَبَّرَ الصحراء ، وَعَبَّرَ طرقا وعرة يصل الى الجبل ، كان قرب السفح عين ماء ، اغتسل الشيخ عليه السلام في ماءها وصعد الجبل بعد ان تبرأ من علومه ومعرفته وبدأ يرتقي الجبل بأدب وافتقار ، وهذا شأن المقبلين على أولياء الله ، وفي منتصف الطريق رأى شيخاً يهبط الجبل ليلتقيه .

كان الشيخ عليه مرقعة وعلى رأسه قلنسوة من خوص نظر الى ابي الحسن وقال: (يا علي طلعت الينا فقيراً من علمك وعملك ، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة)^١

ثم انه قال له يا علي ابن عبد الله بن عبد الجبار ومضي يذكر نسب الشيخ حتى وصل بالنسب الى الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام .. كل هذا وابو الحسن مستغرق في الدهشة .

يقول الشيخ : فأقمت عنده أياماً ففتح الله عليّ .

والشيخ ابن مشيش قدس الله سره من كبار رجال التصوف وأعلامه ، كان عالماً فقيهاً زاهداً ورعاً متمسكاً بالكتاب والسنة عاملاً بهما .

ويرسم ابن مشيش خط حياة أبي الحسن فيما يستقبله من ايام بعد ان انتهت مدة اقامة ابي الحسن ، فيقول له :

يا علي ارتحل الى افريقيا واسكن بلدة تسمى شاذلة فإن الله عز وجل يسميك الشاذلي ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة .

^١ الطرق الصوفية في مصر ص ١٢٦

وبعد ذلك تنتقل الى ارض المشرق وبها ترث القطابة .
وكان الشيخ ينظر الى الغيب بنور الله ، وهذا تحقق للشاذلي حرفاً حرفاً .
وحين دنت ساعة الفراق قال ابو الحسن لشيخه : يا سيدي أوصني .
(فقال له : يا علي ، الله الله ، والناس الناس ، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك
عن التمايل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح واداء الفرائض ، وقد تمت ولاية
الله عندك . ولا تذكرهم الا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك .
وقل : اللهم أرحني من ذكرهم ، ومن العوارض من قبلهم ، ونجني من شرهم ،
واغنني بخيرك عن خيرهم ، وتولني بالخصوصية من بينهم ، انك على كل شيء
قدير)^١
وفارق الشيخ شيخه .
ويتوجه شيخنا ابو الحسن الى ارض تونس ... الى شاذلة .

في شاذلة :

وتبدأ رحلة جديدة وسياحة جديدة تُدَكِّرُ برحلة الشيخ الى بغداد ، لكن هذه
الرحلة تختلف .
فإن كانت رحلته الى بغداد رحلة بحثٍ ، فإن رحلته هذه رحلة تكليف ، رحلة
عمل بعد ان وضحت له الطرق وصار أكثر دراية ومعرفة بحاله وبالطريق الذي
يسلكه .
وهو وإن كان قد أنذره شيخه بابتلاء في تونس الا انه موعود بالقطبانية في
منطقة اخرى وفي مدينة ثانية .
والشيخ الشاذلي رحمته الله قد هيا الله له سبل الهداية سائحاً او مهاجراً او مقيم ،
كان مبعث هداية وخير اينما توجه ، الا ان الظاهر ان مُكثته في شاذلة سيكون

^١ قضية التصوف ص ٢٧

فترة عبادة واجتهاد وصقل ، خصوصاً انه التقى بشيخه ابن مشيش .
و حين وصل شاذلة تفاجأ بالتفاف الناس حوله وكأنهم كانوا ينتظرون وصوله او
يتربون لقاءه ، فيقرر ان تكون اقامته بمحيط البلدة لا بداخلها . ويرتحل خارج
البلدة ، الى جبل (زغوان) لينفرد في عبادة ونسك فيتغلب على آثار هوى في
النفس ، او ليعث كوامن فضائل .

ويحتلي الشيخ في الجبل متعبداً ليرقى في مدارج السالكين وليحقق العروج في
معارج القدس ، بعيداً عن الناس قريباً من الله ، وان كان الشيخ لا يمنع مجيء
محب زائر او محبٍ سالك ، وكان يصحبه ابو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي
وهو من اهل شاذلة وكان رجلاً تقياً صالحاً مكاشفاً ، والذي سيصحب شيخنا
طيلة فترة بقاءه في الجبل والذي سينقل بعدها ما رأى من كرامات الشيخ في
انفراده للعبادة فوق الجبل .

سبب التسمية بالشاذلي :

(قلت يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي - الأولى ان يسمى الغماري
نسبة الى غمار حيث ولد - .

ف قيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي وانما انت الشاذلي .

بتشديد الذال المعجمة . يعني : المفرد لخدمتي ومحبتني .¹

ويغادر شيخنا الجبل ... ويتوجه الى تونس ليبدأ مرحلة جديدة من الجهاد
والعبادة وهو يعلم بأن ابتلاءً ينتظره هناك ... يتوجه الى تونس مستعيناً بالله
طالباً منه المدد .

الشيخ في تونس :

وهبط الى تونس ، لقد سمع النداء : (يا علي اهبط الى الناس ينتفعوا بك) ،

¹ قضية التصوف ص ٣٠

لقد ذهب الى تونس قبل هذه المرة لكنه كان غير مُوجَّه ، اما الآن فهو يذهب اليها بأمر .

ويهبط الى تونس داعياً الى الله هادياً اليه .

وتجد دعوته صدى في القلوب ، فيجتمع حوله الرجال وتتسع دائرة احبابه وتلاميذه ومُتبعيه .

وكان ممن اتبعه جماعة من الفضلاء منهم الشيخ ابو الحسن علي بن مخلوف الصقلي ، وابو عبد الله الصابوني ، وابو مُحمَّد عبد العزيز الزيتوني ، وابو عبد الله البجائي الخياط ، وابو عبد الله الجارحي .

كلهم اصحاب كرامات على حد تعبير صاحب درة الأسرار ، وكان من بينهم الشيخ الصالح ابو العزائم ماضي تلميذ الشيخ وخادمه .

ثم كثر المريدون واخذوا يزدادون يوماً بعد يوم الى ان اجتمع حوله خلق كثير .. ثم ...

ثم بدأت الغيرة تدب في قلب ابن البراء قاضي القضاة في تونس ، وكلما ازداد اقبال الناس على ابي الحسن أحس ابن البراء بكرسيه يتزعزع ووظيفته في خطر . كان ابن البراء قاضي الجماعة ويحسب نفسه الرأس في أمور الدين ، ويعد لنفسه الزعامة والرياسة .. او هكذا توهم .

كان الشاذلي من العلماء في الفقه والتفسير والحديث ، وكان يفتي ويشرح ويفسر ، وكان كلامه يدخل القلب ويلامس الروح ، يتلمس من حوله نقاء روحه وصفاء قلبه حين يتحدث ، فكانت دائرة احبابه تتسع .

ويحس ابن البراء بالخوف ، ماذا اذا ذاع صيت ابو الحسن أكثر ، وماذا اذا كثر مريدوه ، أين سيكون هو ؟ وما مصيره . ويذهب ابن البراء الى السلطان ويصوّر له ان سلطانه في خطر وان ابي الحسن يمثل تهديداً للملكه .

وتلك مسألة لا يتهاون بها الحكام والملوك ، فحين يكون المثلث في خطر فليس هناك صديق او قريب للسلطان .

ويجمع ابن براء جماعة من علماء البلد ويرسلون الى الشيخ ابي الحسن ليناظروه ، والسلطان (ابو زكرياء) جالس خلف حجاب يسمع ما يدور .

ويأتي الشيخ لحل المناظرة ويبدأ النقاش وتبتدئ المناظرة ، وتتوالى الأسئلة على الشيخ ، فيفيض عليهم بعلوم اسكتهم بها من علوم موهوبة ثم أبهرهم حين تحدث بالعلوم المكتسبة ويسمع السلطان ما لم يسمع مثله من قبل كلام يلامس القلوب .. كلام سيقول عنه - فيما بعد - إمام المسلمين في مصر العز بن عبد السلام ناصحاً المستمعين : (اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله) كان كلاماً غريباً لأنه جديد على مسامع الحاضرين ، وقريب العهد من الله ، لأنه الهام من الله تعالى في هذا الوقت القاه في قلب عبده الشاذلي .

وسمع السلطان كلاماً هابه ، ورأى شيخاً مهيباً ما زال في سن الفتوة .. رأى السلطان نضجاً في العلم ونضجاً في التفكير .

ويوقن بأن ابي الحسن من كبار الأولياء .

رحلة الى بيت الله الحرام :

وأراد الله سبحانه لعبده الشاذلي ان يتم فريضة الحج ، فيتهيأ الشيخ لسفرٍ جديد ويتحرك الركب بالشيخ ومن معه ميممين نحو الحجاز ، ويتوجهون نحو المشرق فيدخلون الإسكندرية .

ثم يغادروها الى الحجاز ، وبعد ان أتمَّ الشيخ ومن معه مراسم الحج يعود الى تونس .

الى تونس .. من جديد :

ويعود الشيخ الى تونس كما وعد سلطانها وهو يغادر الى الحج زائراً ومتعبداً .

ويعود الى تونس هادياً وداعياً الى الله سبحانه ، ويتكاثر حوله الأحاب ويتكاثر حوله المریدون والأتباع .

وكلما ازدادت انوار الشيخ ازداد مكر ابن البراء به ، وكلما كثر الأتباع كثرت محاولات ابن البراء للإيقاع بالشيخ .

ويُقَدِّمُ الى تونس الولي ابو العباس المرسي ويلتقي بالشيخ .

يقول الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : (ما ردني لتونس الا هذا الشاب) ، وهذا الشاب سيصحب الشيخ ويلازمه طول حياته ويكون خليفته ووارث علومه بعد مماته .

ويستمر الشيخ بتونس يدعو الى الله ويتحمل أذى ابن البراء وهو يعلم ان بقاءه بتونس لن يطول ، فقد وعده شيخه ابن مشيش رضي الله تعالى عنه بذلك ، لكنه ينتظر الأمر ... الأمر بالمغادرة .

ولم يطل به الانتظار فقد رأى الشيخ في المنام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له :

(يا علي انتقل الى الديار المصرية تربي بها اربعين صديقاً)¹

ورغم ان الوقت كان صيفاً ، ورغم حرارة الصيف ، الا ان الشيخ يأمر اتباعه بالاستعداد للتوجه الى الديار المصرية .

ويتم تنفيذ الأمر بسرعة ... ويحط الشيخ رحاله بمصر :

(قال ﷺ : لما قدمت الى الديار المصرية قيل لي :

يا علي ذهبت ايام الحن ، وأقبلت ايام المنن ، عسراً يبسر اقتداءً بجدك صلى الله عليه وسلم .

وكان مسكنه ﷺ في الإسكندرية ببحر من ابراج السور ، حبسه السلطان عليه

¹ قضية التصوف ص ٣٩

وعلى ذريته ، دخله عام خمس عشرة وسبعمائة ، في اسفله ماجل كبير ومربط للبهائم ، وفي الوسط منه مساكن للفقراء وجامع كبير ، وفي أعلاه أعلية لسكناه ولعياله . وتزوج هناك وولد له اولاد منهم الشيخ شهاب الدين احمد ، وابو الحسن علي ، وابو عبد الله مُحَمَّد شرف الدين ، ومن البنات : زينب ولها اولاد ، وعريفة الخير^١

ولما استقر ﷺ بالإسكندرية اخذ يلقي دروسه بجامع العطارين ، وكان يحضر عليه أجلاء العلماء وأكابر الفضلاء ، ويرشد المريدين ويدعو الى الله على بصيرة وبقين ، ويعقد حلقات الذكر والوعظ والإرشاد وكان الاقبال على دروسه عظيماً جداً ، من خاصة الناس وعامتهم . وكانت دروس ابي الحسن الشاذلي بمسجد المقياس بالروضة وبالمدرسة الكاملة بالقاهرة .

وكان درسه مظهراً من مظاهر الهيبة والجلال ، والأنس والجمال ، والرفعة والكمال ، فكانت مجالسه لا تزال عامرة بأكابر العلماء وصفوة الفقهاء . لقد كانت مصر حين وصل اليها الشيخ الشاذلي ﷺ تعتر بمجموعة من أكرم العلماء وأفضلهم علماً وخلقاً وصلاحاً ، مجموعة وهبت نفسها لله وأسلمت قيادها له .

(ولقد استقبلت هذه المجموعة ابا الحسن اجمل استقبال وأحسنه ، ورافقته متلمذة ومتأخية : يقول صاحب المفاخر العلية نقلاً عن ابن مغيزل :

ان الشيخ ﷺ ، لما قدم من المغرب الأقصى الى مصر صار يدعو الخلق الى الله تعالى ، فتصاغر وخضع لدعوته اهل المشرق والمغرب قاطبة ، وكان يحضر مجلسه أكابر العلماء من أهل عصره مثل سيدي الشيخ العز بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين دقيق العيد ، والشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، والشيخ ابو

^١ درة الأسرار ص ٣٣

عمرو عثمان بن الحاجب ، وابن الصلاح ، والشيخ جمال الدين عصفور ، ،
والشيخ نبيه الدين بن عوف .
وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقاً وغرباً في عصرهم .
والشيخ محي الدين بن سراقه ، والعلم ياسين تلميذ ابن عربي رحمهم الله
فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية بالقاهرة ، لازمين الأدب ، مصيحين
له ، متململين بين يديه ، وان الشيخ الامام قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة
الولي ابن الولي رحمهم الله كان يرى انه في بركة الشيخ ابي الحسن في مصر وكان
يفتخر بصحبته ، وبحضور جنازته والصلاة عليه بمحاضرة^١
وحين يرجع الشيخ الشاذلي رحمهم الله من الحج يستقبله أمير العلماء العز بن عبد
السلام في موضع يقال له (البركة) يبعد عن القاهرة بستة أميال .
لقد كان مقام الشيخ في مصر مقام خير وبركة على مصر ورجالها ، انتشرت
فيها الدعوة وترى فيها الرجال .

وفاة القطب :

وبعد ان نجح القطب بنشر دعوته الى الله تعالى ، ورى رجالاً متوجهين الى الحق
، وبعد ان عين من سيخلفه في قيادة الدعوة ، لى نداء ربه وانتقل الى رحمة ربه
سبحانه وتعالى .

ولما كان شهر شوال من عام ٦٥٦ هجرية ارتحل الشيخ رحمهم الله الى الاراضي
المقدسة للحج فلما كان في حُمَيْثرة بصحراء عيذاب (وهي بين قنا والقصير)
جمع الشيخ اصحابه في احدى الأمسيات ، واوصاهم بأشياء ، واوصاهم بحزب
البحر وقال لهم (حفظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الاعظم) ثم خلا بأبي
العباس المرسي رضي الله عنهما ، وحده ، وأوصاه بأشياء واختصه بما خصه الله

^١ قضية التصوف ص ٤١ - ٤٢ عن المفاجر العلية ص ١٥

به من البركات .

ثم وجه الحديث لأصحابه قائلاً :

(اذا انا مت فعليكم بأبي العباس المرسي ، فإنه الخليفة من بعدي ، وسيكون له

بينكم مقام عظيم ، وهو باب من ابواب الله تعالى .

وبات تلك الليلة متوجهاً الى الله تعالى ذاكراً يسمعه أصحابه وهو يقول :

الهي ، الهي ، فلما كان السحر سكن فظننا انه نام ، فحركناه فوجدناه ميتاً^١)

وجاء الشيخ ابو العباس فغسله وصلى الجميع عليه ودفن حيث توفاه الله .

ويبين الشاذلي ان طريقته تقوم على أصول خمسة هي :

١ . تقوى الله في السر والعلن .

٢ . إتباع السنّة في الأقوال والأفعال .

٣ . الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

٤ . الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير .

٥ . الرجوع الى الله تعالى في السراء والضراء .

وله ﷺ مجموعة من الأذكار والأوراد والأدعية توزعت في كتبه مثل كتاب :

(كتاب الأخوة) و (حزب البر) و(حزب البحر) و(الحزب الكبير) و(حزب

الطمس على عيون الأعداء) و(حزب النصر) و(حزب اللطف) و(حزب الفتح)

و(صلاة الفتح والمغرب) وكتاب فيه اوراد واذكار شتى .

ومن أشهر تلامذته : تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري ، وأبا العباس المرسي

ومعظم شيوخ الطريقة في شمال غربي افريقيا يرجعون الى طريقته . وفروع الطريقة

في مصر :

١ . الحامدية، ويرأسها إبراهيم حامد سلامة الراضي .

٢ . الهاشمية، ويرأسها مصطفى الطاهر الهاشمي .

^١ قضية التصوف ص ٤٢ عن درة الأسرار

٣. الفيضية، ويرأسها محمود أبو الفيض.
 ٤. الجازولية، ويرأسها سالم جابر الجازولي.
 ٥. الجوهريّة، ويرأسها عيسى عبد الرحيم الجوهري.
 ٦. السلامية، ويرأسها شريف مُجّد طه مشينة.
 ٧. الفاسية، ويرأسها مُجّد سمير الفاسي.
 ٨. الخطيبية، ويرأسها محمود مُجّد الخطيب.
 ٩. العفيفية، ويرأسها عبد الباقي مُجّد العفيفي.
 ١٠. الحمديّة، ويرأسها مُجّد عصام الدين زكي.
 ١١. العروسية، ويرأسها علي فكري منصور كريم.
 ١٢. الحصافية، ويرأسها مُجّد أبو الأسرار الحصافي .
- أما فروع الطريقة الشاذلية بالمغرب العربي فهي:

الجزولية: وهي الشاذلية بعد أن تناولها المراكشيون بالإصلاح حوالي سنة ١٤٦٥ م.. أي حوالي النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.

وللجازولية الشاذلية فروع بالمغرب العربي هي: الدرقاوة، والحماشة، والعيسوية، والشرقاوة، والطيبية.

وهناك فروع أخرى للطريقة الشاذلية بالمغرب العربي وهي :

- العلوية: (فرع جزائري من الدرقاوة بمستغانم بني علوية) والطريقة الدغوغية والرباحية والقاسمية - والصدّاقية. وهي فروع للحمادسة الشاذلية في «مكناس» و «سلا».
- الطريقة الزروقية الشاذلية بمدينة فاس.
- الطريقة السهيلية: (فرع جزائري للطريقة الشاذلية أنشئ في القرن التاسع عشر).

- والطريقة الناصرية: فرع «مراكش» من الشاذلية في «تمكيرون» «أنشئ في القرن ١٧م».
 - والطريقة الشبية: (الفرع التونسي للناصرية الشاذلية).
 - والطريقة اليوسفية: (فرع من الشاذلية المغربية في «مليانة» أنشئ في القرن السادس عشر).
 - والطريقة المدنية: فرع «طرابلس» من الدراوة في «مصرطة».
 - والطريقة الكرازية: فرع من الشاذلية في مدينة «تافيلات» الجزائرية «أنشئ في القرن ١٩م».
 - والطريقة الحبيبية: فرع من الشاذلية في «تافيلات» «أنشئ سنة ١٨٥٢م».
 - والطريقة السنوسية: أسسها السيد مُحمَّد بن علي السنوسي الكبير بليبيا سنة ١٢٥٠هـ.
- ومن ابرز تلامذة الشيخ الشاذلي رحمته الله احمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، وأهله من مرسية بالأندلس، توفي سنة ٦٨٦هـ .
١٢٨٧م . يعد خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطبًا بعد موته، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية.

بعض من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا الشيخ الشاذلي رحمته الله :

الصلاة الأولى

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وَأَسْمَى الْبَرَكَاتِ وَأَرْكَى التَّحِيَّاتِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ عَلَى أَشْرَفِ الْمَخْلُوقَاتِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ أَكْمَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَا رَبَّنَا أَرْكَى التَّحِيَّاتِ فِي جَمِيعِ الْحَضَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ .

الصلاة الثانية

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النُّورِ الدَّائِيِّ وَالسِّرِّ السَّارِي فِي سَائِرِ
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

الصلاة الثالثة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَجَدَّ وَعَظَمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ ، سَيِّدِي لَا تُخْلِنِي مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْأَمَانِ يَا حَنَّانُ يَا
مَنَّانُ ، وَسَلِّمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الصلاة الرابعة

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظَمَةِ ذَاتِكَ وَكَمَالِ عِلْمِكَ وَجَمَالِ أَسْمَائِكَ
وَصِفَاتِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى النُّورِ الدَّائِيِّ وَالْمِنْظَرِ الصِّفَاقِيِّ مَجْلَى الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ
صُورَةَ مَادَّةِ التَّجَلِّيَّاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الرُّوحِ الْقُدْسِيِّ وَالسِّرِّ السُّبُّوحِيِّ بَرَزَخِ الْعَظَمَةِ
الدَّائِيَّةِ الْحَاجِزِ بَيْنَ خَلْقِكَ وَسُبْحَاتِ وَجْهِكَ كُلِّ الْكُلِّ فِي سِرِّ كُلِّ الْكُلِّ حَيْثُ
الْكُلِّ لِلْكُلِّ فَيُوضِ الْجَمَالَ وَالْجَلَالَ وَالْكَمَالَ مِنْ حَيْثُ لَا حَيْثُ إِلَى حَيْثُ لَا
حَيْثُ فِي حَيْثُ لَا حَيْثُ فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ مِنْ حَيْثُ لَا حَيْثُ إِلَى حَيْثُ
لَا حَيْثُ فِي حَيْثُ لَا حَيْثُ كَمَا أَنْتَ حَيْثُ لَا حَيْثُ عَدَدَ الْأَعْدَادِ الْمُتَنَاهِيَةِ
كُلِّهَا مِنْ حَيْثُ انْتَهَاؤُهَا فِي عِلْمِكَ مِنْ جَمِيعِ الْحَيْثِيَّاتِ وَمِنْ حَيْثُ لَا أَعْدَادَ مِنْ
وُجُوهِ عَدَمِ الْحَيْثِيَّاتِ كُلِّهَا فِي مَكُونِ عِلْمِكَ مِنْ غَيْرِ انْتِهَاءٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ .

٦ . الطريقة المولوية

(٦٠٤ هـ - ٦٧٢ هـ = ١٢٠٧ - ١٢٧٣ م)

المولوية هي إحدى الطرق الصوفية التي تنتشر بشكل خاص في تركيا وسوريا، وتنسب إلى جلال الدين الرومي، المعروف عند أصحابه باسم "مولانا" أو "مولوي"، وتشتهر هذه الطريقة بالرقص الدائري والغناء واستعمال الناي.

اسم مؤسس الطريقة ونسبه :

جلال الدين مُحمَّد بن بهاء الدين مُحمَّد بن أحمد بن القاسم بن المسيب بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن أبي طاهر مُحمَّد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن مُحمَّد ابن أبي بكر الصديق التيمي القرشي البكري البلخي^١

المولد والنشأة :

ولد ﷺ في بلخ، أفغانستان^٢ وحين أطفأ شمعته الرابعة رحل والده، بهاء الدين، الذي كان يلقب بـ"سلطان العارفين" إلى بغداد... ثمّة من يقول إن الأخير لم يكن يخاف في قوله لومة لائم، فكان أن أجبره سلطان بلخ على مغادرتها لحدّة لسانه، وثمة من يقول إن استيلاء المغول على بلخ، كان سبب الرحيل. ويترك الرومي بيت الطفولة ويغادر بلخ سنة ٦٠٩ هـ وينتقل مع أهله من مدينة إلى أخرى حتى وصلوا عاصمة الخلافة بغداد حيث تلقّى علومه في المدرسة المستنصرية، ومنها واصلوا السير إلى مكة المكرمة حيث لم تطل إقامته فقد قام أبوه بعدها برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مدداً متفاوتة، وهو معه، ثم استقر في قونية سنة ٦٢٣ هـ في عهد دولة السلاجقة الأتراك.

^١ جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلم الكلام ص ٢٣

^٢ جلال الدين الرومي ص ٧

الواقع أن والد جلال الدين حل بقونية بدعوة من حاكم الأناضول لسعة علمه ومعرفته، كي يعينه مديرا على مدرستها، حيث تلقى ابنه علوم الدين على يديه، ويدي تلميذه برهان الدين محقق.

ودامت دراسة شيخنا على يد والده تسع سنوات .

وبعد السنين التسع من الدراسة وبعد ان شاء الله ان ينتقل الوالد وبرهان الدين الى جوار ربهما ، وتخلو المدرسة من مدرسيتها وتخلو دار الإفتاء من المفتي .

مولانا جلال .. المفتي :

وحاز رحمه الله تعالى على شهرة عريضة في قونية بعد ان نصَّبه السلطان (علاء الدين كيقباد) اكبر سلاطين سلاجقة بلاد الروم واسيا الصغرى والأناضول لكي يشغل المنصب الذي شغل بوفاة أبيه (بهاء الدين) فينهض بتدريس العلوم الدينية كالفقه والأصول والتفسير والحديث ويتولى مقام الإفتاء في البلاد ، فذاعت شهرته وضربت به الأمثال وشُدت اليه الرحال وأقبل عليه الطلبة من كل مكان^١

أخذ الشيخ الرومي على عاتقه -رغم صغر سنه- القيام بمسؤولياته في الفتوى والوعظ بعد وفاة والده ، ثم رأى أن يستزيد من العلوم فرحل ٦٣٠هـ إلى الشام وقضى أعواماً موزعة بين حلب ودمشق حيث تزود فيهما بحظ وافر من العلوم والمعارف .

وفي احدى اسفار الرومي ورحلاته التقى ذات يوم في دمشق بالشيخ الأكبر، محيي الدين بن عربي، الذي أهده بعض أعماله، ويعود الشيخ إلى مدينته قونية بعد أن أقر له شيوخه بالنبوغ والاطلاع الواسع بفضل ثقافته العربية والفارسية المتنوعة.

^١ مختارات من ديوان شمس ٧ / ١

الشيخ الحبوب :

في قونية اشتغل الرومي مجددا بالفتوى والتدريس، فأقبل عليه التلاميذ واستمال الناس بعلمه وزهده حتى لقبوه "إمام الدين" و"عماد الشريعة"، وبلغ عندهم مرتبة من سعة العلوم والمعارف دعوه بسببها "سلطان العارفين".

ويتحلّق التلاميذ حول الشيخ الرومي ، وتتعلق قلوبهم به ، يستمعون لمواعظه وينهلون من علومه وفقهه ويأخذون منه الفتاوى ويستمدون العلوم ...

لكن ... تلك المسيرة الهادئة والساكنة ، والماضية بطريق واحد ... كان الله سبحانه وتعالى قد أعدّ لها لحظة تحوّل ونقطة تغيير ستقلب المسار وترسم للشيخ الفقيه الرومي توجّه جديد سيكتب فيه اسمه ويمداد قوي ليس في تاريخ المسلمين والاسلام فحسب بل في تاريخ الأمم جمعاء ... فسيعرفه الناس في اوروبا وأمريكا بل والعالم كله وسيغنّون بما غنّا به وسينشدون لمن أنشد له .

اللقاء بالمتصوف شمس :

ويوم اراد الله له ان يلتقي بالعارف الصوفي شمس التبريزي ، الذي خرج من دنيا المجهول كومضة برق في سماء مولانا تفتح بقلبه باباً الى المعرفة والذوق ، وتُفجّر في روحه ينابيع من المحبة والشوق والتحريق والإبداع ، وألف سؤال ظل طول حياته يبحث لها عن أجوبة .

لقاء خطط له القدر بعناية لينقل مولانا الى دنيا من الصفاء الآسر والشوق .. الى القرب والمعرفة الربانية والمحبة الإلهية .

كتب الكثيرون عن لحظة اللقاء بين مولانا وشيخه والذي سيقود خطاه لاحقاً في دنيا المحبة والنور ... يقولون انها ابتدأت حين أوقف الشاب الثلاثيني الذي يسير وسط طلابه ، رجلٌ ستيني ، يقطع عليه الطريق الذي يتوسطه بشموخ ليسأله سؤالاً يُعشى على الشاب العالم عند سماعه ، وبعد ان يفيق يترك طلابه وكتبه ويسير خلف الشيخ في دنيا جديدة .

يقول بعضهم انه سأله لماذا تدرس وتتعلم ؟

فيجيب لأعرف الشرع .

فيقول له الشيخ : أما كان أولى بك ان تعرف رب الشرع ؟

والبعض يرى ان الشيخ سأله ما غاية العلم ؟

فيقول مولانا : الدلالة على حكم الله ومعرفة ما يرضي الله ؟

فيقول له الشيخ : إن علماً لا يصلك بالله ، الجهل خير منه .

والبعض يذهب الى ان الشيخ شمس سأله : يا عاشق التراب ، يا مدرّس قونية

ومفتيها الكبير ، قل لي : ابو يزيد البسطامي أعظم أم مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ ؟

وكان صاعقة فجأة نزلت على روح مولانا ، وفي صمت عميق للروح وفضاء

النبوغ أضرم شمس ، الرث الثياب المغمور بسؤاله شُعلةً في روح مدرس الفقه

الكبير .

ويجب مولانا : رسول الله ﷺ عظيم أهل الدنيا وإمام البشر ، ولا نسبة بينه ولا

مقايسة بأبي يزيد .

وفي وسط الصمت الموجه للروح الذي استبد بالحاضرين ، أراد شمس وبجراً ان

يفجر ينابيع الشوق والإيمان المنزوي المفعم بالعشق في قلب مولانا ، فيصيح

وبنبرة الأمر :

فلماذا اذن قال النبي الأكرم : (ما عرفناك حق معرفتك) ويقول أبو يزيد :

(سبحاني ، ما أعظم شأنني) ؟

وكان سؤالاً محرّجاً ومخيفاً وفيه جرأة .

وكان هذا الرث الهيئة لديه رسالة تجعله ينشغل بمحقق المقامات التي يمتلكها مفتي

المدينة عظيم القدر ، فيجعل بسؤاله كل ذرة في وجوده ترتجف .

وينتاب مولانا اضطراب من هذا السؤال ، فلم يستطع الاحتفاظ بتوازنه فيسقط

على الأرض ثملاً ذاهلاً صامتاً .

ومهما يكن السؤال فهو رمية أصابت هدفها وحققت مرامها .

في عوالم الصفاء والحب :

على ان مولانا الذي سيعتاد لاحقاً على أنغام شمس التي ستهيِّج في عالم الحال أحواله سيترك منصب التدريس وكرسي الوعظ ويتخلى عن ضجيج عالم المعقول ويودّع حياة الظاهر ثملاً بخمرة العشق والشوق ، ويستأثر شمس ويستبد بالقلب والروح المفعم بالفكر والرؤى لدى الفقيه الرومي مدرّس الفقه الحنفي .
ويدوق الرومي حلاوة عشقٍ ما عرفها من قَبْل ويعيش صفاءً يورث في القلب سكينه وقرب .

وبتية مولانا في عوالم العشق الإلهي ، ويغمره حب الله حتى ينعكس على كل ما حوله ... أليس كل ما حوله من صُنْع الله ... ويتسع قلبه لكل البشر على اختلاف ألوّانهم ... أليسوا هم الذين نفخ فيهم الله سبحانه من روحه ؟
لقد أعاد التبريزي صياغة فكر الرومي وطبيعة تدينه، كما أثر فيه سلوكا، حتى أن الأخير أنهى صلته بتلاميذه وقلل من مجالسته لأهل العلوم الظاهرة، وحول بوصلته إلى العلوم الباطنة.

يقول الرومي مؤكداً فضل التبريزي عليه وتأثيره البالغ : (إن شمس الدين التبريزي هو الذي أراني طريق الحقيقة، وهو الذي أدين له بإيماني و يقيني) .
كان الرومي قريباً من التبريزي، الذي كان يعد من أقطاب الصوفية .
انشغل مولانا جلال الدين الرومي بعد لقاءه بالشيخ شمس التبريزي بالصلاة والصوم؛ إذ كان يصوم يومين ويفطر يوماً، وصار قلبه ممتلئاً بالعشق الإلهي، وكان شمسٌ مرشده في الطريق، وكان يقضي ليالي في السماع والدوران، وانصرف كلياً إلى الحياة الروحانية، تاركاً حلقة التدريس والوعظ، حتى وصفوه بالتحول من مُعلِّمٍ إلى درويش .

الطريقة المولوية :

من الوجد والوله والحب، جاء منهج جلال الدين في التصوف؛ إذ كان وجده وسيلة للوصول إلى مدارك الكمال، وكان السماع بابًا منه يصل إلى الله، وبنموذج يشبه الجذبات الصوفية، كان يركز وجده الصوفي في شخص صوفي، وبعد اختفاء شمس الدين النهائي، ركز جلال الدين مع تلميذه صلاح الدين زركوب، فكان يبحث معه قضايا التصوف والجذبات الصوفية، وقد أصبح جلال الدين حينها واحدًا من أهم أعلام التصوف، وله طريقة سميت بـ(المولوية)، وقد ركزت طريقة جلال الدين على السماع والإنشاد الصوفي، ومدى تأثير السماع في نفس الصوفي وانجذابه ووصوله إلى درجات الكمال. يؤمن المولويون بالتسامح غير المحدود، بتقبل الآخرين، التفسير والتعقل الإيجابي، الخير، الإحسان والإدراك بواسطة المحبة .

ويقومون بالذكر عن طريق رقص دوراني مصاحباً لموسيقى وتسمى السمع والتي تعتبر رحلة روحية تسمو فيها النفس إلى أعماق العقل والحب ليرتقوا إلى الكمال .

وبالدوران نحو الحق، ينمو المرید في الحب، فيتخلى عن أنانيته ليجد الحقيقة فيصل إلى الكمال .

ثم يعود من هذه الرحلة الروحية إلى عالم الوجود بنمو ونضج بحيث يستطيع أن يحب كل الخليقة ويكون في خدمتها .

كان الرومي يستعمل الموسيقى والشعر والذكر كسبيل للوصول إلى الله، فالموسيقى الروحية بالنسبة له تساعد المرید في التعرف على الله والتعلق به، ومن هذا المنطلق تطورت فكرة الرقص الدائري التي وصلت إلى درجة الطقوس، وقد شجع الرومي على الإصغاء للموسيقى فيما سماه الصوفية السماع، فيما يقوم الشخص بالدوران حول نفسه، فعند المولويين الإنصات للموسيقى هو رحلة

روحية تأخذ الإنسان في رحلة تصاعدية من خلال النفس والمحبة للوصول إلى الكمال.

في مؤلف «فيه ما فيه» للرومي، ينص «مولانا» على أن الصلاة هي شأنٌ باطني، فلا صلاة إلا بحضور القلب ولكن لا بد أن تأتي بصورة الصلاة: تركع وتسجد وعندئذ تستفيد وتصل إلى المقصود. فإذا كانت «صلاة الصورة» مؤقتة بالنسبة للرومي، إلا أنه ينبغي للصلاة أن تظهر بالصورة لأن للمعنى اتصالاً بالصورة، وإذا لم يكن الاثنان معاً، ليس لهما فائدة.

والمريد المولوي يسمى "درويش" والتي تعني الفقير أو الشخص المكتفي بأقل الحاجات المعيشية.

آثار الرومي وكتابه :

قدم الصوفي الشيخ جلال الدين الرومي من عقله وقلبه وحبه معارف وعلوم فأغنى فكر وتراث التصوف الإسلامي بكتابات في الفلسفة والأدب أسهمت وبشكل مؤثر في معرفة التصوف ونقله للأجيال .

كتب الرومي نثراً وشعراً ، وقدم أمثلة وحكم في قصص رمزية وإشارات باطنية وأشعاراً جعلته يتبوأ الصدارة في الفكر الصوفي العالمي المؤثر في القلوب . ويمكن جمع نتاجه الأدبي والفكري في مؤلفاته وأبرزها :

١ . المجالس السبعة : وتتضمن المحاضرات والخطب التي كان يلقيها في مدارس الوعظ والارشاد واثناء التدريس قبل التقائه بالشيخ شمس التبريزي ولذلك اقتصر على الفقه والوعظ وقبل ان يسلك درب التصوف على يد شيخه التبريزي .

وللكتاب قيمة علمية لدى الباحثين .

٢ . الرسائل : مجموعة رسائل كتبها الى شيخه واقربائه واصدقائه .

٣ . فيه ما فيه : مجموعة من أحاديث الشيخ الرومي ومحاوراته ومواعظه

وتعاليمه.

ويحتوي على مواعظ وحكم وأمثال وقصص .

ويمتاز هذا الكتاب بوضوح معانيه وبساطة أسلوبه بحيث يتيسر فهمه للجميع ،
وكان الشيخ الرومي وضع كتاب المثنوي للخاصة من الداخلين في بحار التصوف
من اهل الذوق الخاص ، وكتب هذا المؤلف للعامة من الناس فلا يحتاج فهمه
الى شرح .

ويشتمل هذا الكتاب على آيات من القران الكريم واحاديث نبوية ، كما نجد
فيه أشعاراً عربية ، ويجوي الكتاب اربعة فصول كتبت باللغة العربية وفصل آخر
نصفه بالعربية ونصفه الآخر بالفارسية .

٤ . الرباعيات : وهي منظومات شعرية بلغت ١٦٥٩ رباعية تحوي ٣٣١٨
بيتاً ما الشعر .

٥ . ديوان شمس التبريزي : ويشمل غزليات وقصائد صوفية ذات مضمون روحي
بلغ عددها ٣٥٠٠ قطعة شعرية نظمت في بحور مختلفة ومتنوعة ، ويبلغ عدد
أبيات الديوان قريباً من ٤٣ ألف بيتاً شعرياً .

٦ . المثنوي : وهو شكل من اشكال الشعر الفارسي .

وتعني كلمة مثنوي باللغة العربية النظم المزدوج ، يتحد فيه شطرا البيت الواحد
في المعنى والغرض ، ويكون لكل بيت قافية خاصة به ، وبذلك تتحرر المنظومة
الشعرية من القافية الموحدة .

تأثير مؤلفاته :

إذا كان الهوس الغربي بالرومي بلغ درجاتٍ متقدمة أخيراً، حيث سُمّي مشاهير
مواليدهم على اسمه، وغنّي آخرون من قصائده، فإن العرب قد عرفوا الرومي
باكراً وإن على نطاقٍ ضيق. ففي التراث الإسلامي صور شتى للاهتمام

بالرومي. كما أن «مولانا» كتب بعض قصائده - وإن كان عدداً يسيراً منها - بالعربية، إلى جانب الفارسية والتركية اللتين نطق وكتب بهما. كانت لمؤلفات جلال الدين البلخي التأثير الكبير في الأدب الفارسي والتركي والعربي والأردني، كما أثر في التصوف. تمت ترجمة العديد من مؤلفات جلال الدين البلخي إلى اللغات العالمية المعاصرة ومن ضمنها اللغات الأوروبية.

الفراق :

ويوم يتوفى الله مولانا الرومي تخرج كل قونية لتشييعه، يشيعه تلاميذه ويشيعه المسلمون، ويشيعه المسيحيون واليهود، وتختلط قراءات القرآن بقراءة الإنجيل وترنيمات اليهود بالتلموذ. يخيل لتلاميذه ان الأشجار بكت شيخهم وان الطيور تبكي لفراقه. ويستغرق المشيعون اليوم كله ليصلوا به الى القبر، لكثرة الناس وازدحامهم. ويزرع الرومي المحبة في قلوب المريدين.

والطريقة المولوية تنتشر في العديد من البلدان منها :

١. تركيا: تعتبر مدينة قونية التركية مركز هذه الطريقة في العالم، ذلك أن جلال الدين الرومي قضى معظم حياته بها، كما أنه دفن فيها، في مسجده المسمى بالقبة الخضراء. وإضافة إلى مدينة قونية، فللطريقة مراكز أخرى في استانبول وغاليبولي، كما أن التكايا المولوية انتشرت في قيصرى وسيواس وآقسراي.
٢. سوريا: تعتبر مدينة حلب القريبة من تركيا أهم مركز للمولوية في سوريا، وخصوصاً مسجد المولوية بحلب. وفي العاصمة دمشق يتركز المولويون في جامع المولوية.
٣. لبنان: حيث تعتبر مدينة طرابلس أهم مراكز المولوية هناك.

٤. فلسطين: حيث تعتبر التكية المولوية من أهم التكايا التي أقامها العثمانيون في القدس .

٧ . الطريقة الأكبرية

الطريقة الأكبرية :

طريقة صوفية ، تنتسب إلى الإمام الشيخ محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر ، ومبنى طريقته الالتزام بالشريعة ، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتؤكد على أربع خصال وهي : الصمت والعزلة والجوع والسهر ، ولها ثلاث صفات : الصبر على البلاء ، والشكر على الرخاء ، والرضا بالقضاء .

الاسم والنشأة :

مؤسس الطريقة الأكبرية هو مُجَّد بن علي بن مُجَّد الشهير بمحيي الدين بن عربي ، أحد أشهر المتصوفين ، لَقَّبَهُ أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر" ، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .

ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٦٠ هـ الموافق ١١٦٤ م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني .

وتوفي في دمشق عام ٦٣٨ هـ الموافق ١٢٤٠ م ، ودفن في سفح جبل قاسيون . وهو عالمٌ مسلمٌ صوفيٌّ زاهد من علماء الدين الأندلسيين ، وشاعر وفيلسوف ، لَقَّبَهُ أتباعه ومريدوه من الصوفية بألقاب عديدة ، منها : الشيخ الأكبر ، ورئيس المكاشفين ، البحر الزاخر ، بحر الحقائق ، إمام المحققين ، محيي الدين ، سلطان العارفين ، وغيرها من الألقاب .

ومرسية مكان مولده بلد إسلامي ، أنشأه المسلمون في الأندلس، في أيام الأمويين.

اسمه : مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ، من قبيلة (طيء) (وهو سليل أسرة عريقة في العلم والتقوى ، عراقتها في الحروب والنضال ، كان جده الأعلى عبد الله أحد قادة الحروب والفتوحات ، وكان جَد الحاتمي الأديني

أحد قضاة الأندلس وعلمائها) ^١

أما والد محي الدين ، واسمه علي بن مُجَدِّ ، فهو أندلسي المولد والنشأة (وكان من أئمة الحديث والفقه والزهد والعبادة وكان صديقاً لابن رشد فيلسوف قرطبة) ^٢

هذا هو النبع الأبوي الزكي الذي أنجب محي الدين ، أما نبعه من حيث خثولته ، فهو سليل الأطهار الأنصار (كان له خالان سلكا طريق الزهد ، أحدهما يحيى بن يغان الذي تخلّى عن عرشه في تلمسان ولزم خدمة عابد فرض عليه ان يكسب قوته من الاحتطاب في الجبال وبيع الحطب في طرقات عاصمة مُلْكِهِ . أما خاله الثاني فهو ابو مسلم الخولاني الذي كان يقضي الليل في مجاهدات شديدة ويضرب نفسه بقسوة حتى لا ينام) ^٣

كان خاله يأتي بالحطب على رأسه الى السوق بعد أن ترك مُلْكَهُ والناس من رعيتِهِ ينظرون اليه ويبكون ، فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقي . ويوم توفاه الله ودُفن صار قبره مزاراً ، فكان شيخه إذا جاءه الناس يطلبون منه الدعاء ، يقول لهم التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان ، فإنه ملك وزهد ، ولو ابتليتُ بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهّد ^٤

وهكذا درج محي الدين بين بيت والده ، ودار خاله أبو مسلم الخولاني ، في جو عامرٍ بنور التقوى ، فيه سباق حار نحو الشرفات العليا للإيمان .

في جوٍّ من الزهد والتصوف قضّى ابن عربي طفولته .

وحين بلغ الثامنة من عمره ، انتقل ابن عربي مع أبيه من مسقط رأسه مرسية

^١ محي الدين بن عربي ص ١٥

^٢ ابن عربي لغة جديدة ص ١٣

^٣ الاعلام من الفلاسفة ص ٢٣

^٤ انظر الاعلام من الفلاسفة ص ٢٥

الى أشبيلية ، وحاكمها إذ ذاك السلطان مُجَّد بن سعد ، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس .

وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء ، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي ، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهما في المعاني والإشارات .

(ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقهاء فسمع في وقت مبكر من ابن زرقون ، والحافظ ابن الجدي ، وأبي الوليد الحضرمي ، والشيخ ابن الحسن بن نصر . وكل هذه العلوم حصلها ابن عربي وهو لم يتجاوز العشرين من عمره)^١ وهو الزمن الذي نلمس فيه توجهه الى الخلوة ، والتصوف ، وأحوال القوم والأرجح أن ذلك كان عام خمسمائة وثمانين هجري (٥٨٠هـ) الموافق لعام ألف ومائة وأربعة وثمانين ميلادي (١١٨٤م) .

حياته :

لم تكن ميوله في بادئ امره متجهة الى الزهد كما ستكون لاحقاً ... فقد كان قلبه مشغولاً بالصيد والآداب ... وسيدكر في شيخوخته سنوات طفولته وبداية شبابه التي أضعها في رحلات الصيد في حقول قرمونة وبلمة ، ومعه الخيل والخدم .

يقول ابن عربي : مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعني والدي وانا بين ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس واذا بقطيع دحس ترعى وكنت مولعاً بصيدها ... وكان غلماني على بعدٍ مني ، ففكرت في نفسي وجعلت في قلبي اني لا أؤذي واحد منها بصيد ، وعندما ابصرها الحصان الذي انا راكمه حيش اليها ، فمسكته عنها ورمحي بيدي الى ان وصلت اليها ودخلت بينها ، وربما مر سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى . فوالله ما رفعت رؤوسها حتى

^١ ابن عربي ومولد لغة جديدة ص ١٣

جرأتها . ثم اعقبني الغلمان ففرت الحمر امامهم وما عرفتُ سبب ذلك الى أن رجعت الى هذا الطريق ، اعني طريق الله فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب)^١

التحوّل :

إن الشيخ ابن عربي وهو يروي هذه الحادثة انما يريد ان يوصل رسالة في شرحه لما حصل فالحُمرُ أنست اليه رغم انه مرَّ بحصانه بينها حتى ان رمحه لامس او كاد ظهورها ، في حين جفلت وهربت من غلمانها ، والسر في ذلك ، والذي عرفه الشيخ بعد ان سلك الطريق هو ما يسميه (سر المعاملة) ، فحديث الفتى في نفسه او ما نواه من عدم اذيتها او ازعاجها قد وجد استجابة في نفس الحيوان ، وان الأمان سرى من قلبه الى قلوبها .

وذاك يعني ان الشيخ في (جاهليته) لم يكن خالي الوفاض من بذور الخير التي ستنبت فيما بعد ، فبذور الولاية لا تنبت من فراغ .

وذاك ما ادركه الشيخ بعد انتقاله من مرحلة الخير بلا علم ، الى مرحلة الخير المؤسس على المعرفة .

ويتحدث الكثيرون عن رؤيا منامية رآها ابن عربي كانت تمثل حافزاً في تغيير مسار حياته .

فهو يحكي عن مرض ألمَّ به فأوصله حدَّ الموت ولم ينقذه منه سوى قراءة أبيه لسورة يس عند رأسه وهو في شبه غيبوبة من شدة المرض ، فرأى وهو في غيبوبته سورة يس تجسدت بشكل بشر جميل المظهر خاطبه وتحدث معه .

(مرضت فعُشي علي في مرضي، بحيث إني كنت معدودا في الموتى، فرأيت قوما كريهي المنظر، يريدون أذيتي، ورأيت شخصا جميلا طيب الرائحة شديدا يدافعهم عني حتى قهرهم، فقلت له من أنت؟ فقال أنا سورة يس أدفع عنك،

^١ الفتوحات ٤ / ٧٠٠

فأفقت من غشيتي تلك وإذا بأبي رحمه الله عند رأسي يبكي، وهو يقرأ يس، وقد ختمها، فأخبرته بما شهدته، فلما كان بعد ذلك بمدة رويت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال اقرؤوا على موتاكم يس^١

ان هذه الإرهاصات في بدايات ابن عربي تؤشر للتحوّل الآتي وقد تكون مجتمعة ، أو إحداها ، او تكون مع غيرها من الأحداث هي التي أسست للتحوّل الظاهري في مسار ابن عربي والذي قاد الى ان يكون الشيخ الأكبر . حين اتخذت حياة ابن عربي الصبيّ المنعم مساراً مختلفاً انحاز فيه بكلّيته الى الزهد والانقطاع الى الله الذي قاده الى حال المعاينة والكشف والارتقاء الروحي . وتظل اسباب هذا التغيّر في حياة الشيخ غير واضحة .

هي بجوهرها جذبة ربانية واجتباء إلهي ، والله سبحانه وتعالى هو المسبب وهو يختار للولاية من يشاء ، لكن الأسباب الظاهرة والأسباب الدنيوية غير معروفة بدقة ... قد تكون رؤيا ظهرت له ، أو كانت تجربة مرض ألمّ به في طفولته ، وربما غير ذلك ... المهم ان اكثر الباحثين في حياة الشيخ يكادون ان يتفقوا على تحديد ان التحوّل حدث في حياة الشيخ ابن عربي حوالي سنة :

(٦٨٠ هـ / ١١٨٤ م) حين بلغ سن العشرين .

كما يصرّح بذلك في فتوحاته حيث يقول :

(ونلت هذا المقام في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين وخمسائة)^٢

الخطوة الأولى في التحوّل .. الخلوّة والقران :

بدأ ابن عربي طريقه بالخلوة ، كان يختلي الى ربه يناجيه ويتعبده بأذكار قرآنية ، بلا شيخ او علم مستمد من قراءة في كتاب او معرفة مسبقة ، هذا على الأقل ما كان الشيخ ابن عربي يردده دائماً ... ثمّ .. في مرحلة لاحقة كانت له

^١ هكذا تكلم ابن عربي ص ٣٦

^٢ الاعلام من الفلاسفة ص ٣٠

لقاءات مع شيوخ التصوف ورجاله في الأندلس ، قبل رحيله خارج اشبيلية والتي
ابتدأه سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩٢ م برحلة الى تونس .

ولم يذكر شيخنا ابن عربي ان دخوله الحلوة كانت بتوجيه من شيخ ، لهذا فقد
تكون نتيجة اجتهاد شخصي .

كان ﷺ يجلس لساعات وأيام في المقابر يقرأ القرآن ، وربما جلس يحاكي
ويشرح لمن لا يراه غيره .

ولم تَرُق تلك الحال لمن لم يعهدها ، وهم كثيرون ، يقول الشيخ عن ذلك :
(ولقد كنت انقطعت في القبور منفرداً فبلغني ان شيخنا يوسف ابن يخلف
الكومي قال : ان فلاناً - وسماني - ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الموتى .
فبعثت اليه وقلت لو جئتني لرأيت من أجالس ... فطلبني فوجدني بين القبور
قاعداً مطرقاً وانا أتكلم على من حضرني من الأرواح ، فجلس الى جانبي بأدب
قليلاً قليلاً ، فنظرت اليه فرأيتته قد تغير لونه وضاق نفسه ، وكان لا يقدر ان
يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه وانا أنظر اليه وابتسم ، فلا يقدر ان يتسم
لما هو فيه من الكرب .

فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد ، خفف عن الشيخ واستراح وردَّ وجهه اليَّ
فقبَّل بين عيني ، فقلت له : يا استاذ من يجالس الموتى ؟ أنا ام أنت ؟ قال : لا
والله بل انا اجالس الموتى ، والله لو طال عليَّ الحال لفطست . وانصرف
وتركني ، فكان يقول : من أراد ان يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان)^١

تصوفه:

انتسب شيخنا للطريقة أول أمره من خلال شيخه أبي العباس أحمد العربي الذي
قدم إلى اشبيلية من بلده "العليا" بغرب الأندلس وكان ابن العربي أول من
سارح إليه، ووصفه أنه كان "بدوياً أمياً لا يكتب ولا يحسب، وكان إذا تكلم في

^١ الاعلام من الفلاسفة ص ٣٩

علم التوحيد فحسبك أن تسمع؛ كان يقيد الخواطر بجمته ويصدع الوجود بكلمته، لا تجده أبداً إلا ذاكراً على طهارة مستقبل القبلة، أكثر دهره صائماً...

وخلال هذه الفترة التي صحب فيها شيخه العربي كان في حياته أيضاً الشيخ الميرتلي، وله معه أخبار وحكايات أوردها في هذا الكتاب.

ويبدو أنه فقد شيخه العربي بعد عودته إلى منطقتة "العليا بغرب الأندلس" بعد أن قضى في أشبيلية ستة أشهر، وكان قد أسنّ وكفّ بصره قبل وفاته -رحمه الله-، وبقي شيخنا بعد ذلك مكثفياً بجلسات السماع الصوفي مع أقرانه مع ما يتخللها من ذكر ورقص وتواجد يستمر إلى الصباح يؤدّون في نهايتها صلاة الفجر بأسرع وقت، وهي التي سماها فيما بعد بالفترة، أو زمن جاهليته..

ثم تعرّف على أحد أهم الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في مسار حياته وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي أحد أصحاب شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث ومن خلاله عرف لأول مرة دلالة لفظ التصوّف -وكان قد سلك الطريق وفتح له فيه دون معرفة مسمى هذا النهج- وقرأ معه الرسالة القشيرية، إضافة إلى فئائه بشيخ الشيوخ الغوث بعد أن ذاق سيرته من شيخه وتلميذه الكومي -كما ذكر ذلك في الفتوحات- ومن أحد الأبدال وهو موسى السدراتي.

والواقع إنّ عقد الثمانينات -وعلى الخصوص عامي ٥٨٥ و٥٨٦هـ- كان حافلاً بأخبار فتوحاته ومواجيده وعزلته في المقابر وتنقله في نواحي الأندلس ولقاءاته بعدد من أساطين الفكر والمواجيد.. ولعلّ لقاءه بالفيلسوف الطبيب أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة من أشهر هذه اللقاءات. وكان شيخنا يتوق إلى لقاء الغوث، شيخ الشيوخ أبي مدين -الذي كان يقطن بجاية- بعد أن استغرقت محبته له أقصاها.. ولما انتقل الشيخ أبو مدين إلى رحاب ربه عام ٥٨٩هـ في تلمسان، تحرّك شيخنا من الأندلس تجاه الضفة الأخرى، إلى حيث

مرقد شيخ الشيوخ بتلمسان، ومنها يتّجه صوب تونس ففيها أحد أشهر أصحاب أبي مدين؛ عبد العزيز المهدي. وكان ابن عمه، أبو الحسين علي بن عبد الله بن محمد بن العربي، مهاجرا هناك يتلقى علومه لدى الشيخ المهدي.

الفتح الأكبر:

يتبيّن من حديث الشيخ في الباب ٣٥١ أنّ كلّ الفتوحات التي تحدّث عنها قبل عام ٥٩٠هـ إنما كانت بمثابة مقدّمات الفتح الأكبر الذي حصل له في العام ٥٩٠هـ، بعد أو أثناء هذه الزيارة المباركة، وهو دخوله أرض العبودية التي ثبت عليها بقية عمره،

ولعلنا نستنتج هنا أنّ كون حدوث هذا الأمر بعد انتقال شيخ الشيوخ الغوث أبي مدين، إنما كان إشارة إلى وراثة الشيخ الأكبر له في مقامه، وسيكون من ثمّ قاعدة جديدة للترقي في إطار هذا الوضع الجديد، ومنها نيله مقام ختم الولاية المحمّدي عندما كان في فاس عامي ٥٩٤ و ٥٩٥هـ.

وفي ذلك يقول:

أَنَا حَتَمْتُ الْوَلَايَةَ دُونَ شَكِّ

لِوَرِثِي الْهَاشِمِيِّ مَعَ الْمَسِيحِ

الشيخ الإمام :

وتأدّن ربك لمحبي الدين بالانتقال إلى مرتبة الشيخ والإمام، وأنّ له أن يُشرق في أفق جديد رحب، وأن يغادر ركب المريدين إلى طلائع المرشدين.

يقول محبي الدين: (ولقد أنعم الله عَلَيَّ ببشارة عظمتي بِشَّرِّي بها، وكنْتُ لا أعرفها من حالي وكانت حالي، فأوقفني عليها الإمام خليفة القطب، فقد نهاني عند التقائي به عن الانتماء إلى مَنْ لقيت من الشيوخ. وقال لي: لا تَنْتَمِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ؛ فليس لأحدٍ مِمَّنْ لقيته عليك يدٌ مما أنت فيه، بل الله تولاك برعايته وعنايته،

فأذكر فضل مَنْ لاقيتَ إن شئت، ولا تنتسب إلا إلى الله^١ وبذلك دخل في نطاق الذين أدبهم ربحم واجتباهم، وهم قلة في الطريق لا يتجاوزون الأحاد، بل وضع قدمه على أول الطريق إلى القمة العلمية الربانية، وهي شريعة هو صاحبها وربانها وإمامها الأوحد.

وفاته رحمه الله تعالى :

بعد حياة حافلة بالعطاء، امتدّت ٧٨ عاماً، توزّعت مناصفة بين المغرب العربي ومشرقه، انتقل إلى رحاب ربه ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة . وكان جنازته يوم مشهود ووقت مسعود، وشيِّعه صاحبُ دمشق راجلاً مع جمهور الأمراء والوزراء والعلماء والفقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيِّعه. وغلّقت أهلُ الأسواق دكاكينهم ثلاثة أيام تعزية له. ودفن بجبانة محيي الدين بن الزكي بصالحية دمشق، وبني عليه بناء عظيم ومزار كريم .

وحين دخل السلطان التركي سليم الأول دمشق بعد استيلاء جيوشه على الشام ومصر، كان من أوّل أوامره بناء مقام واسع على ضريح الشيخ في ساحة مسجد أسسه بجواره، وصليت فيه أوّل جمعة بحضور السلطان عام ٩٢٤هـ (٥ فبراير ١٥١٨) .

من مؤلفات الشيخ :

وأما كتبه ومصنّفاته فالبهار الزواجر، التي بجواهرها لكثرتها لا يعلم لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون بمثلها، وإنما خصّ الله بمعرفة قدرها أهلها. ومن خواص كتبه؛ أنّه من واطب على مطالعتها، والنظر فيها، وتأمل في مبانيها؛ انشرح صدره لحلّ المشكلات، وفكّ العضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصّه الله بالعلوم اللدنيّة الربانيّة.

^١ محي الدين بن عربي ص ٢٩

وفي إجازة كتبها للملك المعظم، قال في آخرها: وأجزتُ له أيضا أن يروي عني مصنفاتي، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيفا وأربعمائة مصنف، ومنها "التفسير الكبير" الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ستين سفرا، فاستأثره الله تعالى، وتوفّي ولم يكمل.

وهذا التفسير كتاب عظيم، كلّ سفر منه بحر لا ساحل له .

- كتاب الفتوحات المكية، المكوّن من ٣٧ سفر و ٥٦٠ باب .. والذي وُصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق وان لغته رمزية وبها إشارات الهية،
- كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلاً كبيراً في وقته ولا زال مصدراً للجدل.
- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصصه لمدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة ٥٩٨ عندما قدم إليها لأول مرة قادما من المغرب.

• كتاب شجرة الكون، يتحدث فيه عن الكون مشبهاً إياه بشجرة أصله كلمة "كُن"

- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام،
- كتاب اليقين، الذي تناول موضوع اليقين
- إشارات القرآن في العالم والإنسان.
- المثلثات الواردة في القرآن العظيم.
- أسرار قلوب العارفين.
- الموعدة الحسنة.
- مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبعاد النقا بجنان اللقاء، ويحتوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات.
- شفاء العليل في إيضاح السبيل.
- كشف الغين: سر أسماء الله الحسنى.

- عقلة المستوفز جلاء القلوب.
- التحقيق في الكشف عن سر الصديق.
- الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه.
- السيراج الوهاج في شرح كلام الحلاج.
- كنه ما لا بد للمريد منه.
- مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة.
- الأجوبة عن المسائل المنصورة.
- المنتخب في مآثر العرب.
- نتائج الأفكار وحدائق الأزهار.
- الميزان في حقيقة الإنسان.
- الجذور المقتبسة والخطرة المختلسة.
- التنزلات الموصلية.
- الجمال والجلال.
- عنقاء المغرب.
- شروط أهل الطريق.

موقفه من القول بالاتحاد والحلول :

حتى تكون الصورة واضحة وبمجملها الحقيقي ، وبغية الوصول الى فهم واقعي ومنصف من موقف الشيخ الأكبر من مسألة الاتحاد والحلول ، فلا بد ان نقف بدءاً على فهمه وعقيدته الإلهية في ذات الله سبحانه وتعالى ، والتي شرحها الشيخ مفصلاً في مقدمة كتابه الفتوحات حيث قال :

(فيا إخوتي ويا أحبائي، رضي الله عنكم، أشهدكم عبداً ضعيفاً مسكيناً، فقير

إلى الله تعالى في كل لحظةٍ وطرفةٍ، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه، أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إلهٌ واحد لا ثاني له في ألوهيته، مُنَزَّه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، مَلِكٌ لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى مُوجدٍ يُوجدُه، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده؛ فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيّز فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا يجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مُقَدَّسٌ عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار، إذا شاء استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما سواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يُقَلُّه مكان، بل كان ولا مكان، وهو على ما عليه كان، خلق الممكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحي، لا يعودُه حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات.

تعالى أن تحلَّه الحوادث، أو يجلها، أو تكون بعده، أو يكون قبلها، بل يقال: كان ولا شيء معه، فإن القَبْلَ والبَعْدَ من صيغ الزمان الذي أبدعه؛ فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يُرام، ليس كمثلته شيء، خلق العرش وجعله حدًّا الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسع الأرض والسموات العلى، اخترع اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتبًا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء، وسخَّر لنا ما في السموات ما في الأرض جميعًا منه؛ فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه، خلق الكل

من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه؛ لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق؛ فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئًا هو خلقه؟! أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟ علم الأشياء منها قبل وجودها، ثم أوجدتها على حد ما علمها، فلم يزل عالماً بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها من شاء وحكمها، علم للكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة؛ فتعالى الله عما يشركون)

وواضح ان تأكيد الشيخ الأكبر على بطلان القول بالحلول والاتحاد , وبينه على فساده , ويحذر من ضلاله .

اضافة لذلك فإن الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله تعالى قال في عقيدته الصغرى :

((تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها .

وقال في عقيدته الوسطى : اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع , ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء .

وقال في باب الأسرار :

لا يجوز لعارف أن يقول : أنا الله , ولو بلغ أقصى درجات القرب , وحاشا العارف من هذا القول حاشاه , إنما يقول : أنا العبد الذليل في المسير والمقبل .

وقال في الباب التاسع والستين ومائة : القديم لا يكون قط محلا للحوادث , ولا يكون حالا في المحدث .

وقال في باب الأسرار : من قال بالحلول فهو معلول , فان القول بالحلول مرض لا يزول , وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد , كما إن القائل بالحلول من أهل

الجهل والفضول .

وقال في باب الأسرار أيضا : الحادث لا يخلوا عن الحوادث , ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم , فالقديم لا يحل ولا يكون محلا وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل : وهذا يدل على إن العالم ما هو عين الحق , ولا حل فيه الحق , إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة : لو صح إن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته , ويتحد بخالقه تعالى , لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهما , وصار الحق خلقا والخلق حقا , وما وثق احد بعلم وصار المحال واجبا , فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا))^١

المدرسة الأكبرية :

التصوف من حيث الجوهر والمضمون واحدٌ يقوم على عبادة الله سبحانه وتعالى وفق شريعته التي أنزلها على حبيبه المصطفى ﷺ وما أمره بتبليغه ، سواء بالكتاب او السنَّة المطهَّرة .

وإذا كانت طهارة القلب مما سوى الله تعالى تكتسب ذات الضرورة عند شيوخ التصوف ، وإذا كان التحقق بالإحسان وتركية النفس والارتقاء بها الى ما يُحقق الرضا والمحبة ، أهداف مشتركة لديهم ، فإن تحقيق هذه الأهداف وطُرُق الوصول إليها ، وسرعة الوصول تختلف باختلاف الشيوخ المرَبِّين ، ولهذا كانت مدارس في التصوف سعيها واحد وهدفها واحد إلا ان مسلكها القائم على الكتاب والسنة مختلف في التفاصيل ، وقد يكون مردُّ الأمر الى تفاوت العقل والنفس البشرية والتي استلزمت أكثر من سبيل لبلوغ هدف واحد ، وهذا من

^١ الفتوحات المكية، كما ورد في اليواقيت والجواهر ج ١ / ٨٠ - ٨١

اللطيف الإلهي والحكمة الربانية .

فمن مدرسة لها طابع قلبي المشرق، وتدعو إلى مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال... إلى مدرسة سمّتها في التربية والتصفية، ورسالتها في الفقه والتوحيد. ومدرسة تنشغل بالدقائق والرفائق، ومحاسبة النفس وتزكيتها، وعصمة الجوارح وتطهيرها.

وأخرى لها مواجيدها وألحانها، وسبحاتها في المحبة والفناء؛

وهكذا المدارس الصوفية قديمها وحديثها، لكل منها ذوقه ومشاهده ومناهجه. ويحدثنا الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه القيم (الفيلسوف المسلم)، ويعني به (العلامة رينيه جينو) أو عبد الواحد يحيى، عن مجلة عربية إيطالية كانت تصدر في القاهرة عام ١٩٠٧م، وتُسَمَّى النادي، فيقول: (كانت الروح التي تسود هذه المجلة هي روح الشيخ الأكبر محيي الدين، وكانت هذه المجلة تعتبر طليعة لمجلات أخرى صدرت فيما بعد في فرنسا، وساهم فيها «جينو» بحظٍّ وافٍ، وكتب الشيخ عليش الكبير فكتب مقالاً في مجلة النادي، شكره فيه على ما أداه للحضارة من خدمة جليلة، هي تعريف الناس بمحيي الدين، وكان من ثمرات هذا المقال، أن أُعلن في العدد التالي عن تأليف جمعية في إيطاليا وفي الشرق الأوسط لدراسة ابن عربي، وسُمِّيت الأكبرية، ووضعت منهاجاً، هو التالي :

(١) دراسة ونشر تعاليم الشيخ محيي الدين؛ سواء ما يتصل منها بالشرعية وما يتصل بالحقيقة، والعمل على طبع مؤلفات تلاميذه وشرحها، وإلقاء محاضرات خاصة به، وأحاديث تشرح آراءه.

(٢) جمع أكبر عدد ممكن من محيي الشيخ ابن عربي، وعقد صلة قوية بينهم تقوم على الأخوة، وتُؤَسَّس على الترابط الفكري بين النخبة الممتازة من الشرقيين والغربيين.

(٣) تقديم المساعدة المادية والتشجيع الأدبي لمن هم في حاجة إلى ذلك، ممن

يتبعون الطريق الذي اختطّه محيي الدين بن عربي، وعلى الخصوص هؤلاء الذين ينشرون دعوته بالقول أو بالعمل.

وحمل جينو^١ راية الجهاد في هذه الجمعية ، فاستمر بيني على ما أسسته الأكبرية، تلك الجماعة التي تنهج نهج الشيخ الأكبر، وهو أسمى مظهر للتصوف الإسلامي والعقيدة الإسلامية.

وأقام جينو في القاهرة يؤلف الكتب، ويكتب المقالات، ويرسل الخطابات إلى جميع أنحاء العالم، كان حركة دائبة، حركة فكرية وروحانية، ترسل بسنائها إلى كل مَنْ يطلب الهداية والرشاد.

وفي المغرب العربي، وفي دمشق، كان الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري من العاملين في حقل الروحانية الأكبرية، وكذلك كان ولا يزال الأمير المقاتل عبد الكريم الخطابي، وشقيقه البطل الأمير مُجَد الخطابي، ولقد حدثنا الأمير أنه كان يقرأ الفتوحات المكية وهو في ساحات القتال.

وهنا وهناك، وفي كل مكان يرتفع فيه صوت التكبير بالتوحيد، أو دوي الطبول للجهاد، ترى العلماء من رجال الفكر، والمقاتلين من أولي البأس، تلاميذ أوفياء للمدرسة الأكبرية ولشيخها الأكبر^٢)

أحزاب وأوراد الطريقة الأكبرية :

وضع الشيخ ابن عربي لتلاميذه مجموعة أحزاب ، منها : حزب الدور الأعلى ، وحزب المحو والفناء ، وحزب النصر ، الأسماء الأربعة ، وحزب مغناطيس الأدعية ، وحزب التفريج ، وحزب التوحيد ، وحزب الدعاء^٣

وترك الشيخ لمريديه مجموعة أوراد على عدد أيام الاسبوع : ورد يوم الأحد ، ورد

^١ عالم فيلسوف صوفي فرنسي ومسيحي المولد ، مسلم مصري الوفاة

^٢ محي الدين بن عربي ص ١٨١ - ١٨٣

^٣ مجموعة احزاب واوراد الشيخ الأكبر ص ٢٤ - ٧٦

يوم الاثنين ، ورد يوم الثلاثاء الى نهاية أيام الاسبوع .
وكذلك أورد الليالي مثل ورد ليلة الأحد وورد ليلة الاثنين وورد ليلة الثلاثاء ...
الى نهاية ليالي الاسبوع .
كما ترك الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى أحد عشرة صلاة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم^١

ومن هذه الصلوات المباركة :

الصَّلَوَاتُ الْأَكْبَرِيَّةُ (وتسمى صلاة النور) :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَكْمَلِ مَخْلُوقَاتِكَ، وَسَيِّدِ أَهْلِ أَرْضِكَ وَأَهْلِ
سَمَاوَاتِكَ، النُّورِ الْأَعْظَمِ، وَالْكَنْزِ الْمُطَّلَسِمِ، وَالْجَوْهَرِ الْقَرْدِ، وَالسِّرِّ الْمُمتَدِّ، الَّذِي
لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ مَنْطُوقٍ، وَلَا شِبْهُ مَخْلُوقٍ، وَأَرْضِ عَن خَلِيفَتِهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، مِنْ
جِنْسِ عَالَمِ الْإِنْسَانِ، الرُّوحِ الْمُتَجَسِّدِ، وَالْقَرْدِ الْمُتَعَدِّدِ، حُجَّةِ اللَّهِ فِي الْأَقْصِيَّةِ،
وَعُمْدَةِ اللَّهِ فِي الْأَمْضِيَّةِ، مَحَلِّ نَظَرِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُنْقَدِّ أَحْكَامِهِ بَيْنَهُمْ بِصِدْقِهِ،
الْمُمَدِّ لِلْعَوَالِمِ بِرُوحَانِيَّتِهِ، الْمُفِضِ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِ نُورَانِيَّتِهِ، مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَى
صُورَتِهِ، وَأَشْهَدُهُ أَرْوَاحَ مَلَائِكَتِهِ، وَخَصَّصَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِلْعَالَمِينَ أَمَانًا،
فَهُوَ قُطْبُ دَائِرَةِ الْوُجُودِ، وَمَحَلِّ السَّمْعِ وَالشُّهُودِ، فَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا
بِعِلْمِهِ، وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا بِحُكْمِهِ، لِأَنَّهُ مَظْهَرُ الْحَقِّ، وَمَعْدَنُ الصِّدْقِ، اللَّهُمَّ بَلِّغْ
سَلَامِي إِلَيْهِ، وَأَوْفِنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ مَدَدِهِ، وَاحْرُسْنِي بِعَدَدِهِ، وَأَنْفِخْ
فِيَّ مِنْ رُوحِهِ كَيْ أَحْيِي بِرُوحِهِ، وَلَا أَشْهَدَ حَقِيقَتِي عَلَى التَّفْصِيلِ، فَأَعْرِفَ بِذَلِكَ
الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ، وَأَرَى عَوَالِمِي الْعَيْنِيَّةَ تَتَجَلَّى بِصُورِي الرُّوحَانِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ
الْمَظَاهِرِ، لِأَجْمَعِ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، فَأَكُونَ مَعَ اللَّهِ إِلِهِ، بَيْنَ

^١ مجموعة أحزاب وأورد الشيخ الأكبر ص ٢٨ - ٧٦

صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَيْسَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَعْلُومٌ، وَلَا جُزْءٌ مَفْسُومٌ، فَأَعْبُدُهُ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، بَلْ بِحَوْلِ وَقُوَّةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ، اجْمَعْنِي بِهِ وَعَلَيْهِ وَفِيهِ، حَتَّى لَا أَفَارِقُهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا أَنْفَصِلَ عَنْهُ فِي الْحَالَيْنِ، بَلْ أَكُونُ كَأَبِي إِيَّاهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ تَوَلَّاهُ، مِنْ طَرِيقِ الْإِتِّبَاعِ وَالْإِنْتِفَاعِ، لَا مِنْ طَرِيقِ الْمُتَمَاتِلَةِ وَالْإِرْتِفَاعِ، وَأَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الْمُسْتَجَابَةِ، أَنْ تُبَلِّغَنِي ذَلِكَ مِنْهُ مُسْتَطَابَةً، وَلَا تُرَدِّبَنِي مِنْكَ حَائِبًا، وَلَا يَمُنَّ لَكَ نَائِبًا، فَإِنَّكَ الْوَاحِدُ الْكَرِيمُ، وَأَنَا الْعَبْدُ الْعَدِيمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١

صلاة السرِّ الأعظم :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النُّورِ الْأَوَّلِ، وَالسِّرِّ الْأَنْزَهِ الْأَكْمَلِ، عَيْنِ الرَّحْمَةِ ِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَبَهْجَةِ الْإِحْتِرَاعَاتِ الْأَكْوَانِيَّةِ، وَصَاحِبِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْعِبَائِيَّةِ، نُورِ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَاهُ، وَسِرِّ كُلِّ سِرٍّ وَسَنَاهُ، مَنْ فَتَحَتْ لَهُ حَزَائِنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَتِ، وَمَنْحَتْ بِظُهُورِهِ أَنْوَارَ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، قُطْبِ دَائِرَةِ الْكَمَالِ، وَيَأْقُوتَهُ تَاجَ مَحَاسِنِ الْجَلَالِ، إِنْسَانِ عَيْنِ الْمَظَاهِرِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَطِيفَةِ نُزُوحَاتِ الْحُضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ، مِدَادِ الْأَمْدَادِ، وَوُجُودِ الْوُجُودِ، وَوَاحِدِ الْآحَادِ، وَسِرِّ الْوُجُودِ، وَوَاسِطَةِ عَقْدِ السُّلُوكِ، وَشَرَفِ الْأَمْلاكِ وَالْمُلُوكِ، بَدْرِ الْمَعَارِفِ فِي سَمَاوَاتِ الدَّقَائِقِ، وَشَمْسِ الْعَوَارِفِ فِي غُرُوشِ الْحَقَائِقِ، بَابِكَ الْأَعْظَمِ، وَصِرَاطِكَ الْأَقْوَمِ، وَبَرَقِكَ اللَّامِعِ، وَتُورِكَ السَّاطِعِ، وَمَعْنَاكَ الَّذِي هُوَ بِكُلِّ أَفْقٍ سَلِيمٌ طَالِعٌ، وَسِرِّكَ الْمُنَزَّهِ السَّارِي فِي جُزْئِيَّاتِ الْعَالَمِ وَكُلِّيَّاتِهِ؛ عَلَوِيَّاتِهِ وَسَفْلِيَّاتِهِ، مِنْ جَوْهَرٍ وَعَرْضٍ، وَوَسَائِطٍ وَمُرَكَّبَاتٍ وَبَسَائِطٍ، غَيْبِ أَسْرَارِ الذَّاتِ، وَمَشْرِقِ أَنْوَارِ الصِّفَاتِ، وَمَظْهَرِ

^١ مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ص ٢٧ - ٢٨

التَّجَلِّيَّاتِ بِأَنْوَارِ السُّبُحَاتِ مِنْ سِرِّ السَّرَادِقَاتِ بِأَرْوَاحِ الْمُتَرُوحَاتِ، الْمُصَلِّي
فِي مِحْرَابِ جَمْعِ الْجَمْعِ بِأَحْمَدَ، وَالْقَارِي بِفُرْقَانِ الْفُرْقِ بِمُحَمَّدٍ، وَالْقَائِمِ فِي الْمُلْكِ
بِشَرْعِهِ وَجَلَالِهِ، وَالرَّاحِمِ فِي الْمَلَكُوتِ بِرَحْمَتِهِ وَجَمَالِهِ، عَيْنِ غَيْبِكَ الْكَامِلَةِ،
وَخَلِيفَتِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي مَمْلَكَتِكَ الشَّامِلَةِ.

صَلِّ اللَّهُمَّ صَلَاةً تُعَرِّفُنِي بِهَا إِيَّاهُ فِي مَرَاتِبِهِ وَعَوَالِمِهِ وَمَوَاطِنِهِ وَمَعَالِمِهِ حَتَّى أَشْهَدَهُ
بِعَيْنِ الْعِيَانِ لَا بِالذَّلِيلِ وَالْبُرْهَانَ، وَأَعْرِفُهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَطَرِيقٍ، وَأَرَى
سَرِيَانِ سِرِّهِ فِي الْأَكْوَانِ، وَمَعْنَاهُ الْمُشْرِقَ فِي مَجَالِيهِ الْحِسَانِ.

وَاجْعَلْ اللَّهُمَّ مَوْرِدِي مِنْ شَمْسِ حَقِيقَتِهِ، وَمِنْ نُورِ بَدْرِ شَرِيعَتِهِ، حَتَّى أَسْتَضِيءَ
فِي لَيْلِ جَهْلِي بِأَنْوَارِ حَقَائِقِ مَعْرِفَتِهِ، وَأَنْسَ فِي عُزْبَةِ مَسْرَايَ بَيْنَاسِ لَطَائِفِهِ،
وَاحْمِلْنِي إِلَى حَضْرَتِهِ الْفُؤَادِيَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ، وَعَلَى كَاهِلِ شَرِيعَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَعَمَّرْ
أَوْطَارَ نَفْسِي بِأَطْوَارِ كَمَالِهِ، وَأَلْبَسْنِي مِنْ خَلَعِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ، وَأَفْرِدْنِي فِي حُبِّهِ
كَمَا أَفْرَدْتَهُ فِي حُسْنِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَخَصَّصْنِي بِخَصَائِصِ قُرْبِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَتَّى أَكُونَ
وَارِثًا لَهُ بِهِ، وَنَاطِرًا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَجَامِعًا لَهُ بِهِ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاتِكَ الْأَزَلِيَّةَ الْأَحَدِيَّةَ فِي مَظَاهِرِكَ الْأَبَدِيَّةِ الْوَاحِدِيَّةِ مَا تَوَجَّهَ
بِحَبْلِكَ، وَتَكَاثَرَ الْفُرْدُ فِي الْعَدَدِ، وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ الصِّفَاتِ بِتَوَالِي الْمَدَدِ، وَاتَّسَعَتْ
رُؤُوسُهُ الْحَكِيمِ، وَتَقَدَّسَتْ سُبُحَاتُ الْعَلِيمِ بِتَسْبِيحَاتِ التَّمَجِيدِ وَالتَّكْرِيمِ، بِلِسَانِ
الْقَدَمِ فِي أَزَلِ الْأَزَالِ، وَتَقَدَّسَ الْوَاحِدُ فِي صِفَتِي الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ.

وَسَلِّمْ عَلَيْهِ سَلَامَ الْفُرْدَانِيَّةِ مَا تَعَدَّدَتْ مَرَاتِبُ الْعَدَدِيَّةِ، فِي وَحْدَةِ مَرَاقِي دَرَجَاتِهِ
الْعُلُوبِيَّةِ، فِي مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، بِتَوَالِي شُهُودِ الرَّحْمَةِ الدَّائِيَّةِ، وَأَنْدِرَاجِ الْأَنْوَارِ
الصِّفَاتِيَّةِ، فِي الْمَجَالَاتِ الْأَطْوَارِيَّةِ، وَالْمَطَارَاتِ الْمُلْكِيَّةِ، وَسَجَدَتْ لَهُ الْأَرْوَاحُ
الرُّوحَانِيَّةُ، فِي مِحْرَابِ الْآدَمِيَّةِ، فِي جَامِعِ حَيْطِنِهِ الْمُحِيطِيَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ، بِالْأَنْوَارِ
السُّبُوحِيَّةِ، الْكَاتِبَةِ بِالْأَقْلَامِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فِي الْأَلْوَابِ الشُّهُودِيَّةِ، بِالْأَسْرَارِ الْحَقِيقِيَّةِ
الْخَفِيَّةِ عَنِ الْإِدْرَاكَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا يَتَقَدَّسُ فِيهِمَا عَنْ عَوَارِضِ الْإِمْكَانِ، وَوُجُوبِ
 إِتِّصَافِهِ بِالْكَمَالَاتِ، وَعُمُومِ عِصْمَتِهِ فِي جَمِيعِ الْخَطَرَاتِ، مَا تَنَزَّهَ شَامِحُ عِزَّتِهِ عَنِ
 النَّقْصِ وَالسُّلُوبِ، وَتَنَبَّتَ رَاسِحُ مَجْدِهِ بِالذَّاتِ وَالْوُجُوبِ، وَارْضِ عَنْ أَصْحَابِهِ
 أَيْمَةَ الْهُدَى لِمَنِ اهْتَدَى، وَجُجُومِ الْإِفْتِدَاءِ لِمَنِ افْتَدَى، مَا تَعَاقَبَتْ أَدْوَارُ الْأَنْوَارِ،
 وَأَشْرَفَتْ أَنْوَارُ الْأَسْرَارِ بِالْأَسْرَارِ^١

الصلوة الفيضية :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللَّهُمَّ أَفِضْ صَلَاةً صَلَوَاتِكَ، وَسَلَامَةً تَسْلِيمَاتِكَ، عَلَى أَوَّلِ التَّعْيِينَاتِ الْمُفَاضَةِ
 مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِيِّ، وَآخِرِ التَّنَزُّلَاتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمُهَاجِرِ مِنْ
 مَكَّةَ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ثَانٍ، إِلَى مَدِينَةٍ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ،
 مُخْصِي عَوَالِمِ الْخَضِرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْخُمْسِ فِي وُجُودِهِ، {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ
 مُبِينٍ}، وَرَاحِمِ سَائِلِي اسْتِعْدَادِهَا بِنِدَاهِ وَجُودِهِ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
 لِلْعَالَمِينَ}، نُقْطَةً الْبَسْمَلَةِ الْجَامِعَةِ لِمَا يَكُونُ وَلِمَا كَانَ، وَلَقُطَّةِ الْأَمْرِ الْجَوَالَةِ
 بِدَوَائِرِ الْأَكْوَانِ، سِرِّ الْهُوِّيَّةِ الَّتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ سَارِيَّةٌ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُجَرَّدَةٌ
 وَعَارِيَّةٌ، أَمِينِ اللَّهِ عَلَى خَزَائِنِ الْفَوَاضِلِ وَمَسْتَوْدَعِهَا، وَمُقَسِّمِهَا عَلَى حَسَبِ
 الْقَوَابِلِ وَمُوزِعِهَا، كَلِمَةِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، وَقَافِحَةِ الْكِنِزِ الْمُطْلَسَمِ، الْمَظْهَرِ الْأَتَمِّ
 الْجَامِعِ بَيْنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالنَّشْءِ الْأَعَمِّ الشَّامِلِ لِلْإِمْكَانِيَّةِ وَالْوُجُوبِيَّةِ، الطَّوْدِ
 الْأَشْمِ الَّذِي لَمْ يُزَحْزَحْهُ بَحَلِّي التَّعْيِينَاتِ عَنْ مَقَامِ التَّمَكِينِ، وَالْبَحْرِ الْخِضَمِّ الَّذِي
 لَمْ تُعَكِّرْهُ حَيْفَ الْعَقْلَاتِ عَنْ صَفَاءِ الْيَقِينِ، الْقَلَمِ النُّورَانِيِّ الْجَارِي بِمِدَادِ الْخُرُوفِ
 الْعَالِيَاتِ، وَالنَّفْسِ الرَّحْمَانِيِّ السَّارِي بِمَوَادِ الْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، الْفَيْضِ الْأَقْدَسِ
 الَّذِي تَعَيَّنَتْ بِهِ الْأَعْيَانُ وَاسْتَعْدَادَاتُهَا، وَالْفَيْضِ الْمُقَدَّسِ الصَّفَائِي الَّذِي

^١ مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ص ٢٩ - ٣٠

تَكُونُ بِهِ الْأَكْوَانُ وَاسْتِمْدَادِئُهَا. مَطْلَعِ شَمْسِ الذَّاتِ فِي سَمَاءِ الْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ، وَمَنْعِ نُورِ الْإِفَاضَاتِ فِي رِيَاضِ النَّسَبِ وَالْإِضَافَاتِ، حَطِّ الْوَحْدَةِ
بَيْنَ قَوْسِي الْأَحَدِيَّةِ وَالْوَحْدِيَّةِ، وَوَاسِطَةِ التَّنْزِيلِ الْإِلَهِيِّ مِنْ سَمَاءِ الْأَرْزَلِيَّةِ إِلَى أَرْضِ
الْأَبْدِيَّةِ، النُّسَخَةِ الصُّعْرَى الَّتِي تَفَرَّعَتْ عَنْهَا الْكُبْرَى، وَالذَّرَّةَ الْبَيْضَاءَ الَّتِي تَنْزَلَتْ
إِلَى الْيَاقُوتَةِ الْحُمْرَاءِ، جَوْهَرَةَ الْحَوَادِثِ الْإِمْكَانِيَّةِ الَّتِي لَا تَخْلُو عَنْ الْحَرَكَةِ
وَالسُّكُونِ، وَمَادَّةِ الْكَلِمَةِ الْفَهْوَانِيَّةِ الطَّالِعَةِ مِنْ كَنْ كُنَّ إِلَى شَهَادَةِ فَيَكُونُ،
هُيُولَى الصُّورِ الَّتِي لَا تَتَجَلَّى بِإِحْدَاهَا مَرَّةً لِإِثْنَيْنِ، وَلَا بِصُورَةٍ مِنْهَا لِأَحَدٍ
مَرَّتَيْنِ، فُرْقَانَ الْجَمْعِ الشَّامِلِ لِلْمُتَمَتِّعِ وَالْعَدِيمِ، وَفُرْقَانَ الْفَرْقِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَادِثِ
وَالْقَدِيمِ، صَائِمِ نَهَارِ "إِنِّي أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي"، وَقَائِمِ لَيْلِ "تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ
قَلْبِي"، وَوَاسِطَةِ مَا بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ؛ مَرَجِ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، وَرَابِطَةِ تَعْلُقِ
الْحُدُوثِ بِالْقَدَمِ؛ بَيْنَهُمَا بَرَزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ، فَذَلِكَ دَفْتَرِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَمَرْكَزِ
إِحَاطَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، حَبِيبِكَ الَّذِي اسْتَجَلَيْتَ بِهِ جَمَالَ ذَاتِكَ عَلَى مَنَصَّةِ
جَحَلِيَّاتِكَ، وَنَصَبْتَهُ قِبْلَةً لَتَوَجُّهَاتِكَ فِي جَامِعِ جَحَلِيَّاتِكَ، وَخَلَعْتَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ
الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، وَتَوَجَّهْتَ بِتَاجِ الْخِلَافَةِ الْعُظْمَى، وَأَسْرَيْتَ بِجَسَدِهِ يَقْظَةً مِنْ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَتَرَفَّى
إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَسَرَّ فُؤَادَهُ بِشُهُودِكَ حَيْثُ لَا صَبَاحَ وَلَا مَسَاءَ، {مَا
كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، وَقَرَّرَ بَصْرَهُ بِوُجُودِكَ حَيْثُ لَا خَلَا وَلَا مَلَأَ، {مَا زَاغَ
الْبَصْرُ وَمَا طَعَى}.

صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً يَصِلُ بِهَا فُرْعِي إِلَى أَصْلِي، وَبَعْضِي إِلَى كُلِّي، لِتَتَّحِدَ ذَاتِي
بِدَاتِهِ، وَصِفَاتِي بِصِفَاتِهِ، وَتَقَرَّ الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ، وَنَفَرَ الْبَيْنُ مِنَ الْبَيْنِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِ
سَلَامًا أَسْلَمَ بِهِ فِي مُتَابَعَتِهِ مِنَ التَّخْلُفِ، وَفِي طَرِيقِ شَرِيعَتِهِ مِنَ التَّعَسُّفِ، لِأَفْتَحَ
بَابَ مَحَبَّتِكَ إِيَّايَ بِمِفْتَاحِ مُتَابَعَتِهِ، وَأَشْهَدَكَ فِي حَوَاسِي وَأَعْضَائِي مِنْ مِشْكَاتِهِ
شَرِّعِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَدْخُلْ وَرَاءَهُ إِلَى حِصْنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي أَنْتِهِ خُلُوةٌ لِي وَفَتْ

مَعَ اللَّهِ"، إِذْ هُوَ بَابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَفْصِدْكَ مِنْهُ سُدَّتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ وَالْأَبْوَابُ،
وَرُدَّ بِعَصَا الْأَدَبِ إِلَى إِسْطَبْلِ الدَّوَابِّ.

اللَّهُمَّ يَا رَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ حِجَابُهُ إِلَّا النُّورُ، وَلَا حَفَاؤُهُ إِلَّا شِدَّةَ الطُّهُورِ، أَسْأَلُكَ
بِكَ فِي مَرْتَبَةِ إِطْلَاقِكَ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدٍ، الَّتِي تَفْعَلُ فِيهَا مَا تَشَاءُ وَتُرِيدُ، وَبِكَشْفِكَ
عَنْ ذَاتِكَ بِالْعِلْمِ النُّورِيِّ، وَتَحْوِيلِكَ فِي صُورِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ بِالْوُجُودِ الصُّورِيِّ،
أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكْحُلُ بِهَا بَصِيرَتِي بِالنُّورِ الْمَرشُوشِ فِي الْأَزَلِّ،
لَأَشْهَدَ فَنَاءَ مَا لَمْ يَكُنْ وَبِنَاءَ مَا لَمْ يَزَلْ، وَأَرَى الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ فِي أَصْلِهَا
مَعْدُومَةً مَفْقُودَةً، وَكَوْنَهَا لَمْ تَشَمَّ رَائِحَةَ الْوُجُودِ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً،
وَأُخْرِجَنِي اللَّهُمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمَةٍ أَنَايَتِي إِلَى النُّورِ، وَمِنْ قَبْرِ جُسمَائِيَّتِي إِلَى
جَمْعِ الْحَشْرِ وَفَرْقِ النُّشُورِ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ سَمَاءِ تَوْحِيدِكَ إِبَّاكَ، مَا تُطَهِّرُنِي بِهِ
مِنْ رِجْسِ الشِّرْكَ وَالْإِشْرَاكِ، وَأَنْعِشْنِي بِالْمَوْتَةِ الْأُولَى وَالْوِلَادَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَحْيِنِي
بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَاجْعَلْ لِي نُورًا أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، فَأَرَى بِهِ
وَجْهَكَ أَيْنَمَا تَوَلَّيْتُ بِدُونِ اشْتِبَاهٍ وَلَا تَبْتِاسٍ، نَاطِرًا بِعَيْنِي الْجَمْعَ وَالْفَرْقَ، فَاصِلًا
بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ، ذَالًا بِكَ عَلَيَّكَ، وَهَادِيًا بِإِذْنِكَ إِلَيْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَقْبَلُ بِهَا
دُعَائِي، وَتُحَقِّقُ بِهَا رَجَائِي، وَعَلَى آلِهِ آلِ الشُّهُودِ وَالْعِرْفَانِ، وَأَصْحَابِهِ أَصْحَابِ
الدُّوْقِ وَالْوِجْدَانِ، مَا انْتَشَرَتْ طُرَّةُ لَيْلِ الْكَيْانِ، وَأَسْفَرَتْ غَرَّةُ جَبِينِ الْعِيَانِ، آمِينَ
آمِينَ آمِينَ، وَسَلَامٌ عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

صلاة فواتح الحقيقة :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله
(ثلاثاً)، اللهم إني أسألك أن تصلي بأفضل ما تحب وأكمل ما تريد، على
سيدنا محمد سيد العبيد وإمام أهل التوحيد، ونقطة دوائر المزيد، لوح الأسرار

ونور الأنوار وملاذ أهل الأعصار، خطيب منابر الأبد بلسان الأزل، ومظاهر أنوار اللاهوت في ناسوت المثل، القائم لكل حقيقة سريانا وتحكيماً، الواسع لتنزلات الرضا تشريعاً وتعظيماً، مالك أزمّة الأمر الإلهي تهيؤاً واستعداداً، السالك مسالك العبودية إمداداً واستمداداً، سلطان جنود المظاهر الكمالية، شمس آفاق المشاهد الجمالية، المصلي لك بك عندك في جميع أسمائك وصفاتك، المحلّي بزواهر جواهر اختصاص أولياء حضراتك، الوتر المطلق في حق نبوته عن الأشباه والنظائر، والفرد المقدس بسر مُجديته عن مدانة مقامه في الباطن والظاهر، الأب الرحيم والسيد الحليم، ماحي ظلمات الأوهام بشعاع الحق واليقين، قاطع شبهات التمويه الشيطاني بقاهر باهر النور المبين، الشافع الأعظم والمشفّع الأكرم، والصراط الأقوم والذِّكر المحكّم، والحبيب الأخص والدليل الأنص، المتحلّي بملايس الحقائق الفردانية، المتميز بصفوة الشئون الربّانية، الحافظ على الأشياء قواها بقوتك، المهدّد لذرات الكائنات بما برزت به من العدم إلى الوجود بقدرتك، كعبة الاختصاص الرحماني، مَحجّة اليقين الصمدي، أقنوم المعاهد التي سجدت له جباه العقول، أقنوم الوَحْدَة ولا أقنوم، وإنما نورك بنوره موصول، أفضل من أظهرت وسترّت من مخلوقاتك الكرام، وأكمل ما أبديت وأخفيت من مخلوقاتك العظام، منتهى كمال النقطة المفروضة في دائرة الانفعال، ومبتدأ ما يصح أن يشمله اسم الوجود القابل لتنوعات القضاء والقدر في الأقوال والأفعال، ذلك الوارف على ممالك حيثطك الإلهية، وفضلك الذارف على ما سواك من حيث أنت أنت بما شئت من فيوضاتك العليّة، سرير الاستواء المعنوي، وسر سرائر الكنز الأحدي الصمدي، شامل الدعوة للعالم تفصيلاً وإجمالاً، مَنْ به أَقَلَّتْ العثرات ولأجله غفرت الرّلات، وبفضله غمرت أهل الأرض والسموات، وبذكره عمّرت شرائف المقامات، وله أخدمت الملاء الأعلى، وعليه أثّنت في الآخرة والأولى، مما أودعت في كنز ما

أنفقت على كل شيء وهو مملوءٌ على حاله، وبما أنزلت عليه وحققته فيه
وفضلته على جميع خواصِّ مقامك الأقدس، وملوك كماله الأنفس، سيدنا محمدٍ
عبدك ونبيك ووصفيك ونجيك ومُجتبائك ومُرتضاك، والقائم بعبء دعوتك،
والناطق بلسان حجتك، والهادي بك إليك، والداعي بإذنك لما بين يديك،
وعلى آله وصحبه والوارثين، كواكب آفاق نورك ونجوم أفلاك بطونك وظهورك،
خُدّام بابهِ وفقراء جنابه، والمتراسلين على حُبه والمتبادرين في قربه، والباذلين
أنفسهم في سبيله، والتابعين لأحكام تنزيله، والمحفوظة سرائرهم على العقائد
الحقّية في ملّته، والمنزهة ضمائرهم عن أن يحدث بها ما لا يرضيه في شريعته،
وأتباعهم بحقِّ إلى يوم الدين، آمين^١

^١ مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ص ٣٢

٨. الطريقة الإدريسية

الطريقة الإدريسية هي إحدى الطرق الصوفية التي تعود إلى السيد أحمد بن إدريس الفاسي ، وتسمى بالطريقة الأحمدية الإدريسية ، وتسمى أيضاً بالمحمدية.

والطريقة الإدريسية طريقة تفرعت عن الطريقة الشاذلية للشيخ ابو الحسن الشاذلي .

الشيخ ابن ادريس النسب والنشأة :

اتفق كل من ترجم للرجل ان اسمه احمد بن ادريس ، وان نسبه ينتهي الى المولى ادريس بن ادريس ، وهو يلقب لذلك بالإدريسي ، وأحياناً بالحسني ، او بالشريف كما هو الحال بالنسبة لكل من ينتهي نسبه بالدوحة العلوية الهاشمية . واتفقت المصادر انه ولد سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م ، وعلى انه ولد في بلدة ميسور على ساحل بحر المغرب من أعمال مدينة فاس بعد ان ارتحل أسلافه من العرائش ، خرجوا منها على فتنة بن منصور التي على اثرها احتلت اسبانيا العرائش فهاجر منها اكثر المسلمين من بينهم اسلاف السيد احمد بن ادريس فنزلوا بميسور وهي بلدة عظيمة وأول من نزل بها السيد علي الجد الثاني للسيد احمد بن ادريس .

أما نسبه فقد ثبتته جده الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي الإدريسي مؤسس الحركة السنوسية في ليبيا وجد ملوكهم في مخطوطه الشموس الشارقة في أثبات سادتنا المغاربة والمشاركة بالعمود النسبي التالي كما ثبتته غيره من النسابة :

احمد بن ادريس بن مُحَمَّد بن علي بن احمد بن الطيب بن مُحَمَّد بن عبدالله (الشريف الوزاني) بن ابراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن عمر بن احمد بن عبد الجبار بن مُحَمَّد بن يملح بن مشيش بن ابي بكر بن علي بن حرمه بن عيسى بن سلام الملقب بعروس بن أحمد الملقب بمزوار بن علي الملقب بجيدرة

(رابع ملوك الأدارسة بالمغرب) بن مُجَّد (ثالث ملوك الأدارسة بالمغرب) بن ادريس الثاني الملقب بالأصغر (ثاني ملوك الأدارسة بالمغرب) بن ادريس الأول الملقب بالأكبر (مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب) بن عبدالله الملقب بالمحض والكمال (شيخ بني هاشم في عصره) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام "علي بن ابي طالب" زوج السيدة "فاطمة الزهراء" بنت سيدنا ومولانا وحبينا مُجَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم^١

تربيته:

نشأ وترعرع في جوٍّ من العلم والفقهِ والصلاح ، فشب على الصلاح والاستقامة والورع . فكان أول مدرسيه أخوه الشريف مُجَّد ، والظاهر انه كان حريصاً في نقل العلم ، فيقول عنه الشيخ أحمد وهو يكشف رأسه فيُرى به اثر شجاج هذا اثر شج أخيه السيد مُجَّد إنه إذا جاء الليل وقرأت عليه العشر وفاتني حفظه يضربني باللوح .

ويترضى عنه فيقول : جزاه الله خيراً نفعني ، كما تولى تربيته اخوه الشريف عبدالله بعد اخيه الشريف مُجَّد .

وقد حفظ رضي الله عنه القرآن الكريم وبعض المتون ومبادئ العلوم بمسقط رأسه "ميسور" .

وأراد الله لعبده احمد أن يتفقه فحبب اليه العلم وطلبه ، فارتحل الى فاس وهو في العشرين من عمره ليأخذ عن شيوخها وكبار علمائها .

وانتسب في جامع القرويين في سنة ١١٨١ هـ مع طلبة العلم ، وكان يرحل الى بعض ملحقات المسجد يحضر حلقات الدرس لكبار علماء وقته .

وتشير المصادر ان بعض العلماء الذين أخذ منهم الشيخ علومه :

- الفقيه المحدّث علامة المغرب الشيخ مُجَّد التاودي بن سودة (ت ١٢٠٩)

^١ المنهل الراوي للرائق ص ٧٥ و الإحياء بعد الإنساء ٢ / ٤٣٦

وعنه روى الكثير من الأسانيد .

• الشيخ عبد القادر بن احمد بن العربي بن شقرون (ت ١٢١٦)

• الشيخ ابو مُجَّد عبد الكريم الفاسي (ت ١١٩٩)

• العلامة الطيب بن كيران (ت ١٢٢٧)

• الشيخ العلامة اللغوي المجيدري الشنقيطي .

• الشيخ المعمر السيد عبد الوهاب التازي الحسني

• الشيخ أبو القاسم الفاسي الملقب بالوزير

وقد ذكر السيد أحمد بن مصطفى الإدريسي في كتابه (من أعلام الصوفية) أن للإمام أحمد أسانيد من طرق أخرى على كثير من العلماء غير الذين تقدموا ، وبعد أن أتم دراسة العلوم أذن له مشايخه بالتدريس والفتوى فعقد مجالس العلم التي جلس له فيها بعض شيوخه الأوائل بالمغرب.

سند الطريقة الأحمدية الإدريسية :

المنهل الرئيسي للشيخ احمد بن ادريس في علوم التصوف هو الشيخ عبد الوهاب التازي (ت ١٢٠٦) فقد أخذ عنه الطريقة ولازمه وانقطع بكلّيته اليه ، يقول الشيخ احمد ابن ادريس : لما اجتمعت به قبلي وأقبل علي وصار سلوكي على يده ، فمنه مددي ... فلازمت بابه وخدمته أربع سنوات ، وليس قصدي بذلك إلا رضاء رب السماوات والأرض .

وكان للشيخ التازي أثر واضح في سلوك الشيخ احمد ابن ادريس ، فقد سار على منواله وعلا شأنه على يده وهو عمدته في كافة مروياته .

والشيخ التازي أخذ طريقته عن عدة شيوخ ينتسبون الى الطريقة الشاذلية .

فقد أخذ التازي عن شيخه مُجَّد بن زيان القندوسي الذي تنتهي سلسلته في التصوف الى الشيخ احمد زروق بسنده الى ابي الحسن الشاذلي . كما أخذ الشيخ التازي عن ابي العباس احمد الصقلي بسنده الى ابي الحسن الشاذلي ،

كما أخذ الشيخ التازي عن شيخه عبد العزيز الدباغ الذي تنتهي سلسلته بالزروقية ومنها الى الشاذلية .

وقد استفاد الشيخ احمد ابن ادريس من كل ذلك ووقف على حقائق الصوفية ومصطلحاتهم ورموزهم واسرارهم وتأثر بمقولات الشيخ الدباغ وعامل تلامذته بمقتضاها .

ويتأكد اتصال الشيخ احمد ابن ادريس بتعاليم الشاذلية بعد وفاة شيخه عبد الوهاب التازي ، فإنه بالرغم من كونه كان قد بلغ خلال صحبته له درجة عالية في الرقي الروحي ، ارتأى بعد وفاته ان يستند في تجربته الصوفية الى شيخ آخر ، فوجد ضالته في شيخ شاذلي آخر من اولئك الذين كانوا ينشطون في ربوع المغرب وفي فاس خاصة ، وكان هو ابو القاسم الوزير ، يقول الشيخ ابن ادريس: ولما انتقل عبد الوهاب التازي رضي الله عنه أردت ان اعرف أكمل من بفاس من الأولياء الأقطاب فرأيت أكبر هذا الشأن سيدي ابي القاسم الوزير ، وكان من الأفراد ، عارفا جليل القدر كبيراً ، فأحببت صحبته للتكميل على يده .

ثم أخذ عن شاذلي وقته مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه ، وعن قطب أهل المغرب الشيخ أحمد التجاني قدس الله سره .

وتشير كتب أتباع الطريقة الى ان طريقة الشيخ أحمد رضي الله عنه تسمى (الطريقة الحمديّة) ، وسند هذه الطريقة العليّة جاء سندها في تسلسل آخر

يتصل بسيدنا الخضر رضي الله عنه ثم برسول الله ﷺ :

(وأروي الطريقة الحمديّة من وجوه أعلاها ما أخذنا عن شيخنا قطب العارفين ، وإمام المحققين ، مولانا السيد أحمد بن إدريس قدس الله سره عن شيخه العارف بالله السيد عبد الوهاب التازي رضي الله عنه عن شيخه العارف بالله السيد عبد العزيز بن مسعود الدباغ الفاسي رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا

أبي العباس الخضر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أعالي
الأسانيد القليلة الوجود ، وهذا باعتبار اجتماع الخضر عليه السلام بالنبي صلى
الله عليه وسلم حال حياته ، كأخذ سائر الصحابة عنه وأخذ السيد عبد العزيز
رضي الله عنه . عنه صلى الله عليه وسلم . كأخذ سائر التابعين عن ثابت
الصحبة من معاصري النبي صلى الله عليه وسلم وهلم جرا ، فتكون الوسائط
بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم أربعة والله الحمد وله الشكر....
وما كان آخر أمره معول في شيء إلا عليه صلى الله عليه وسلم ولا رجوع إلا
إليه صلى الله عليه وسلم)

رحلاته وأسفاره الى المشرق بحثاً عن ونشراً للحقيقة:

بعد ان نهل ﷺ قسم عظيم من العلوم الظاهرية، وبرع فيها، وأذن له بالتدريس
من مشايخه، وصار يحضر دروسه أفاضل مشايخ العصر، طلب طريق التصوف،
فأخذه عن أهله ذوقاً وإشراقاً، وأول من أخذ عنه سيدي عبد الوهاب التازي
رضى الله عنه، ولازمه حتى توفي .

وأخذ بعده عن سيدي أبي القاسم الوزيري بإذن خاص ، وكان سيدي أبو
القاسم هذا من أكابر العارفين ، وله نفس عال في علم الحقائق ، وعلى مزاره
قبة مبنية في فاس، وضريحه مشهور، ولازمه حتى توفي، وبعد وفاته لم يؤذن له
بصحبة أحد من الأشيخ إلا بمعانقة القرآن، فاشتغل به، ولازمه إلى أن بدى له
سره، وحل طلاسمه ورموزه، وأذن له بعد ذلك في مقابلة الأشيخ، والتجوال في
البلدان، فأخذ عن شاذلي وقته مولانا العربي الدرقاوي رضى الله عنه، وعن
قطب أهل المغرب سيدي أحمد التجاني قدس الله سره .

ابتداً بعدها الشيخ ابن ادريس رحلته الى المشرق اواسط سنة ١٢١٢ ، ومرّ في
طريقه بأفطار الجزائر وتونس وليبيا ومصر ، ثم حط الرحال في مكة ليقيم بها
اربعة عشر عاماً ، وأخذ عن صلحائها، ومكث بها أربع عشرة سنة، نشر بها

أعلام طريقته، وسافر الى المدينة، والتقى هناك بالشيخ حمزة ظافر المدني رضى الله عنه، فأعجب به، وأخذ كل منهما عن صاحبه، وكثر له الأتباع والمريدون من الأعيان.

ومن جملة من أخذ عنه عالم مكة بأسرها الشيخ مُجَّد عابد السندي رضى الله عنه، ومن أهل المدينة شيخ علماء وقته، الشهير بالمناقب المأثورة، المتفق على جلالته قدره، من هو لكلِّ العلوم حاوي، سيدنا الشيخ أحمد الصاوي المتوفى سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف.

ثم أتاه الإذن بالسفر إلى بلاد اليمن، فسافر إليها، ونزل في دار قطب اليمن السيد عبد الرحمن الأهدل قدس سره، واستوطن صيباً^١، وانتشرت طريقته في بقاع الأرض.

ذريته :

خلف من الأبناء : السيد مُجَّد المشهور بالغوث ، السيد عبد العالي ، السيد مصطفى ، السيد الحسن ، لسيد عبد الجبار .

وله رضى الله عنه ثلاث شريفات

وقد انحصرت ذرية السيد احمد في ابنه الإمام السيد مُجَّد (الغوث) والإمام السيد

عبد العالي اما السيد الحسن فقد توفي عام ١٢٦٧هـ ولم يكن له ذرية وكذلك

السيد عبد الجبار اما السيد مصطفى فكان له بنتين توفيتا بعده.

وفاة السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه :

ولما أن درس العلوم بالمغرب الأقصى وأحيا معالم الطريقة واهتدى به جمع لا

يحصى توجه إلى الحجاز فمر على مصر والصعيد وبعد أن أقام بالحجاز مدة

توجه إلى اليمن وبها توفي في ليلة السبت الحادية والعشرين من رجب سنة ثلاث

وخمسين ومائتين بعد الألف (١٢٥٣هـ) .

^١ صيبا: من قرى عُشْرَ من ناحية اليمن

ودفن بمدينة صبيا وقبره بما يزار وتلوح منه للوافدين أنواره

تلاميذه :

- السيد الشريف مُجَّد بن علي السنوسي الشهير بـ السنوسي الكبير
- الشيخ إبراهيم الرشيد
- السيد الميرغني
- السيد الطيب بن مُجَّد بن ادريس و هو ابن اخيه
- الشيخ مُجَّد المجدوب العباسي السواكني
- الشيخ علي عبد الحق القوصي
- الشريف عبدالرحمن بن سليمان الأهدل
- السيد سليمان بن ابي القاسم الأهدل
- السيد بشير بن شبير بن مبارك الحسني

وممن ترى على يد تلاميذه ونشر علمه ومنهجه في التربية والسلوك :

- سيدي الشيخ صالح الجعفري (رضى الله عنه) إمام الجامع الأزهر الشريف
- سيدي الشيخ عمران احمد الدح وابناءه بصعيد مصر.
- وغيرهم كثير ممن لا يحصى عددهم في شتى بقاع المعمورة .

مؤلفاته :

- أقطار أزهار أغصان حدائق التقديس.
- كيمياء اليقين.
- رسالة القواعد.
- أوراده وصلواته الأربع عشرة.
- السلوك.
- روح السنة

مؤلفات نقلت علومه او ترجمت له :

• العقد النفيس .

وهو كتاب جمعه سيدى ابراهيم الرشيدى تلميذ احمد ابن ادريس حيث جمع فيه اجابات الشيخ عن اسئلة وجهت اليه فأفاض فيها من العلوم التي أدهشت السائل والحاضرين ومنها على سبيل المثال :

انه سئل عن الصحابة فقال (الصحابي كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو صحابي ، ف قيل له ان ابا لهب رأى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال رضى الله عنه : رآه أنه ابن أخيه ولم يره أنه رسول الله) أي يشترط في الرائي أن يكون مؤمناً به انه رسول الله .

ثم استطرذ في اجابته منبهاً على موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضنك ، ومعتك صعب ، فرط فيه طائفة فضلوا وأضلوا حيث قال رضى الله عنه (واياك أن تخوض في الصحابة بشيء فإن الجناب خطر ، قال تعالى : تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ هَآ مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^١

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى ابن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه (من كنت مولاه فعليّ مولاه) وجرى بينه هو ومعاوية ما جرى فلا تنظر الى نفس الأمر وانظر الى حقيقته فإن معاوية رضى الله عنه من الصحابة وايضا فإنه خال المؤمنين فإن أم حبيبة اخته وهى زوج النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهى تحته بإجماع الأمة والنبي صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين ، وفى بعض الروايات : النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ^٢ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ^٣ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ... ^٢ فإن عرفت ذلك فسأضرب لك مثلاً إذا جئت وأبوك وخالك يختصمان فإن

^١ سورة البقرة : ١٣٤

^٢ سورة الاحزاب : ٦

أعنت اباك أغضبت أمك وإن أعنت خالك أغضبت اباك فإن كانا موجودين فالأولى لك أن تسعى بينهما بالصلح ، وإن كانا قد سلفا فقل ما ندبك اليه الله تعالى (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)^١

• المنتقى النفيس.

وهو كتاب جُمعت فيه بعض مآثر الشيخ وما أجرى الله على يديه من كرامات وما حباه به من مكرمات وما كان عليه من جد واجتهاد في العبادة و نشر العلم وتربية النفوس والنصح للمسلمين ومما ذكر فيه :

— أنه كان رضى الله عنه يصلى يوما ببعض تلاميذه فسقط جدار في البيت الذي يصلون فيه فأحدث دويا عظيما تفرق على أثره من كانوا يصلون خلفه بينما هو ماض في صلاته حتى أتمها فلما سلم ولم يجد أحدا خلفه سألهم لم تركتم الصلاة ؟ قالوا : سقط جدار البيت ألم تسمع الصوت ؟ فقال متعجبا سبحان الله تصلون وتسمعون ؟

— وايضا سأله بعض تلاميذه يوما عن نسبه وهو كما عرفنا شريف حسنى وأنعم به من نسب وشرف ، فقال لسائله في تواضع جم وحنكة مرب عظيم : نسبي هو الكتاب والسنة فإذا رأيتني اسير عليهما فقل احمد ابن ادريس على الكتاب والسنة .

— ورأى بعض تلاميذه يوما يجمع في كراس بعض كراماته لينشرها بين الناس — وهو أمر تميل اليه نفوس أدياء الولاية بل وتطلبه احيانا — ولكن الشيخ رضى الله عنه لم يجذ له فعله ذلك ونبهه على الكرامة الكبرى لأى انسان والتي ينبغي أن تسلط عليها الأضواء كلها فقال له : يا بنى الاستقامة عندنا أكبر كرامة .

^١ سورة الحشر : ١٠

تفرعات الطريقة الإدريسية :

ونظرًا لكثرة تلاميذ الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي وانتشارهم من المغرب العربي إلى جنوب شرق آسيا، في اليمن والحجاز والشام ومصر والسودان وماليزيا وإندونيسيا.

فقد انتشر المشرب الأحمدي الإدريسي تحت فروع ومسميات كثيرة منها:

الطريقة الإدريسية السنوسية بليبيا.

الرشيدية بالحجاز والشام.

الميرغنية بالسودان ومصر.

الندراوية بجنوب شرق آسيا والسودان ومصر.

الاحلاصية الزرقانية بالأسكندرية بمصر.

الأحمدية الإدريسية في الصومال واثيوبيا.

من أورد الطريق الإدريسية :

أكثر ما أكد الشيخ الإدريسي عليه في تصوفه وأوصى به مريديه هو التمسك بالكتاب الكريم والسنة المطهرة .

وقد ترك ﷺ لأتباعه ومحبيه صيغة في الإستغفار سماها الاستغفار الكبير ، وستة أحزاب وخمسة عشر صيغة في الصلاة على النبي ﷺ ... كما ركز رحمه الله تعالى على التوحيد ب لا اله الا الله محمد رسول الله .

الاستغفار الكبير

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ،

غفار الذنوب ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه ؛

من جميع المعاصي كلها والذنوب والآثام ؛

ومن كل ذنب أذنبته عمدا وخطأ ، ظاهرا وباطنا ، قولاً وفعلاً ،

في جميع حركاتي وسكناتي ، وخطراتي وأنفاسي كلها دائما أبدا سرمداً

من الذنب الذي أعلم ومن الذنب الذي لا أعلم ،
عدد ما أحاط به العلم ، وأحصاه الكتاب ، وخطه القلم ،
وعدد ما أوجدته القدرة وخصصته الإرادة ، ومداد كلمات الله
كما ينبغي لجلال وجه ربنا وجماله وكماله ،
وكما يحب ربنا ويرضى ^١

ولهم من صيغ الصلاة الشريفة :

الصلاة العظيمة

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِهِ اللَّهُ الْعَظِيمِ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فَقَامَتْ
بِهِ عَوَالِمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَعَلَى آلِ نَبِيِّ
اللَّهُ الْعَظِيمِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ
اللَّهُ الْعَظِيمِ صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ اللَّهِ الْعَظِيمِ تَعْظِيمًا لِحَقِّكَ يَا مَوْلَانَا يَا مُحَمَّدُ يَا ذَا
الْخَلْقِ الْعَظِيمِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ
الرُّوحِ وَالتَّنَفُّسِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا يُقِظُهُ وَمَنَامًا وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحًا لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ
الْوُجُوهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ يَا عَظِيمُ ^٢

صلاة ثانية :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظَمَةِ ذَاتِكَ وَكَمَالِ عِلْمِكَ وَجَمَالِ أَسْمَائِكَ
وَصِفَاتِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى النُّورِ الذَّائِبِ وَالْمَنْظَرِ الصِّقَاتِيِّ مَجْلَى الْحَقَائِقِ الْفُرْقَانِيَّةِ
صُورَةَ مَادَّةِ التَّجَلِّيَّاتِ الْفُرْقَانِيَّةِ الرُّوحِ الْفُدُوسِيِّ وَالسِّرِّ السُّبُوحِيِّ بَرَزَخِ الْعَظَمَةِ
الذَّائِبَةِ الْحَاجِزِ بَيْنَ خَلْقِكَ وَسُبُحَاتِ وَجْهِكَ كُلِّ الْكُلِّ فِي سِرِّ كُلِّ الْكُلِّ
حَيْثُ الْكُلُّ لِلْكُلِّ فَيُوضُ الْجَمَالَ وَالْجَلَالَ وَ الْكَمَالَ مِنْ حَيْثُ لَا حَيْثُ إِلَى

^١ الأوراد الادريسية ص ٧

^٢ الأوراد الادريسية ص ٦

حَيْثُ لَا حَيْثُ فِي حَيْثُ لَا حَيْثُ فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ مِنْ حَيْثُ لَا حَيْثُ إِلَى حَيْثُ لَا حَيْثُ فِي حَيْثُ لَا حَيْثُ كَمَا أَنْتَ حَيْثُ لَا حَيْثُ عَدَدُ الْأَعْدَادِ الْمُتَنَاهِيَةِ كُلِّهَا مِنْ حَيْثُ انْتَهَاؤُهَا فِي عِلْمِكَ مِنْ جَمِيعِ الْحَيْثِيَّاتِ وَمِنْ حَيْثُ لَا أَعْدَادَ مِنْ وُجُوهِ عَدَمِ الْحَيْثِيَّاتِ كُلِّهَا فِي مَكْنُونِ عِلْمِكَ مِنْ غَيْرِ انْتِهَاءٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^١

صلاة الثالثة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نُورِكَ اللَّامِعِ وَمَظْهَرِ سِرِّكَ الْهَامِعِ الَّذِي طَرَزْتَ بِجَمَالِهِ الْأَكْوَانَ وَزَيَّنْتَ بِهِجَةَ جَلَالِهِ الْأَوَانَ الَّذِي فَتَحْتَ ظُهُورَ الْعَالَمِ مِنْ نُورِ حَقِيقَتِهِ وَخَتَمْتَ كَمَالَهُ بِأَسْرَارِ نُبُوَّتِهِ فَظَهَرَتْ صُورُ الْحُسْنِ مِنْ فَيْضِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَلَوْلَا هُوَ مَا ظَهَرَتْ لِصُورَةِ عَيْنٍ مِنَ الْعَدَمِ الرَّمِيمِ الَّذِي مَا اسْتَعَاثَكَ بِهِ جَائِعُ الْإِشْبَعِ وَلَا ظَمَأَانُ إِلَّا رَوَى وَلَا خَائِفٌ إِلَّا أَمِنَ وَلَا هَقَانٌ إِلَّا أُغِيثَ وَإِنِّي لَهَقَانٌ مُسْتَعِيثُكَ أَسْتَمْطِرُ رَحْمَتَكَ الْوَاسِعَةَ مِنْ حَزَائِنِ جُودِكَ فَأَغْنِنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَنْ إِذَا نَظَرَ بَعَيْنٍ حَلْمِهِ وَعَقْفُوهُ لَمْ يَظْهَرْ فِي جَنْبِ كِبْرِيَاءِ حَلْمِهِ وَعَظْمَةِ عَقْفُوهِ ذَنْبٌ اغْفِرْ لِي وَثُبْ عَلَيَّ وَتَجَاوَزْ عَنِّي يَا كَرِيمُ^٢

صلاة رابعة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ سِرَاجِ أَفْقِ الْأُلُوْهِيَّةِ وَمَعْدِنِ كُنُوزِ الْأَسْرَارِ الرَّيْبِيَّةِ سِرِّ اسْتِوَاءِ الرَّحْمَانِيَّةِ مَنْظَرِ وُجُوهِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَمَظْهَرِ سَبْعِيَّةِ الْأَسْمَاءِ النَّفْسِيَّةِ حَقِّ الْحَقِّ وَ نُقْطَةِ دَائِرَةِ اسْتِمْدَادِ وُجُودِ الْخَلْقِ مَصْدَرِ الْهُوِّ فِي الْهُوِّ لِلْهُوِّ مِنَ الْهُوِّ مِنْ نَبَعَتْ فِيهِ وَ مِنْهُ أَسْرَارُ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) قَلْبِ قُرْآنِ الْحَقَائِقِ الْخَوْفَلِيَّةِ فِي

^١ الأوراد الادريسية ص ٩٣-٩٤

^٢ الأوراد الادريسية ص ٩٥ - ٩٦

حَضْرَةَ (كَانَ اللهُ وَ لَا شَيْءَ مَعَهُ) الْكِتَابِ الْمُبِينِ الَّذِي مَا فَرَطَ اللهُ فِيهِ
مِنَ الْحَقَائِقِ الدَّائِيَةِ مِنْ شَيْءٍ لِسَانَ كَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الْمُتْرَجِمِ عَنْ أَسْرَارِ
الْعِشْقِ الإِلَهِيِّ مِنَّا وَ مِنْ وَرَاءِ غَايَةِ الْعَايَاتِ صَلَاةً بِلِسَانِ حَقٍّ مِنْ حَقِّ لِحَقِّ
صَلَاةً لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الإِحْصَاءُ وَلَا يُحِيطُ بِهَا عِلْمُ مَخْلُوقٍ بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ
الإِسْتِفْصَاءِ^١

صلاة خامسة :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على الكمال المطلق و الجمال المحقق عين أعيان الخلق و نور تجليات
الحق فصل اللهم بك منك فيه عليه و سلم

^١ الأوراد الادريسية ص ١٠١ - ١٠٢

٩ - الطريقة المسلمية

مؤسس الطريقة المسلمية العارف بالله السيد سليم أبو مسلم يوسف الهمداني والذي يصل نسبه الى آل بيت النبي الأطهار .

الاسم والنسب :

السيد سليم ابو مسلم العراقي الهمداني بن يوسف بن ايوب بن مُجَّد بن حسين بن علي بن جعفر بن مُجَّد بن محمود بن احمد بن عبد الله بن علي بن جعفر الزكي بن السيد علي الهادي بن السيد مُجَّد الجواد المأمون بن السيد علي الرضي الخارصي بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد مُجَّد الباقر بن السيد علي الأصغر زين العابدين بن الإمام الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و ابن فاطمة الزهراء ابنة سيد الخلق و خاتم الأنبياء و إمام المتقين سيدنا أبو القاسم رسول الله مُجَّد صلى الله عليه واله وسلّم.

ولد ﷺ سنة ٥٦٠ هـ بجانب الكرخ ببغداد عاصمة الخلافة العباسية^١

وهناك من المصادر من ذهب الى ان الشيخ ولد في قرية همدان العراقية على الحدود العراقية الإيرانية وقدم في صباه سنة ٤٩٠ هـ ببغداد ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين المهدي بالله .

تلقى الشيخ علومه على أئمة التصوف وشيوخه في عصره وبرع في العلوم العقلية والنقلية ، وعرف بالذكاء الحاد ، اضافة الى تحلقه بالصدق وفضائل الأخلاق ، وكانت يد اسرته واضحة في توجهه الى السلوك الرباني .

انقطع رضي الى عنه الى العبادة ودخل الخلوة للطاعة والمناجاة .

وحين خرج رحمه الله تعالى من خلوته كان واضحاً ان لديه رسالة يسعى الى إيصالها وهدف يسعى لتحقيقه ، فالتف حوله الصالحون وصارت له حلقة

^١ تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٢

وعظ وارشاد اتسعت وكثر فيها مریدوه واصبحت له مدرسة صوفية عرفت في العراق باسم (المدرسة المسلمية) .

وحین بدأت الحملة الصليبية واشتد الخطر على الشرق الإسلامي ، اطلق الشيخ نداء الجهاد بين الناس وقاد جمع المجاهدين التي أمّدت القائد صلاح الدين بالمقاتلين وكان الشيخ في طليعتهم يقاتل دفاعاً عن بيت المقدس وإعلاء راية الإسلام^١ .

وبعد ان حقق الله لهم النصر ، توجه الشيخ الى مصر حيث هبط بلدة بحطيط من بلدان مركز ابو حماد فأقام فيها واتخذ له مسجداً لدروسه وعبادته ، فتكاثرت حوله حلقة المریدين والأتباع والمریدين .

وبهذه البلدة أسس الشيخ طريقته ووضع أسسها وأذكارها وأورادها وتعاليمها المباركة ومنهجها التعبدية مستنيراً بالكتاب الكريم والسنة الشريفة .

وبارك الله للشيخ بمریديه الذين اتسعت دائرتهم وعُرف لهم الصلاح وحسن العبادة .

تزوج الشيخ أبو مسلم من أخت الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وأنجب منها أربعة أولاد وهم: صالح ومسلم والأمير عبدالله وعلوان، وانتشر أولاده في جميع أنحاء الجمهورية وذلك لنشر التصوف، وبعد وفاة زوجته الأولى تزوج من السيدة فاطمة أخت السيد أحمد البدوي، وأنجب منها ابنتين.

ورزق الله الشيخ بالذرية الصالحة وبارك له فيهم ، فنمت شجرة عائلته واتسعت فروعها حتى أصبحت قبيلة تسمى قبيلة الشيخ سليم التي تنتشر في أنحاء مصر وفي السودان .

ومن تعاليمه لمریديه :

(لا يبلغ العبد درجة الولاية الا بعد جهاد شاق وعمل دائب واغتنام الأوقات

^١ انظر تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٢ - ٤٤

ومحاسبة النفس وتركية الجوارح وتقصير الأمل وتحصيل العمل ورياضة القلب
وتفويض الأمور الى الغفور)

ومن كلامه :

(وردي الخروج عن السوى ، والبقاء مع المولى ، ولا يصفو لأحد مقام في
العبودية حتى تكون أفعاله كلها خالية من الرياء وأحواله كلها دعاء وإذا اراد الله
بعبدٍ خيراً رزقه خدمة الصالحين والأخيار وسهّل عليه سبل الخير وحجبه عن
المعاصي والسيئات)

ويقول عليه السلام :

(أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد
والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية الأمل .

وأهل التصوف ثلاث طبقات :

مريد طالب ومتوسط طائر ومنتهى ثابت .

فالمرید صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب يقين)

ويقول : (ما ابتلى الله عبداً بشيء من الغفلة عنه والفتور عن الطاعة وإذا
أحب الله عبداً أعاده من الغفلة ، ومن يتعرض لأولياء الله فقد بارز الله بالحرب)
وظل الشيخ على منهجه وعمله حتى اختاره الله تعالى الى جواره عام ٦٥٨ هـ .
وبقيت هذه الطريقة في مصر والسودان لها خلفاء ومريدين وأذكار ومنهج عبادة
الى وقتنا^١ .

وفاة الشيخ :

مات عليه السلام ودفن بقرية كفر أبو مسلم التابعة لمركز أبو حماد بمحافظة الشرقية وله
ضريح يتردد عليه محبيه من كل أنحاء الوطن العربي .

^١ أنظر تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٢-٤٤

الطقوس والأوراد اليومية لأتباع الطريقة المسلمية :

ان الطقوس تبدأ بالحضرة المعتادة للطريقة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة سورة يس يتبعها قراءة سورة الاخلاص والمعوذتين ثم قراءة الفاتحة لآل البيت ومشايخ الطريقة وتختتم بإقامة حلقة ذكر .

وللطريقة اوراد يومية تذكر بعد صلاة العشاء :

ورد يومي السبت والاحد :الحمد لله على كل حال سبوح قدوس ١٠٠٠ مرة

،ورد يوم الاثنين :الحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ٥٠٠ مرة ،

ورد يوم الثلاثاء : سبحان ذي الملك والملكوت ٥٠٠ مرة ،

ورد يوم الاربعاء :سبحان ربي العظيم الخالق المصور ٣٠٠ مرة ،

ورد يوم الخميس :سبحان القادر المقدر ٤٠٠ مرة ،

ورد يوم الجمعة :لا اله الا الله محمد رسول الله ١٥٠٠ مرة .

ويقام للطريقة مولد رسمي كل عام باسم مولد سيدى «سليم أبو مسلم»

مؤسس الطريقة، بمحافظة الشرقية، وللطريقة خلفاء ونواب ومحبون ومريدون في

جميع أنحاء مصر، ويقدر عدد أتباعها بأكثر من مليوني مريد داخل جمهورية

مصر العربية وخارج مصر في العراق والكويت وإيران.

وأوضح شيخ الطريقة الحالي بمصر الدكتور حسن المسلمي :

تهدف الطريقة إلى نشر التصوف بمعناه الحقيقي وتنقيته من الشوائب والمفاهيم

الخاطئة التي عقلت به، وتنمية الحس الديني لأبنائها، بالالتزام بمنهج القرآن

الكريم، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما تقوم الطريقة بالاحتفال بموالد

آل البيت جميعاً.

١٠ - الطريقة النقشبندية

الطريقة النقشبندية هي واحدة من أكبر الطوائف الصوفية والتي تنتسب إلى مُجَدِّ بهاء الدين شاه نقشبند واشتق اسمها منه ، ومن ثم عرفت به .

(وكانت قبله تنسب الى الشيخ عبد الخالق الغجدواني ، وسميت كذلك بالمجددية والفاروقية نسبة للشيخ احمد الفاروقي السر هندي ، والخالدية نسبة الى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين ، وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد ان نال الفيض من الشيخ عبد الله الدهلوي ، حيث كانت مقصورة قبلها على بلاد بخارى وما جاورها من مناطق)^١

والطريقة النقشبندية هي الطريقة الوحيدة التي تدّعي تتبع السلسلة الروحية المباشرة مع نبي الإسلام مُجَدِّ ﷺ من خلال أبو بكر الصديق وبذلك تكون تلك الطريقة مرتبطة بطريق غير مباشر بسيدنا علي عن طريق جعفر الصادق . وتختلف بقية الطرق عن هذه الطريقة بأن سلسلتها جميعاً تتصل بسيدنا علي ما عدى الطريقة النقشبندية .

والشيخ مولود في شهر محرم الحرام سنة ٧١٧ هـ الموافق ١٣١٧ م بقرية قصر هندوان، والتي سميت فيما بعد بقصر العارفان، وهي قرية في أوزباكستان بالقرب من بخارى مسقط رأس الإمام البخاري .

أما وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ففي ليلة الاثنين يوم ٣ في شهر ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ الموافق ١٣٨٩ م .

ولمعرفة جانب من بداية حياته في التصوف والسلوك نقل لنا مُجَدِّ أمين الكردي في كتابه تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية حكاية الشيخ بهاء الدين أحمد بن مُجَدِّ النقشبندي وكما ذكرها ﷺ ، فقال قدس الله سره: (

^١ النقشبندية نشأتها وتطورها ص ٤ - ٥

أرسلني جدي وكان سني وقتئذ نحو ثماني عشرة سنة إلى سَماس^١ لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ مُجَدَّ بابا السماسي باستدعاء منه لي، فلما نلت الحصول إليه لم يأت وقت الغروب إلا وقد وجدت بركته بنفسٍ سَكِينَةٍ وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً، ثم إني قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت إليه كثيراً، فمر على لساني في أثناء دعائي: "إلهي أعطني قوة على تحمل البلاء ومحنة المحبة"، ثم إني صليت الفجر مع الشيخ قدس الله سره فلما انصرف من الصلاة التفت إليّ وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف، ثم قال لي: "يا ولدي ينبغي أن تقول في دعائك: إلهي أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك، فإن الله تعالى لا يرضى أن يكون عبده في بلاء، وإن ابتلى حبيبه على مقتضى حكمته، يعطيه قوة على تحمله ويعطله على حكمته، فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء، فإنه ينافي مقام الأدب"^٢

وقال قدس سره لما توفي الشيخ مُجَدَّ بابا السماسي أخذني جدي إلى سمرقند فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني إليه وسأله لي فكانت تنالني بركتهم، ثم أتى بي إلى بخارى وزوجني بها.

وكانت إقامتي في قصر العارفان، ومن العناية الإلهية بي أي وصلت إلى قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات فحسنت أحوالي وقويت آمالي إلى ان حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرني بأن الشيخ مُجَدَّ بابا السماسي قدس سره أوصاه بي وقال له: لا تأل جهداً بتربية ولدي مُجَدَّ بهاء الدين ولا بالشفقة عليه ولست مني في حل إن قصرت في ذلك.

فقال له قدس سره: إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل.

^١ مدينة بأذربيجان بين تبريز وأرمية

^٢ تهذيب المواهب السمرديّة ص ٧٤ و الحدائق الوردية ص ٣٢١

ثم وفي وعده ^١.

وزاد الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء عن الشيخ بهاء الدين النقشبندي:

قال قدس الله سره: مبدأ يقظتي وتوبتي أي كنت جالسا مع صاحب لي في الخلوة، فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه إذ سمعت قائلا يقول لي أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا. فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعا من ذلك البيت لا يقر لي قرار وكان قريبا منه ماء فاغتسلت منه وغسلت ثيابي، وفي تلك حالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت علي أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك ^٢.

وقال قدس الله سره: قيل لي في بداية الجذبة: كيف تدخل في هذا الطريق؟ فقلت على أن يكون كل ما أقوله وأريده فليل لي: كل ما نحن نقول به يجب أن يفعل، فقلت: لا أطيق ذلك بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوما فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي: إن الذي تريده يكون فقلت أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول ^٣

وقال عليه السلام: كنت أوائل السلوك وغلبة الحال عديم القرار، أدور الليل في نواحي بخارى وأزور القبور فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسع فوجدت عنده سراجا وفيه دهن واف وفتيلة طويلة غير أن الفتيلة تحتاج إلى تحريك قليل حتى يخرج الدهن وتحدد نورها فما لبثت أن وقعت الإشارة إليّ بالتوجه إلى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجرولي، فلما وصلت إليه إذا بسراج هنالك مسرح كذلك ،

^١ الحدائق الوردية ص ٣٢٢

^٢ جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٦

^٣ تهذيب المواهب ص ٧٤

وإذا أنا برجلين قد أتيا ، فربطاً على وسطي سيفين وأركباني حماراً ووجهاه إلى جهة ضريح الشيخ مزداخن قدس الله سره، فلما وصلناه ، رأيت ثمَّ سراجاً كاللذين قبله فنزلت وجلست متوجهاً إلى نحو القبلة فوقع لي في ذلك التوجه غيبة فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلي قد انصدع وظهرت ذكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر، وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ مُجَّد بابا السماسي فقلت في نفسي من هذا الرجل العظيم ومن حوله؟ فقال لي أحدهم: أما الرجل العظيم فهو الشيخ عبد الخالق الغجدواني، وأما الجماعة فهم خلفاؤه ، وجعل يشير إلى كل واحد منهم ، ويقول: هذا الشيخ أحمد الصديق، وهذا الشيخ أولياء الكبير، وهذا الشيخ عارف الربوكري، وهذا الشيخ محمود الأنجيري نقولي، وهذا الشيخ علي الراميني، ولما بلغ إلى الشيخ مُجَّد بابا السماسي، قال: وهذا قد رأيت في حال حياته وهو شيخك، وقد أعطاك قلنسوة ، أفتعرفه ؟

فقلت نعم، وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها، ثم قال وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاءً عظيماً قد كان حل بك، فقالت لي الجماعة: اصغ بسمعك ، فإن حضرة الشيخ الكبير يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك طريق الحق . فسألتهم أن أسلم عليه، فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه، فبدأ يتكلم على ما يتعلق بأحوال السلوك أوله ووسطه ومنتهاه إلى أن قال: وأما تلك السُّرُج التي رأيتها على تلك الكيفية، فإنما هي لك بشارة وإشارة إلى أن لك استعداداً تاماً وقابلية على سلوك هذا الطريق، غير أنه ينبغي تحريق فتيلة الاستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار، فأدِّ القابلية حقها تبلغ الأوطار ، وعليك بالاستقامة والثبات على جادة الشريعة المطهرة في جميع الأحوال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة، وأن تجعل قبلتك أحاديث المصطفى صلى الله عليه

وسلم، وتبحث عن أخباره وآثاره، وأحوال أصحابه العظام، ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك، ولما أن أتم كلامه، قال لي خليفته: وآية صدق هذه الواقعة أن تذهب غدا عند مولانا شمس الدين الأنيقوتي وتخبره بأنه ما يدعيه فلان التركي على السقاء هو صحيح والحق مع التركي وأنت تساعد السقاء، فإن أنكر السقاء صحة هذه الدعوة فقل له عندي شاهدان: الأول أنك يا سقاء عطشان، فهو يعرف معنى هذه الكلمة، والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة، ثم قال فإذا بلغت هذه الرسالة لمولانا شمس الدين، فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب واذهب إلى نسف لخدمة السيد كلال ، وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخا يعطيك رغيفا حارا فخذ منه، ولا تكلمه وامض في طريقتك ، فتمر على قافلة إذا جاوزتها استقبلك فارس فانصحه ، فإنه ستكون توبته على يدك ، وخذ معك قلنسوة العزيران إلى السيد كلال .

ثم بعد ذلك حركوني فرجعت إلى نفسي. فلما أصبحت ذهبت إلى منزلي في زيورتون وسألت أهلي عن القلنسوة ، فأتوني بها وقالوا إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة، فلما رأيتهما أتاني حال عظيم وبكاء شديد ، فأخذتها وتوجهت ساعتئذ إلى أبنيكية قرية من قرى بخاري ، فأتيت مسجد مولانا شمس الدين فصليت معه الصبح ، ثم بلغته ما أرسلت به إليه، فتحير وكان السقاء حاضراً ، فأنكر صحة دعوى التركي ، فأقمت عليه البينة السابقة فكذب أمر الفاحشة فذهب جماعة ممن في المسجد إلى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقط مدفونا فيه، فطفق السقاء يعتذر ، وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد ، وحصل لهما أحوال عظيمة ، ثم عزمتم في اليوم الثاني على التوجه إلى نسف من الطريق الذي عينوه لي في الواقعة ، وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب ، فبلغ مولانا توجهي فأرسل إلي ولاطفني كثيرا وقال: إني أرى آلام الطلب قد استولت

عليك، وآثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفافؤك عندنا فأقم لنؤدي حق تربيتك ونبلغك أقصى بغيتك على مقتضى علو همتك، فأريتني أقول له: أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في فاي لا أقبله، فسكت وأذن لي بالسفر، فتحزمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشداه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت، فلما وصلت المكان الذي ذكر لي لقيت فيه شيخاً فأعطاني رغيفاً حاراً فأخذته ولم أكلمه، ومضيت، فإذا أنا بقافلة ، فسألني أهلها من أين أتيت ؟ فقلت لهم: من أنبكية، قالوا: متى خرجت منها ؟ فقلت لهم: وقت طلوع الشمس وكان ذلك عند الضحى ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ، ونحن خرجنا أول الليل، ثم بارحتهم وسرت فما نشبت أن استقبلني فارس ، فحينما وصلت إليه سلمت عليه فقال لي: من أنت فأني أجدني خائفاً منك ؟ فقلت له: أنا الذي تكون توبتك على يديه، فتحول بالحال عن فرسه، وأظهر كمال التواضع والتضرع وتاب ، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها ، ثم جاوزته وقد دخلت حدود نسف فقصدت مقام السيد أمير كلال ، فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه، فسكت برهة طويلة ، ثم قال هذه القلنسوة العزيزان ؟ فقلت له نعم، فقال: صدر الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أعشبة ، فأخذتها وفعلت كما أمر ، وبعد ذلك ، لقنني الذكر بالنفي والإثبات خفية ، وأمري بالاشتغال به ، فتبعته على ذلك ، ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة ، لم أذكر بالجهر، ثم لازمتم العلماء لاقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم ، واقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة أحاديث الشريفة، والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام والعمل بها كما أمرت، فوجدت لذلك تأثيراً تاماً ونفعاً عظيماً، وكل ما تكلم به الشيخ عبد الخالق العجدواني مر عليّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في

وقته^١

وقيل في معنى نقشبند أو نقش بندر أنها ربط النقش، والمقصود بالنقش انطباع القلب بالذكر، وربطه أي بقاؤه من غير محو، حيث تقوم هذه الطريقة في التصوف على الذكر أساساً ، وتسمى أيضا بأسماء عدة بحسب اسم إمام الوقت ، فهي كما قيل صديقية نسبة إلى أمير المؤمنين أبي بكر عليه السلام، وطيفورية نسبة إلى يزيد طيفور البسطامي، الصوفي الشهير، ونقشبندية أيضا في عهد رئيس الخوجكان بهاء الدين محمد شاه نقشبند، وأحرارية بعد عبيد الله أحرار، ثم مجددية وخالدية وهكذا. ومن قولهم أنها طريقة الصحابة. ولذلك ينسبونها إلى أبي بكر الصديق كما ينسبونها إلى البسطامي.

المراحل التاريخية لتطور الطريقة النقشبندية :

مرت النقشبندية بمراحل كثيرة عبر تطورها التاريخي. وثمة علاقات ربطتها بغيرها من الطرق الصوفية، وكذا التيارات الروحية التي انتشرت في البلاد الإسلامية، ومن الممكن أن نطلق على المرحلة الأولى في تاريخ النقشبندية مرحلة النشأة والتطور أو : اليسوية والنقشبندية، فثمة علاقة وثيقة بين الطريقتين ليس من حيث الطقوس والمراسم فحسب بل العقائد والأوراد والأذكار كذلك .
فثمة مراحل تاريخية مرت بها النقشبندية، تميزت كل منها بميزة خاصة، وصبغتها بصبغة خاصة. وتتميز كل مرحلة عن غيرها من المراحل التي مرت بها عبر التاريخها. لقد مرت النقشبندية بثلاث مراحل رئيسية تتلخص فيما يلي.

أولا: النقشبندية واليسوية

يعد أول من أسس اليسوية هو أحمد يسوي المتوفى عام ١١٦٧م ونهج نُهجا صوفيا ذاع صيتها في نفس الساحة الجغرافية التي انتشرت فيها النقشبندية .

^١ جامع كرامات الأولياء ١ / ١٩٦ - ١٩٨

كما انهما تشتركان في كثير من قسماتهما .

اضافة الى ان الشيخ بهاء الدين نقشبند تربى على يد شيوخ الطريقة اليسوية ونهل من علمهم الصوفي ، ومعلوم انه نشأ وترى في احدى قرى مدينة بخارى ، وهذا ما دفع الى الاعتقاد بصلة التبعية بين الطريقتين ، وان النقشبندية هي امتداد وتطور للطريقة اليسوية .

وقد سعى أحمد يسوي وبحرص شديد لنشر الإسلام عن طريق الترويج لتعاليم طريقته الصوفية .

أثرت اليسوية تأثيراً عميقاً في النقشبندية، التي ازدهرت أولاً في التركستان، ثم الأناضول. وترجع صلة شيوخ النقشبندية بأحمد يسوي إلى أن الشيخ بهاء الدين نقشبند مُجد البخاري، المعروف ب"شاة نقشبند"، نال الفيض على يد كل من الشيخ قاسم، والشيخ خليل آتا اللذان يعدان من شيوخ اليسوية.

وبعد شاة نقشبند انتشرت النقشبندية بين أتراك التركستان. وضيقت ساحة نفوذ اليسوية التي كان لها الانتشار قبلها هناك .

لقد حرص الشيخ احمد اليسوي (ت ١١٦٧ م) مؤسس الطريقة اليسوية على نشر قيم الإسلام من خلال الترويج لتعاليم طريقته الصوفية ، كما حرص على ايفاد مريديه من الدراويش الى انحاء العالم التركي الذين نجحوا في إرساء اساساً اقيم عليه كيان طريقتهم الصوفية وتناولوا طريقة شيخهم بالشرح والتفصيل والايضاح ، وكان لهم دور كبير في تشكيل الجو الروحي والعقدي في المجتمع التركي بداية ثم في بلاد ما وراء النهر لاحقاً .

فانتشرت الطريقة في خوارزم وبين قبائل التركمان في خراسان ، ومع حلول القرن الثالث عشر للميلاد انتشرت الطريقة اليسوية في الأناضول .

وبعدما أسندت النقشبندية إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند الذي نسبت له وتسمت بإسمه، حمل لواءها بعد أن حصل على العلم الصوفي على يد كبار

شيوخ اليسوية، وراح ينشر تعاليم طريقته شرقا وغربا. وبوسعنا أن نقول إن اليسوية ظهرت في زي جديد، أو انها اندمجت في النقشبندية.

اما عن صلة اليسوية بالشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري الذي اشتهر بلقب شاه نقشبند فلكونه عليه السلام قد نال الفيض على يد الشيخ قاسم والشيخ خليل آتا اللذين يعدان من شيوخ اليسوية ، وحكي عنه انه قطع مسافات طويلة في سبيل الفيض والسلوك ، وانه قضى مراحل طويلة الى جوار خليل آتا ، وبعد شاه نقشبند انتشرت النقشبندية بين اترك التركستان ، وضيقت ساحة نفوذ

اليسوسة التي كان لها الازدهار قبلها هناك ^١

وساح بهاء الدين في البلاد لكي يروج لتعاليم طريقته.

وتلك السياحة تعرف لدى الصوفية بالسياحة الروحية.

ثانياً : النقشبندية والملامية

تأتي المرحلة الثانية في التطور التاريخي للنقشبندية وهو علاقتها بالطريقة الملامية فثمة علاقة للنقشبندية بالمامية ((إن الشيخ عبد الله الألهي أول من قام بنشر الطريقة النقشبندية في الدولة العثمانية في فترة ما بين ١٤٨١م/١٥١٢م وألف ما بين الطريقة النقشبندية والملامية وعاش على عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني بن السلطان محمد الفاتح.

نشأ عبد الله الألهي في قرية سيماو إحدى قرى الأناضول ارتحل إلى استانبول بعدما حصل علوماً كثيرة فيها رحل إلى خراسان وأتم تحصيله للعلم على يد مولانا عائل الطوسي ثم مضى إلى سمرقند وأكمل سلوك الطريق الصوفي على يد عبيد الله أحرار ثم ذهب إلى بخارى ونهل من علم بهاء الدين نقشبند ثم عاد أدراجه إلى استانبول حيث عمل بالتدريس في مدرسة "واردار بينجه سي" التي

^١ انظر النقشبندية نشأتها ص ١١ - ١٢

أمر بإنشائها غازي أفرانوس زاده في سلانينك، عاونه خليفته حسيني أمير أحمد بخاري في تدريس العلوم الدينية آنذاك وبذلا ما في وسعهما من جهد لنشر الطريقة النقشبندية. توفى عبد الله الإلهي في بلدة واردار عام ٨٩٦ هجريا كما لحق بره أمير أحمد بخاري عام ٩٢٢ هجريا في استانبول، ودفن في التكية التي تقع في الجهة الغربية من جامع الفاتح.

جاء حيدر بابا في إثره، وبذل جهده لنشر النقشبندية على عهد السلطان سليمان القانوني وفي رأي أنها دخلت الأناضول للمرة الأولى على يد عبد الله الألهي الذي اشتهر ب"ملا إلهي" كما أن التكية النقشبندية شيدت بسيامو، وهي من ضواحي مدينة الكداهية، يقال إنها شيدت في مدينة آماسيا عام ١٤٠٤/١٤٠٥ م على الأراضي العثمانية وسميت بتكية محمود شلبي. كان أول من عين شيخا لها ركن الدين محمود البخاري، يعد أحد خلفاء شاه نقشبند. كما ورد في هذا الصدد أن النقشبندية التي أسسها بهاء الدين نقشبند، لها سلاسل تتصل بأبي بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما.

وازدهرت هذه الطريقة في المجتمع العثماني منذ أواخر عصر السلطان محمد الفاتح، هذا نقلا عن مؤلف بعنوان "عثمان بابا ولايت نامه سي"، أفاد فيه مؤلفه أنه كان يوجد للنقشبندية في هذه الفترة تكية بمدينة آق سراى وهي تقع في وسط الأناضول على مقربة من مدينة قونيا.

أن السلطان محمد الفاتح أولى أتباع النقشبندية بالغ اهتمامه حينما كانوا يعيشون بعيدا عن مناطق حكمه، فقام بدعوة كبار شيوخهم من أمثال نور الدين عبد الرحمن الجامي وعبيد الله أحرار وأمر بحمايتهم وتولى رعايتهم ليعاونوه بصد التهديد الشيعي من جانب الإيرانيين والحد من نشر عقائدهم بين الترك أهل السنة والجماعة .

أن النقشبندية لم تكن تتجاوز حدود العاصمة العثمانية استانبول في أول نشأتها حتى ظهور الخالدين .

وأول أثر من آثار النقشبندية في مدينة استانبول. يرجع إلى الجهود التي بذلها عبد الله الإلهي وخلفاؤه الخمسة الذين جاءوا في إثره وهم: أحمد البخاري وعابد شلي ولطف الله الأسكوبي وبدر الدين بابا ومصالح الدين الطويل حيث استطاع مصالح الدين الطويل أن يقنع أبي يزيد بن السلطان محمد الفاتح بالانتساب للطريقة، ومن ثم عرف ب"الصوفي أبي يزيد الولي".

وبذل عابد شلي ما وسعه من جهد للتأليف بين النقشبندية والملامية إلا أن ترسيخ دعائم النقشبندية الأحرارية بمدينة استانبول في تلك المرحلة إنما تحقق بجهود أحمد البخاري الذي يعد من أبرز خلفاء عبد الله الإلهي وهو في الحقيقة الأمر زميله ورفيقه الذي ارتحل معه الى سمر قند وانخرط معا في سلك النقشبندية.

ومن الواضح أن عبيد الله أحرار أخضعه لأوامر عبد الله الإلهي عندما كلفهما بنشر طريقته في استانبول، فلما عزم عبد الله الإلهي الرحيل إلى المناطق الغربية من الدول العثمانية لكي ينشر الطريقة النقشبندية ويروج لها، استخلفه في استانبول وأسند له رعاية الطريقة.

ومن ثم ظهرت النقشبندية بزي جديد عرفت تحت لوائه ب"مجددية"، وعمت شهرتها أرجاء استانبول على يد من يدعي مراد بن علي بن داود الأزيكي أحد خلفاء معصوم الفاروقي، ورغم إعاقته في قدميه، إلا إنه طاف أهم العواصم الإسلامية، ووافته المنية عام ١٧٢٠م)^١

ثالثاً النقشبندية الخالدية :

دخلت النقشبندية مرحلتها الثالثة حسب تطورها التاريخي.

^١ انظر النقشبندية نشأتها ص ١٩ - ٢١

(تنسب النقشبندية في هذه المرحلة إلى خالد البغدادي، وتذكر المصادر التركية أن خالد البغدادي ، يتصل إلى عثمان بن عفان نسباً وإلى الإمام على بن أبي طالب حسباً، ولد في قرية قه داغ من أعمال السليمانية عام ١١٩٢م. كان من أبرز علماء عصره سيد عبد الكريم برزنجي في مدينة السليمانية، ومُجد الكذبري في الشام، اشتهر كل منهما بمؤلفاته في علوم التفسير والحديث، وقرض الشعر. أسند مصطفى الكردي القادري في دمشق خلافة الطريقة القادرية إليه في العراق، ارتحل خالد البغدادي من العراق إلى الهند عام ١٢٢هـ جرية، إبان الاحتلال الإنجليزي للهند ولما قابل عبد الله الدهلوي شيخ الطريقة النقشبندية في الهند، أشرقت شمس المعرفة في قلبه. وعُرفت تلك المرحلة في تاريخ الطريقة النقشبندية بالنقشبندية الخالدية نسبة له وكان لها ازدهار حيث بلغت أوج تطورها. حالف الحظ البغدادي حيث أرسى معالم الطريقة النقشبندية الخالدية بعدما أشرق العلم المعنوي في قلبه، وهو علم الصوفية الذي يتلقاه الصوفي عن طريق الإلهام بعد تصفيه القلب مما سوى الله. أجاز له عبد الله الدهلوي مشيخة الطريقة، وإقامة طقوس الطريقة النقشبندية الخالدية قائلاً له: "أن خالد النقشبندي لم يدانيه غيره من طلاب العلم الصوفي، قدم إليه من الكردستان لإعلاء شأن النقشبندية الخالدية، فجعلته في صدارة علماء الدين، إنه قضى في خلوته عشرة شهور، هجر عاداته وحظوظ نفسه، وسعى سعياً حثيثاً على مداومة ذكر الله الذي زين فؤاده، وبفضل الله وبحمده أتم سلوكه الطريق الروحي على يد كبار الشيوخ، ونال رعايتهم وقبولهم إياه، وعلا ذكره لديهم. وحالفه التوفيق كما استطاع بعون الله أن يمحو وجوده ويفنى في الله ويبقى بالله بإصلاح لطائفه. فأصبح جسده مفعماً بمشاهدة الأنوار اللطيفة. ونحن إذ بصدد إعلام الخلائق بميئته الوجدانية" ويشهد هنا عبد الله الدهلوي برفقته الروحي واجتيازيه

مراحل سلوكية معينة أهلته لرئاسة النقشبندية في بلاد الشام. فثمة رباط مقدس يربط شيوخ النقشبندية في سائر الأنحاء ألا وهو العلم الصوفي.

ولما عاد خالد النقشبندي من الهند بدأ يروج لركن جديد للطريقة يعرف بالرابطة ولم يكن شيئاً معروفاً في الطرق الصوفية التي انتشرت في المملكة العثمانية مما أثار ضجة هائلة في سائر البلاد. وتحققت الشهرة للخالدية وأصبح أساس طريقتهم ما يعرف بالرابطة وتعني ربط قلوبهم بالله وتعلقها به، فهم يولون وجوههم إلى الله تجاه القبلة أينما كانوا، ويقرأون سورة الإخلاص والشرح أولاً ثم يبدأون بذكر الله في القلب أي بلا صوت ولا كلام لأنهم يجذبون الذكر القلبي عن الذكر الجهري. ويذهبون إلى أنهم بهذا الذكر يتولد النور في قلوبهم فهي منصرفة إلى ذكر الله على الدوام ولا يسبحون بذكرٍ سوى بذكر اسم الذات و من أعماق قلوبهم. ثم يتلون ما تيسر من آي الذكر الحكيم وينشدون بعض الإلهيات وهي نمط من الشعر الديني يناجون فيه المولى عز وجل يؤديها منشدهم بأداء يهز القلوب ويحرك المشاعر ويقع في النفس موقعا حسنا بدون ان يستعملوا أي من أدوات الطرب ، ويوصي شيوخهم المریدین بصحبة العلماء والصالحين، ويجذبون ارتداء ملابسهم التقليدية التي أصبحت عرفاً لديهم.

وبعد النهج الجديد للنقشبندية وانتشار روح الزهد والتقوى قلت أحداث السرقة والنهب والقتل وساد الهدوء والأمان في المنطقة الكردية في العراق. واختفت الجرائم أو قللت بتأثير خالد البغدادي وطريقته النقشبندية الخالدية. ويذهب الباحث إلى أن هذا الذكر الذي يعرف بالرابطة له أثره العميق في تهدئة الأعصاب وقتل نوازع الشر والعدوان في النفس البشرية.

والظاهر أنه ما من شيخ من شيوخهم يهتم بتطبيق الرابطة إلا وارتفع شأنه وذاع صيته ودامت المشيخة في أسرته تتوارثها جيلا بعد جيل¹

¹ انظر النقشبندية نشأتها ص ٢٢ - ٢٦

مراتب النفس عند النقشبندية :^١

وللنفس سبع مراتب في عقيدتهم، حسب تأثرها بالمجاهدات، وهي:

النفس الأمارة

تميل للشهوات وترغب في اللذات وتجذب القلب للأسفل وهي منبع للشر والأخلاق الذميمة مثل الحقد والحرص والحسد والغضب والبخل.

النفس اللوامة

تنورت بنور القلب فهي تارة تقترف المعاصي ثم تندم وتلوم نفسها وهي منبع الندامة لأنها منبع الهوى وتتصف بالحرص.

النفس المطمئنة

تخلت عن صفاتها الذميمة ووصلت للكمالات انتقل صاحبها من التلويح إلى التمكين يخاطب الناس عن بعد لتعلقه بالحق تعالى.

النفس الملهممة

أهمها الله تعالى العلم والتواضع والقناعة والسخاء هي منبع الصبر والتحمل والشكر.

النفس الراضية

رضيت عن الله وتحقق فيها قوله تعالى: " ورضوا عنه " وشأنها في هذا التسليم والتلذذ بالحيرة.

النفس المرضية

رضي الله تعالى عنها ويبدو فيها أثر رضاه وهي منبع الكرامة والإخلاص والذكر ويقال إن السالك في هذه المرتبة يضع الخطوة الأولى في معرفة الله تعالى ويظهر فيها تجلي الأفعال.

^١ انظر النقشبندية نشأتها ص ٥٠ - ٥١

النفس الكاملة

صارت للكمالات طبعاً وسجية ولا زالت ترتقي في الكمال وتؤمر بالرجوع للعباد لإرشادهم وتكميلهم ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات حالها البقاء بالله تسير بالله إلى الله وترجع من الله إلى الله ليس لها من مؤي سواه تستقي علومها منه تعالى .

مناطق انتشار الطريقة :

كانت الطريقة مقصورة الانتشار في بخارى وما جاورها لكونها المدينة التي عاش فيها مؤسسها نقشبند، ثم انتشرت في بلاد الشام بعد ذلك عن طريق الشيخ خالد النقشبندي بعد أن تلقى الطريقة من الشيخ عبد الله الدهلوي .

تنتشر الطريقة النقشبندية في أماكن كثيرة خصوصاً في بلاد القوقاز وبخاري وسمرقند وتركمان -وهي صحراء في الاتحاد السوفياتي-، وشبه القارة الهندية سابقاً حيث أن سادات الطريقة النقشبندية من تلك البلاد. كما تنتشر الطريقة في معظم البلاد العربية خصوصاً في بلاد الشام والعراق .

من خلال الاطلاع على كتب الطريقة النقشبندية ومؤلفات شيوخها وعلمائها يتبين ان النقشبندية مرت بمراحل عدة اطلقت عليها تسميات مختلفة باختلاف شيوخها .

فكان لكل مرحلة طبيعتها ومميزاتها ، حيث احدث شيوخها تطوراً ملحوظاً في الطريقة ، ونهل من ينابيع المعرفة ، لذا فثمة سعة في الأفق والفكر النقشبندي .

السلسلة النقشبندية :

ان سلسلة النقشبندية تنتهي الى حضرة النبي ﷺ ، وهي تنقسم الى ثلاثة فروع هي :¹

¹ النقشبندية نشأتها ص ٣٣ - ٣٤

الفرع الأول :

- يبدأ من سيدنا رسول الله ﷺ
- سيدنا علي رضي الله عنه . (ت ٤٠ هـ ، ٦٦٠ م)
- سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه (ت ٦٠ هـ ، ٦٨٠ م)
- سيدنا زين العابدين رضي الله عنه (ت ٧٥ هـ ، ٦٩٤ م)
- سيدنا محمد الباقر رضي الله عنه (ت ١١٤ هـ ، ٧٣٢ - ٧٣٣ م)

الفرع الثاني :

يذهب شيوخ هذا الفرع من النقشبندية ان سلسلة مشايخهم تبدأ من :

- سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه (ت ١٣ هـ ، ٦٣٤ م)
- سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت ٣٥ هـ ، ٦٥٥ م)
- ويتحد الفرعان عند الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه (ت ١٤٨ هـ ، ٧٦٥ م)
- أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه (ت ٢٦١ هـ ، ٨٧٥ م)
- أبي الحسن الخرقاني (ت ٤١٩ هـ ، ١٠٢٨ م)

الفرع الثالث :

- سيدنا علي رضي الله عنه (ت ٤٠ هـ ، ٦٦٠ م)
- الحسن البصري رضي الله عنه (ت ١١٠ هـ ، ٧٢٨ - ٧٢٩ م)
- حبيب العجمي رضي الله عنه (ت ١٥٠ هـ ، ٧٦٧ م)
- داود الطائي رضي الله عنه (ت ١٨٤ هـ ، ٨٠٠ - ٨٠١ م)
- معروف الكرخي رضي الله عنه (ت ٢٠٠ هـ ، ٨١٥ م)
- سري السقطي رضي الله عنه (ت ٥٢٣ هـ ، ٨٦٧ م)
- الجنيد البغدادي رضي الله عنه (ت ٢٩٨ هـ ، ٩١٠ م)
- ابو علي الروزباري رضي الله عنه
- ابو علي الكاتب رضي الله عنه (ت ٣٢١ هـ ، ٩٣٣ م)

- ابو عثمان المغربي رحمته الله (ت ٣٧٣ هـ ، ٩٨٣ م)
- ابو قاسم الكوركاني رحمته الله (ت ٤٥٠ هـ ، ١٠٥٨ م)
- وتستمر السلسلة بعد كبار السادة النقشبندية على النحو التالي :
- يوسف الحمداني رحمته الله (ت ٥٣٥ هـ ، ١١٤٠ - ١١٤١ م)
- عبد الخالق العجدواني رحمته الله (ت ٦١٧ هـ ، ٢٢٠ - ١٢٢١ م)
- خواجه عارف الريكوري رحمته الله (ت ٦٤٩ هـ ، ١٢٥١ م)
- مُحمَّد انجير فغنوي رحمته الله (ت ٦٧٠ هـ ، ١٢٧١ م)
- علي راميتيني رحمته الله (ت ٧٠٥ هـ ، ١٣٠٥ م)
- مُحمَّد بابا السماسي رحمته الله (ت ٧٤٠ هـ ، ١٣٣٩ م)
- سيد امير كلال رحمته الله (ت ٧٧٧ هـ ، ١٣٧٥ م)
- بهاء الدين نقشبند رحمته الله (ت ٧٩١ هـ ، ١٣٨٩ م)
- مُحمَّد علاء الدين العطار رحمته الله (ت ٨٠٢ هـ ، ١٣٩٩ م)
- مولانا يعقوب الجرحي رحمته الله (ت ٨٤٧ هـ ، ١٤٤٣ م)
- عبيد الله الطشقندي رحمته الله (ت ٨٩٥ هـ ، ١٤٩٠ م)
- مُحمَّد بارسا رحمته الله (ت ٩٢٢ هـ ، ١٥١٧ م)
- درويش مُحمَّد رحمته الله (ت ٩٧٠ هـ ، ١٥٦٢ م)
- خواجه مُحمَّد أمكنكي رحمته الله (ت ١٠٠٨ هـ ، ١٥٩٩ م)
- مُحمَّد الباقي بالله رحمته الله (ت ١٠١٤ هـ ، ١٦٠٥ م)
- الإمام الرباني رحمته الله (ت ١٠٣٤ هـ ، ١٦٢٥ م)
- مُحمَّد المعصوم رحمته الله (ت ١٠٩٨ هـ ، ١٦٨٧ م)
- سيف الدين فاروقي رحمته الله (ت ١١٠٠ هـ ، ١٦٨٩ م)
- مُحمَّد بدواني رحمته الله (ت ١١٣٥ هـ ، ١٧٢٣ م)
- شمس الدين حبيب الله رحمته الله (ت ١١٩٥ هـ ، ١٧٨١ م)

- عبد الله دهلوي رحمته الله (ت ١٢٤٠ هـ ، ١٨٢٥ م)

- خالد البغدادي رحمته الله (ت ١٢٤٢ هـ ، ١٨٢٦ م)

الصلاة المنسوبة الى الشيخ مُحَمَّدُ بهاء الدين النقشبند رحمه الله تعالى :

تنسب للشيخ صلاتين ، هما :

الصلاة الأولى

يَا نُورَ الْأَنْوَارِ يَا لَطِيفُ يَا سِتَّارُ نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نِيرَاسِ
الْأَنْبِيَاءِ وَنَبِيِّ الْأَوْلِيَاءِ وَرَبِّرَقَانِ الْأَصْفِيَاءِ وَيُوحِ الثَّقَلَيْنِ وَضِيَاءِ الْخَافِقِينَ وَأَنْ تَرْفَعُ
وَجُودَنَا إِلَى فَلَكَ الْعَرْفَانَ وَأَنْ تُثَبِّتَ شُهُودَنَا فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ .

الصلاة الثانية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ السَّابِقِ إِلَى الْأَنْتَامِ نُورُهُ وَرَحْمَتُهُ لِلْعَالَمِينَ ظُهُورُهُ
عَدَدَ مَنْ مَضَى مِنَ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ بَقِيَ وَمَنْ سَعَدَ مِنْهُمْ وَمَنْ شَقِيَ صَلَاةً تَسْتَعْرِقُ
الْعَدَّ وَتُحِيطُ بِالْحَدِّ صَلَاةً لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا انْتِهَاءَ وَلَا أَمَدَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ صَلَوَتِكَ
الَّتِي صَلَّيْتَ بِهَا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَعْتَرَتِهِ مِثْلَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ^١

ووردت عن الشيخ خالد النقشبندي مجدد الطريقة النقشبندية صلاة على النبي

صلواته ، وصيغتها :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ كُلِّ ذَاٍ وَدَوَائِ
وَبَارِكْ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كَثِيرًا كَثِيرًا .

وتسمى هذه الصلاة بالصلاة بالنقشبندية

^١ الصلاتين والتي بعدها وردت في كتاب الفتح المبين ص ١٠٤ - ١٠٥

١١ . السهروردية

شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي

(٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ)

الطريقة السهروردية ، أحد الطرق الصوفية ، تأسست على يد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي .

هو الإمام العالم الزاهد المحدث ، شيخ الإسلام ، شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق، السهروردي^١ البغدادي الشافعي الصوفي .

(جمع بين الحقيقة والشريعة ، والورع ، والرياضة ، والتسليك)^٢

اسمه :

هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله - وهو عمويه - بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيها عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي^٣ مولده وأخذه العلم :

ولد في رجب سنة ٥٣٩ هـ وقدم من سهرورد، فصحب عمه أبا النجيب ولازمه وأخذ عنه الفقه والوعظ والتصوف، وصحب قليلاً عبد القادر الجيلاني، وفي

^١ نسبة إلى سُهرورد، وهي بلدة بين زنجان وهمدان، انظر معجم البلدان ٢٨٩/٣،

والمشهورون بمذهبه النسبة ثلاثة، وهم الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣ هـ، وهو عم شيخنا، وأبو الفتح يحيى السهروردي الحلبي المقتول سنة ٥٨٧ هـ، وأبو حفص شهاب الدين الشيخ صاحب الطريقة .

^٢ طبقات الأولياء ص ٢٦٢

^٣ سير اعلام النبلاء

البصرة صاحب أبا مُحمَّد بن عبد. وسمع من هبة الله بن أحمد الشبلي، وأبي الفتح ابن البطي، وخزيفة بن الهاطرا، وأبي الفتوح الطائي، وأبي زرعة المقدسي، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن المقرب، ويحيى بن ثابت. وانتشر تلامذته في أرجاء المعمورة شرقا وغربا وبالذات الديار الهندية كدعاة للإسلام على منهج التصوف القادري السهروردي^١

وبعد ان (رأى جملة من الشيوخ، وحصلَ طرفًا صالحًا من الفقه والخلاف، حدّث ببغداد، ومكة ودمشق)^٢

قال ابن النجار: كان شيخ وقته في علم الحقيقة، وطريقة التصوف، وإليه انتهت الرئاسة في تربية المريدين، وتسليك طريق العبادة والزهد في الدنيا^٣

وكان مليح الخلق والخلق، متواضعاً جامعاً للمكارم. ما للمال عند قدر، لو حصل منه ألوف فرقتها. ومات ولم يخلف كفنًا، ولا شيئاً من أسباب الدنيا^٤

حياته :

بعد ان حصل من العلوم والمعارف ما شاء له الله ، وبعد أن صحب من الشيوخ من صحب ، حببت اليه الخلوة والعبادة بعيداً عن الناس ، فلازم الشيخ شهاب الدين السهروردي الخلوة والذكر والصوم إلى أن خطر له عند علو سنّه أن يظهر للناس ويتكلم، فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه، فكان يتكلم بكلام مفيد من غير تزويق، ويحضر عنده خلق عظيم، وظهر له القبول من الخاص والعام، واشتهر اسمه، وقُصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة، فتباؤا، ووصل به خلق إلى الله، وصار أصحابه كالنجوم، وَنُقِدَ رسولا

^١ بين سير و طير ص ٢٣

^٢ التكملة ٣/٣٨٠

^٣ المستفاد ١٩/٢٠٩

^٤ طبقات الأولياء ص ٢٦٥

إلى الشام مرات، وإلى السلطان حُوَارِزْمِ شَاه، ورأى من الجاه والحرمة ما لم يره أحد، وانتهت إليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشیخة العراق ، (وكان شیخ الشیوخ ببغداد، أنشد يوماً في مجلسه على الكرسي:

لا تسقني وحدي فما عودتني أُنِّي أشحُّ بها على جُلَّاسِي
أنت الكريم ولا يليق تكزُّماً أن يعبرَ الندماءُ دورَ الكاسِ
فتواجد الناس لذلك، وتاب جمع كبير من الحضور.

كُفَّ بصره في آخر عمره، وأُقْعِدَ، ومع ذلك فما أخل بشيء من أوراده.

وكان رحمه الله شاعراً ، ومن شعره :

ربيع الحمى مذ حللت معشب نضر ومن أهابه يزهو بها النظر
لا كان وادي الغضا لا تنزلون به ولا الحمى سح في أرجائه مطر
ولا الرياح، وإن رقت نسائهما إن لم تفد نسرکم لا ضمها سحر
ولا خلت مهجتي تشكو رسيس جوى حر قلبي بریا حبکم عطر
ولا رفات عبرتي حتى تكون لمن ذاق الهوى وضنى، في عبرتي عبر^١

مكانته وثناء العلماء عليه:

كان رحمه الله شيخ شيوخ العراق في زمانه ، واحتلَّ منزلة عظيمة عند الخليفة الناصر لدين الله ، وأصبح مقصد الناس .

◆ يقول ابن النجار: «وظهر له قبولٌ عظيم من الخاص والعام، واشتهر اسمه وقصده المريدون»^٢

◆ ويقول عنه أيضاً :

(كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة ، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين ، ودعاء الخلق إلى الله ، والتسليك ... وكان تام المروءة، كبير النفس،

^١ طبقات الأولياء ص ٢٦٤

^٢ ذيل تاريخ بغداد ٢٠٩/١٩

ليس للمال عنده قدر، لقد حصل له ألوف كثيرة، فلم يدخر شيئاً، ومات ولم يُخْلَفَ كفنًا، وكان مليح الخلق والخلق، متواضعاً، كامل الأوصاف الجميلة ^١ ◆ وقال ابن نقطه : كان شيخ العراق في وقته، صاحب مجاهدة وإيثار، وطرق جيدة ^٢

◆ وقال الذهبي : (الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحده الصوفية) ^٣

◆ وقال أيضاً : ولم يُخْلَفَ بعده مثله ^٤

◆ قال ابن خَلِّكان : رأيت جماعةً ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه، كجاري عادة الصوفية، فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها وما يجدونه من الأحوال الخارقة، وكان قد وصل رسولاً إلى إربل من جهة الديوان العزيز، وعقد بها مجلس وعظ، ولم تتفق لي رؤيته ؛ لصغر السن .

◆ قال عنه النبهاني: كان أحد رجال العراق ممن انتهت إليه رئاسة هذا الشأن، وكان عالماً فاضلاً لبيباً أديباً ذا فصاحة ومعرفة، أُعْطِيَ طرفاً من العلم الشريف اللدني، وكان يتكلم على المغيبات، ذا كرامات خارقات، متمسكاً بالكتاب والسنة، مُجتهداً في أحكام الشريعة ومقام الحقيقة .

◆ وقال ابن كثير : كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين، وتردد في الرِّسَالِيَّةِ بين الخلفاء والملوك مراراً، وَحُصِّلَتْ له أموال جزيلة، ففرقها بين الفقراء والمحتاجين ... وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين وإعانة للمحتاجين، وأمر

^١ سير اعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣/ رقم ٢٣٩

^٢ التقييد ١٨٣/٢

^٣ سير اعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣/ رقم ٢٣٩

^٤ العبر ٢١٣/٣

بالمعروف ونهي عن منكر، وكان يعظ الناس وعليه ثياب البُدلة^١
♦ وقال ابن الدُبَيْثِيِّ: قدم بغداد، وكان له في الطريقة قدم ثابت ولسان ناطق
، وولي عدة رُبطٍ للصوفية، وَنُقِدَ رسولاً إلى عدة جهات^٢

مؤلفات الشيخ وكتبه :

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما تم تحقيقه ومنها ما ينتظر، ومنها ما طُبِعَ وبعضها
ينتظر، وسنورد بعضاً من مؤلفات الشيخ :

١ عوارف المعارف: كتاب في التصوف، ذكر فيه من علومهم التَّالِدَ والطَّارِفَ.
وهذا الكتاب من أشهر كتب السهروردي وبه يتميز عن غيره فيقال
«السهروردي صاحب عوارف المعارف».

تضمن الكتاب ثلاثة وستين باباً، قصد منه المؤلف كما نبه على ذلك بقوله (
إيثاري لهدي هؤلاء القوم، ومحبي لهم علماً بشرف حالهم، وصحة طريقتهم
المبنية على الكتاب والسنة... حداني أن أذبَّ عن هذه العصابة بهذه الصبابة،
وأؤلف أبواباً في الحقائق والآداب...)^٣

٢ كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية.

٣ جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب.

تصوف السُّهروردي :

كان شهاب الدين السهروردي من مشايخ الصوفية في عصره، وكباقي رجال
التصوف وشيوخه كان يؤكِّد لتلاميذه على ضرورة مطابقة السلوك لما جاء في
الكتاب والسنة، فالكتاب الكريم والسنة المطهرة هي الأساس الذي ينطلق منه

^١ البداية والنهاية ١٧ / ٢٠٣

^٢ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير ١٣ / ٥٢٤

^٣ عوارف ص ٨

فهم التصوف ومعرفته حدوده تفصيلاته .

ونجده في كتابه (كشف الفضائح اليونانية) يتجلى توجهه جلياً ، فقد نصّر على ضرورة الاعتماد على الكتاب والسنة، وأن الطريق الى الله هو في متابعة الرسول ﷺ .

وفي هذا الكتاب أراد الشيخ الرد على من شغف بمطالعة كتب الفلاسفة.. واستدبر الشريعة واستهان بالعلوم المستنبطة من الأحاديث والقرآن... وإظهار وهن الفلسفة اليونانية وكشف وهنها .

وقد ألف السهروردي هذا الكتاب قبل وفاته بإحدى عشر سنة (٦٢١هـ) وقد أملاه على أحد تلاميذه .

كما ينتقد الشيخ وبوضوح وبصراحة من ينتمي للصوفية وليس منهم التزاماً وسلوكاً^١، ومن يتهاون بحدود الشرع^٢ .

ولهذا يقول عنه ابن تيمية: شهاب الدين السهروردي هو أيضاً من أجلاء المشايخ وأكثرهم حرصاً على متابعة السنة في أعمالهم.^٣

ويقول أيضاً: ... فإن شهاب الدين شيخ مسلم محبٌ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، سالكٌ طريقة أمثاله من المشايخ أهل المعرفة والدين، عظيمُ القدر في وقته^٤

مصادر الشيخ السهروردي ومنهجه في الاستدلال والرد على المخالفين:

أ - اعتمد الإمام السهروردي في مسائل العقيدة على الوحيين الكتاب والسنة

^١ عوارف ص ٧٧

^٢ عوارف ص ٧٨

^٣ جامع المسائل ٣٩٣/٥

^٤ جامع المسائل ٣٩٤/٥

وأكد على ذلك في غير موضع في ثنايا كتبه، وهذه منقبة له رحمه الله، فمن ذلك الباب الأول من كتاب «كشف الفضائح» والذي جاء عنوانه: (في بيان أن التمسك بالكتاب والسنة توفيق وسعادة، والعدول عنهما خذلان وشقاوة)^١

ويقول : فما بالك أيها المسلم الذي وُلِدَ في الإسلام، تترك متابعة رسول الله ﷺ، والاقترداء بأصحابه الذين دبروا أمر الدنيا والآخرة بعقولهم الرزينة وآرائهم الرضية، أنظن أنهم اختاروا متابعة رسول الله ﷺ لقصور في العلم ...^٢

وقوله فيمن ترك علوم الشريعة وشغف بمطالعة كتب الفلاسفة «... ألم يكن في علوم القرآن والحديث والمستنبط منهما والمعين على فهمهما لهم مهاجر، وفي متابعة رسول الله ﷺ لهم مراح ومناجر...»^٣

وفي مقدمة كتاب «أعلام الهدى»: «فمن أراد العقيدة الصحيحة من كل عيب ووعوار فعلية باقتفاء تلك الآثار...»^٤

ويقول: «فأوفر الناس حظًا من الصحة والقرب والعبودية أوفرهم حظًا من متابعة رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وفي آخر الفصل الثامن يقول: «فعليك بحسن الاقتداء»^٥

ويقول في نفس الكتاب : وكل الطريق غير متابعته مسدودة وكل الدعوات غير دعوة رسالته مردودة^٦

^١ كشف الفضائح ص ٧٣

^٢ كشف الفضائح ص ١١٨

^٣ كشف الفضائح، ص ٧٠

^٤ ص ٢٦٨

^٥ ص ٢٧٨، ٢٧٩

^٦ ص ٢٧٨

ب - تقديم النقل على العقل:

◆ يقول في معرض ذكر منشأ البدع والضلالات.

(فأولُّ من تحرك فيه عرقُ البدعة والجدال، ونبع من معين جبلته مياه الضلال: إبليس، فقال للملائكة في معرض الجدال مستبداً برأيه راکناً إلى قياسه عاملاً به مع وجود النص، معرضاً عن امتثال أمر الله بالسجود لآدم..)^١
ويقول في موضع آخر مبيناً سبب هلاك الفلاسفة الجاهلون لعالم الغيب «عدمُ الإيمان به المؤدي بهم ذلك إلى إنكار العلوم الأخروية ثم إلى إنكار النبوات كل ذلك لكونهم إلى العقل الذي لم يكتحل بنور الشرع...»^٢

وفاته رحمه الله تعالى :

أضّرَّ الشيخ في آخر عمره، وكبر سنه حتى جاوز التسعين، وكان مع كبر سنّه كثير العبادة، وأقعد في آخر عمره، وكان يُحمل إلى الجامع ويحضر جنازات الصالحين...، إلى أن تُوفي ببغداد في مستهل المحرم ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م .
ودفن في المقبرة الوردية، وبني على قبره قبة على شكل منارة مخروطية الشكل على طراز القبة السلجوقية ، وبني مسجد كبير بجواره سمي باسمه وهو جامع الشيخ عمر .

^١ كشف الفضائح ص ٩٠

^٢ كشف الفضائح، ص ١٤٢

١٢ . الطريقة التجانية

مؤسس هذه الطريقة الولي العارف بالله أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المختار ابن أحمد بن مُحَمَّد سالم بن احمد بن احمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن ادريس بن ادريس بن اسحاق بن علي زين العابدين بن احمد بن مُحَمَّد بن الحسن المثنى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء اهل الجنة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^١

فهو شريف النسب صاحب الفتح الأكبر والمقام الأفخم ، القطب المكتوم ، والإمام الأعظم .

قيل له : أؤكد عليك ؟

قال : نعم ، اذا سمعتم عني شيئاً ، فزنوه بميزان الشرع ، فإن وافق ، فاعملوا به ، وان خالف فاتركوه .

فلولا إتباع الشرع ما وصل من وصل ، ومن ترك الأصول حرم الوصول .

كانت طريقته التوحيد وصفاً ، وحكماً ، وحلاً ، وتحقيقاً للشرع ، ظاهراً وباطناً ، بقلب فارغ ، وكون غائب ، ومشاهدة رب خاص ، بسريرة لا تجاذبها الشكوك و سر لا تنازعه الأغيار^٢

النشأة والنسب :

ولد الشيخ احمد التيجاني رحمه الله عام خمسين ومائة وألف ١١٥٠ هجرية ١٧٣٧ ميلادية ، ببلدة عين ماضي بالجزائر مقر أسلافه ، فجدّه الرابع سيدي مُحَمَّد بن سالم انتقل من قبيلة عبدة مع أسرته ، وموطنها المغرب الأقصى الى بني تجانة ، وتزوج منهم وصار أولاده وأحفاده يُعرفون بالتجانيين .

^١ النور في الطريقة التجانية ص ١١

^٢ انظر النور في الطريقة التجانية ص ١٢

كانت لعين ماضي اهمية علمية كبيرة ، اذ قام العلماء الأشراف الوافدين من المغرب بفتح الزوايا والرباطات العلمية ، وكان لآباء واجداد الشيخ التجاني رحمته الله باع طويل في نشر الإسلام وتعاليمه الروحية والعلمية في هذه البلاد ، ومنها الى بلاد شمال افريقيا والصحراء ووسط افريقيا .

ومما يؤكد علو كعب اسرته رحمته الله في العلم والمعرفة ، ما ذكره التاريخ من السيد رحمته الله بن مختار - ابا الشيخ احمد التجاني - رضي الله عنهما كان شيخاً كبيراً لزواية عظيمة في عين ماضي ... ووصفه سيدي علي حازم رحمته الله بأنه شيخ الإسلام وملاذ الأنام .

أما أمه رحمته الله فهي عائشة بنت الولي الجليل سيدي رحمته الله السنوسي التجاني الماضي ، يذكر لها الصلاح والمكانة العالية والمرتبة السنية .

أما اخوه السيد رحمته الله المكّي باين عمر فكان عالماً حافظاً للقران ، مشاركاً في علوم الشريعة ، متقناً لعلوم الفرائض .

أما جده الثالث ، فهو احمد بن رحمته الله رضي الله عنهما ، العلامة ، عالم العلماء وأمير الأمراء صاحب الحال القوي والنور السني .

أما جده الرابع فهو رحمته الله بن سالم رضي الله عنهما الشيخ المكين ذو النور اللائح والجذب الواضح حتى انه اذا خرج الى المسجد يتبرقع فلا يُرى وجهه الا اذا دخل المسجد ... ثم اذا رجع الى بيته عاد الى ستر وجهه حتى يدخل خلوته .

وكان الشيخ احمد التجاني أوسط الأبناء لإمه وابيه ، ونشأ بين ابوين صالحين شريفين ، نشأة عفاف وصلاح .¹

حياته :

(كان رحمته الله كريم الأخلاق والخلال ، طيب النفس والفعال ، كثير الحياء والأدب

حسن السمات ، طويل الصمت ، كثير القراءة ، معتاداً على التلاوة ، يعلوه

¹ انظر النور في الطريقة التجانية ص ١٧ - ١٩

الوقار اذا سكت والهيبة اذا نطق .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين برواية ورش على يد العلامة المقرئ مُحَمَّد بن حمو التجاني المازوني .

ظل يتعلم العلوم الأصولية والأدبية ، واستمر في طلب العلم ببلاده حتى بلغ القدرة على التدريس والافتاء ، قبل ان يرحل رحلته الأولى الى فاس ، ثم ما لبث وهو في عين ماضي ان مال الى الزهد والانعزال والتأمل ، كما حبب اليه التعبد وقيام الليل .

وحين بلغ سن الرشيد صار يداً على الله ، وينصح عباده وينصر سنة رسول الله ﷺ حتى لقب بمحي الدين .

ثم صار خليفة لوالده على الزاوية، رغم صغر سنه ، اذ كان في السادسة عشر من عمره .

واستمر يدرّس القرآن والسنة النبوية في زاوية والده خمس سنوات .

ولما بلغ الواحد والعشرين من عمره أي في عام ١١٧١ هجرية ١٧٥٨ ميلادية رحل الى فاس (المدينة الادريسية) فأخذ يحضر مجالس العلم في التفسير والحديث والفقهاء ، وحصل فيها على اجازات ، ودرس القراءات السبع المتواترة في جبل العلم)^١

لقاءه بشيوخ التصوف في عصره :

(التقى في مدينة وژان بالعارف مولاي الطيب بن سيدي مُحَمَّد بن مولاي عبد الله الوزّاني وكان شيخاً للطريقة الوزانية ، وأذن له مولاي الطيب في تلقين طريقته ، ولكنه امتنع .

كما التقى في جبل الزيبب بالعارف سيدي مُحَمَّد بن الحسن النجلي ، وأخبره بأنه سيدرك مقام القطب الكبير ابي الحسن الشاذلي رحمته الله ، وأشار عليه بالرجوع الى

^١ انظر النور في الطريقة التجانية ص ١٨ - ٢٠

بلاده .

وفي مدينة فاس التقى بالولي الصالح سيدي عبد الله بن سيدي العربي المعنى الأندلسي ، وتكلم معه في امور عدة ، ودعا له دعاء كثيرا .

وفي تازة أخذ عن الولي الصالح الملامتي سيدي احمد الطواش ولقنه اسماً وطلب منه لزوم الخلوة والوحدة والصبر حتى يفتح الله عليه .

ثم أخذ الطريقة القادرية بفاس لكنه ما لبث ان تخلى عنها .

وتعرّف على الطريقة الناصرية عند لقائه بالشيخ سيدي احمد عبد الله التزاني ، ثم تركها بعد حين .

وأخذ الطريقة الصديقية المنسوبة للقبط الشهير سيدي احمد الحبيب بن محمد الغماري السلجماسي الصديقي .

ثم عاد الى بلدته عين ماضي ، ومَرَّ بطريقه بالبلد الأبيض وهي قرية من عين ماضي حيث التقى بالقبط الشهير سيدي عبد القادر بن محمد الأبيض فاخترها منزلاً وقراراً وانقطع فيها للعبادة والتدريس والافادة لمدة خمس سنوات وهو بين زاوية سيدي عبد القادر وبين بلدته عين ماضي .

ثم رحل الى تلمسان ١١٨٦ هجرية ، ١٧٧٢ ميلادية وغادها في نفس السنة قاصداً زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وكان قد بلغ الأربعين من عمره .

فلما وصل الى بلاد زاوارة وهو في طريقه من الجزائر الى تونس ، زار الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري وأخذ عنه الطريقة الخلوتية .

ولما وصل الى تونس تعرف على بعض أوليائها ، ومكث فيها سنة بعضها بمدينة سوسة وبعضها بتونس العاصمة حيث قام بالإفتاء وتدريس عدة كتب منها كتاب الحكيم لابن عطاء الاسكندري رحمه الله فذاع صيته وبلغ خبره أمير البلاد الذي طلب منه القامة بتونس للتدريس والافادة ، الا ان سيدي احمد التيجاني

ﷺ اعتذر عن ذلك وغادر البلاد .

ثم وصل الى مصر القاهرة بجرأ ، وبمجرد وصوله شرع يبحث عن شيخها الأكبر في ذلك الوقت ، سيدي محمود الكردي ، المصري داراً وقراراً ، العراقي أصلاً ومنشأً، والذي بشرّه بالقبطانية الكبرى .

ثم توجه بجرأ الى البلد الحرام ، وكان وصوله الى مكة المشرفة شهر شوال سنة ١١٨٧ هجرية ١٧٧٣ ميلادية فسمع بالشيخ أبي العباس سيدي أحمد عبد الله الهندي ، الذي لم يكن له إذن بملاقات أحد ، الذي تواصل معه من خلال خادمه الخاص .

وقد أخذ الشيخ التيجاني منه علوماً وأسراراً ، وكتب له برسالة : أنت وارث علمي وسري ومواهبي وأنواري .

ثم توجه الى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ ، وبعد الزيارة الشريفة ، التقى مع القطب الشهير والعالم الكبير أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد عبد الكريم الشهير بالسَّمَان ، وأذن له الشيخ السمان بجميع الأسماء ، وأخبره بما سيؤول اليه حاله ، وانه هو القطب الجامع .

وبعد ان أتم مناسك الحج والزيارة ، رجع الى مصر القاهرة ، حيث نزل عند الولي محمود الكردي الذي لُقنه الطريقة الخلوتية .

وقفل الشيخ ﷺ راجعاً الى تونس .

وفي عام ١١٨٨ هجرية ١٧٧٤ ميلادية انتقل الشيخ احمد التجاني من تونس الى تلمسان التي أمض فيها ثلاث سنوات في العبادة والمجاهدات ، وفي هذا العام التقى بكتابه وخازن اسراره سيدي مُحَمَّد بن المشري الحسيني السباعي السائحي التكرتي ، ولقنه الطريقة الخلوتية ، ومنذ التقائه صار يَوْمه بالصلاة وبأهله ويقوم مقامه في كتابة الأجوبة حتى عام ١٢٠٨ هجرية وهي السنة التي بدأ فيها سيدي احمد التجاني يقوم بالإمامة بنفسه امتثالاً لأمر جده رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة ١١٩١ هجرية ١٧٧٧ ميلادية شد سيدي التجاني الرحال من تلمسان الى فاس وهي زيارته الثانية لها حيث قصد سيدنا زيارة مولانا ادريس الأزهر ، وفي الطريق التقى بسيدي حرازم برادة الفاسي لأول مرة حيث لقنه الطريقة الخلوتية ، وتوجها معاً الى مدينة فاس .

وبعد زيارة ضريح سيدي ادريس ودّع خليفته بفاس ، وقفل راجعاً الى تلمسان ، ثم غادرها سنة ١١٩٦ هجرية ١٧٨١ ميلادية الى قصر الشلالة ، وأقام هناك ثلاث سنوات ، توجه بعدها للإقامة بأبي سمغون ، واستقر بقصر أبي سمغون ، حيث ضريح الولي الكامل الذي سمي القصر باسمه ، وأقام ﷺ بأبي سمغون أربع عشرة سنة حيث حصل فيها الفتح الكبير والولاية العظمى ^١)

بعد الفتح والولاية :

(في السنة الأولى من اقامته ﷺ حصل الفتح للشيخ التجاني ﷺ فأذن له سيد الوجود ﷺ يقظة ، لا مناماً ، بتلقين الخلق على العموم والإطلاق ، وعيّن له الورد الذي يلقنه ، في سنة ست وتسعين ومائة والف ١١٩٦ هجرية عيّن له مائة من الاستغفار ومائة من الصلاة على رسول الله ﷺ ، وفي سنة ١٢٠٠ هجرية زاده ﷺ الكلمة المشرفة لا اله الا الله .

وأخبره سيد الوجود ﷺ يقظة ، سنة ست وتسعين ومائة وألف بأنه ﷺ هو مربيه وكافله ، وانه لا يصله شيء من الله الا على يديه ، وبواسطته صلى الله عليه وسلم .

وقال له ﷺ لا مئة لمخلوق عليك من الأشياخ ، فأنا ممدك على التحقيق ، فترك جميع ما أخذت منهم والزم هذه الطريقة من غير خلوة ، ولا اعتزال للناس ، حتى تصل مقامك الذي وعدت به ، وانت على حالك ، من غير ضيق ولا

^١ انظر النور في الطريقة التجانية ص ٢٢ - ٢٨

حرج ، ولا كثرة مجاهدة)^١

وبعد تمكنه من الولاية توجه ﷺ الى عين ماضي حيث أسس الزاوية الأم بها ، وظل ينتقل بينها وبين أبي سمعون .

ولما زاد الإقبال على الطريقة التجانية اقبالاً لا مثيل له ، وبدأت الطريقة تنتشر انتشاراً كبيراً ، وأصبحت التجانية قوة فاعلة ، صارت مصدر قلق للحكومة التركية مما ادى لأن تشن حملة عسكرية على عين ماضي وان تفرض أتاوة على الشيخ التجاني ﷺ وأتباعه ، مرة سنة ١١٩٩ هجرية ١٧٨٤ ميلادية ، وأخرى سنة ١٢٠١ - ١٢٠٢ هجرية ١٧٨٧ ميلادية ، مما اضطر الشيخ ﷺ الى الرحيل الى فاس سنة ١٢١٣ هجرية .

في فاس مرة اخرى :

وفي فاس وفي سنة ١٢١٣ هجرية ١٧٨٩ ميلادية ابتدأ الشيخ بإلقاء الدروس العلمية بجامع الديوان ، حيث ذاع صيته وبان نجمه حتى وصل الى سلطان البلاد الذي اثنى عليه بحضرة كبار علماء البلد وقاضيهما الأول .

رحب السلطان سليمان بالشيخ هو وجميع وزرائه وكبار رجال الدولة وانخرطوا جميعاً في طريقته المباركة ... حيث أسس الشيخ ﷺ زاويته فيها واتخذها مقراً لإقامته وبصحبته علي بن حرازم ﷺ .

وبلغ من أدب السلطان سليمان ان يكتب للشيخ ﷺ :

((...عوض والدنا ، سيدنا وشيخنا وقدوتنا المحمدي : ابو العباس سيدي أحمد ، أحمد الله ، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم ، بلغنا مسطوركم الأبرك ، وحمدنا الله تعالى على ما خصّنا به من رضى))^٢

ومن فاس شاء الله تعالى ان ينطلق شعاع الطريقة التجانية ونورها فينخرط في

^١ النور في الطريقة التجانية ص ٢٩

^٢ النور في الطريقة التجانية ص ٣٠

هذه الطريقة الكثير من المريدين من علماء وفقهاء ووزراء وعمامة الناس .
وتنشر الطريقة التجانية في المغرب كله وتونس والصحراء والسودان الغربي .
ويهدي السلطان للشيخ رحمته الله دار المرانيا وهي دار معتبرة أنفق عليها السلطان
نفقة عظيمة ، يهديها للشيخ التجاني ليسكنها مع أسرته ، ورتب له ما يكفيه .
وكان الشيخ رحمته الله في بادئ مقدمه الى فاس يجتمع مع طلابه ومحبيه بباب داره ثم
في مساجد المدينة حتى تم له بناء الزاوية فنقل لقاءه بمحببيه وطلابه اليها .
وقد اشترى الشيخ أرض الزاوية من ماله الخاص واشترى ما جاورها من أرض
تحسباً لزيادة حجمها ان لزم الأمر .

وقد تم البناء سنة ١٢١٥ هجرية ١٨٠٠ ميلادية .

وقال الشيخ رحمته الله :

لو علم أكابر العارفين ما في الزاوية من الفضل ، لضربوا عليها خيامهم .

شروط الطريقة التجانية :

وضع الشيخ رحمته الله خمسة شروط لسالكي الطريقة الأحمديّة التجانية هي :

١ . الانفراد بهذه الطريقة مدى الحياة :

فلا يجمع معها طريقة اخرى ، ولا أوراد طريقة أخرى .. وذلك لأن من انقطع
على شيء أتقنه .

٢ . ان يقتصر من زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات على من أذن له شيخه
بزيارته .

٣ . الاعتقاد في الشيخ رحمته الله ودوام محبته ، وعدم انتقاده .

وقد قال الشيخ رحمته الله (اذا سمعتم عني شيئاً ، فزنوه بميزان الشرع ، فان وافق ،
فاعملوا به ، وان خالف ، فاتركوه .

٤ . المداومة على الذكر وعدم الانقطاع عنه الى الممات .

المحافظة على الشرع وتحليل ما حلله الشرع وتحريم ما حرمه ، علماً وعملاً ،

ظاهراً وباطناً .

آداب الذكر :

للورد والذكر في الطريقة التجانية آداب يجب مراعاتها عند الجلوس للذكر والورد
تبتها الشيخ رحمته الله لمتبعي طريقته تتلخص بما يلي :

١. يندب الجلوس للأورد مثل الجلوس في الصلاة ، أو متربعاً .
٢. يجب طهارة البدن والثوب والمكان وجوباً لازماً ، وتبطل الأورد بدونه .
٣. اذا قرأ الوظيفة فلا بد من الجلوس في مكان طاهر ، يسع ستة أشخاص .
٤. يضع يديه على فخذه ، ولا يغمض عينيه الا ان كان أخشع لقلبه .
٥. يندب تطيب مجلس الذكر ، ولبس اللباس الطيبة جالاً ورائحة ، اذا ان مجلس الذكر يحضره الملائكة ، وغيرهم من خلق الله تعالى ، كما في الأحاديث الصحيحة .
٦. ويستحب ترتيب الأورد ترتيباً ... وعدم الإسراع فيها ، مع مراعاة عدم اللحن في الفاظها .
٧. يستحب عد الالتفات اثناء الورد .
٨. يستحب الجهر بالهيللة والوظيفة للرجال دون النساء ، وكذا يستحب عدم الجهر بالأورد .
٩. يستحب تغيير الجلسة في الوظيفة وذلك قبل المرة السابعة من جوهرة الكمال ، لتكون كالجلوس في الصلاة ، احتراماً لمن يحضر الوظيفة .
١٠. يستحب رفع اليدين في المرة الأخيرة من الجوهرة .
١١. ويجب الاجتماع للهيلة والوظيفة ان كان هناك اخوان ، وهو شرط فيها ، فإن لم يجد فعلها وحده ، ويستحب الانفراد في ورد الصباح والمساء .
١٢. يستحب استحضار معاني الذكر ، وان يصغي بقلبه الى الورد والفاظه .
١٣. يستحب استحضار صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك جالس أمامه تستمد منه

الأنوار والأسرار قبل الدخول في الذكر وكذا حال الذكر .
فإن لم تستطع استحضار صورة رسول الله ﷺ فلتستحضر صورة صاحب
الطريقة . فإن لم تستطع استحضار صورة الشيخ فلتستحضر صورة من تعتبره
شيخك من المقدمين والخلفاء الذين تعرفهم ، فالكل سلسلة واحدة اذا
استحضرت اولها فكأنما استحضرت آخرها .

١٤ . من فاته استحضار معاني الذكر ، او فاته شيء من الخشوع في الأوراد او
الوظيفة ، جبره بقراءة صلاة الفاتح مرة او الجوهرة ثلاث مرات ، بعد تلاوة
الأوراد او الوظيفة .

١٥ . يستحب عدم الأكل والشرب اثناء الأوراد ، فالقليل منها يبطل الورد ،
والكثير يبطل الوظيفة .

١٦ . يستحب بعد الفراغ من الأوراد ان يلتزم المرید السكوت والسكينة ويتقبل
ما يرد على قلبه من أنوار وواردات ، وان يكتفم نفسه مراراً لتدور أنوار الذكر في
جميع عوالمه .

١٧ . يستحب الجلوس صفوفاً او مربعاً او حلقة .

١٨ . على المرید ان يترك نفسه على سجيتها في حلقة الذكر ، يفعل به الذكر
ما يفعل .

١٩ . يستحب الدعاء بعد الذكر فإنه مستجاب لا محالة .^١

أوراد الطريقة التجانية :

والأذكار اللازمة في هذه الطريقة الجليلة هي: وردا الصباح والمساء، والوظيفة،
وذكر الجمعة.

ورد الصباح

(١٠٠) أستغفر الله وتتعين هذه الصيغة في الورد فمن ذكره بغيرها أعاده.

^١ النور في الطريقة التجانية ص ١١٣ - ١١٥

(١٠٠) من الصلاة على النبي بأيّ صيغة خصوصا صلاة الفاتح لما اشتملت عليه من أسرار جميع الصلوات .

(١٠٠) لا إله إلا الله وتتعين بلفظها.

وصلاة الفاتح هي:

(اللهم صل على سيّدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم)

ورد المساء

(١٠٠) أستغفر الله وتتعين هذه الصيغة في الورد فمن ذكره غيرها أعاده.

(١٠٠) من الصلاة على النبي بأيّ صيغة خصوصا صلاة الفاتح لما اشتملت عليه من أسرار جميع الصلوات .

(١٠٠) لا إله إلا الله وتتعين بلفظها.

الوظيفة :

وأركانها:

١- أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم (ثلاثين مرة).

٢- صلاة الفاتح (خمسین مرة) ولا تصح غيرها ، وتسقط الوظيفة عن من لم يحفظها.

٣- لا إله إلا الله (مائة مرة) وتتعين بلفظها.

٤- جوهرة الكمال (اثنی عشرة مرة) لمن حفظها واستكمل شروطها وإلا فبدلها عشرون من صلاة الفاتح.

وجوهرة الكمال هي :

(اللهم صل وسلّم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة ، الآدمي صاحب الحق الرباني ، البرقي الأسطع بمزون الأرباح المائلة لكل متعرّض من البحور والأواني ، ونورك اللامع

الذى ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان. اللهم صلِّ وسلِّم على عين الحق التي تتجلى منها عروشُ الحقائقِ عَيْنِ المعارفِ الأَقْوَمِ ، صراطك التامَّ الأَسْمَمِ . اللهم صلِّ وسلِّم على طلعة الحق بالحقِّ الكنزِ الأعظمِ إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم. وصلَّى اللهُ عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه).

الهيئلة :

وهي ذكر الكلمة المشرفة (لا إله إلا الله) بعد صلاة العصر من يوم الجمعة وقبل الغروب بساعة فلكية ، وإن شاء التزم عددا معلوما من ألف إلى ألف ومئتين ولا يزيد عن ألف و ستمائة ، ولا بدَّ من اتصال الذكر بالغروب سواء ذكر بعدد أو بلا عدد .

هذه هي أورد الطريقة التجانية اللازمة لكل تجاني حيث أصبحت عليه فرضا بحكم النذر فلا سبيل للتخلي عنها أو التهاون بها .

وتعاليم الطريقة التجانية تقضي بتعمير الأوقات بذكر الله تعالى والحرص على أداء السنن والرواتب والمواظبة على ما ورد في السنة من الآداب الشرعية المتعلقة بأحوال الإنسان والمواظبة عليها بقدر الطاقة ، والإكثار من مكفريات الذنوب ورفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق.

وهذه الأذكار اللازمة هي أس الطريقة وأساسها، وليس وراءها ذكر لازم. ومدار الطريقة هو في المداومة على أذكارها اللازمة بشروطها وآدابها. ومن أكد هذه الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، بإتمام أركانها وأدائها على حدودها المحدودة لها شرعا، في جماعة غير مبتدعة، وامتنال الأوامر واجتناب النواهي، بقدر الوسع والإمكان. كل ذلك مع بذل الجهد في إخلاص النية، وتطهير الطوية، والصدق في معاملة الحق والخلق، والتخلي عن كل مذموم والتخلي بكل محمود، وعدم الأمن من مكر الله.

وقت الأوراد:

١. ورد الصباح

الوقت المختار لورد الصبح يبدأ بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى . ويمتد الضحى إلى الزوال (الدرة الخريدة). ووقتها الضروري من الضحى الأعلى إلى غروب الشمس؛ والقضاء من وراء ذلك.

والوقت الضروري لمن كان له عذر. قال الأمام النظيفى في الدرّة الخريدة "لا ينبغي إخراجّه (الورد) عن الوقت المختار إلا لعذر شرعي أو سبب مرعى".

٢. ورد المساء

الوقت المختار لورد المساء يبدأ من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء. أما الوقت الضروري فمن العشاء إلى طلوع الفجر؛ والقضاء من وراء ذلك. ومن تلا ورده بعد طلوع الفجر وقبل أن يصلّى الصبح أو بعد دخول وقت العصر وقبل أن يصلّيها، وسواء قبل ذلك سهواً أو عمداً أو جهلاً أعاد ورده وجوباً مادام وقته ، ويقضيه بعد خروجه ، ولا يجزئه ما تلاه ، لأنه قدمه على وقته. قال سيدي العربي بن السائح في البغية "هذا هو المنقول عن الشيخ رضي الله عنه وعليه عمل جميع أصحابه قولاً واحداً. ومن فاتته ورده يلزمه قضاؤه على ممر الدهر. فالورد قد صار لازماً بالالتزام كالنذر.

ويلزم قضاء الوظيفة أيضاً أبداً على من فاتته ولو مرة واحدة في الدهر، كالورد. قال صاحب البغية "ولا شك أن أمر الوظيفة كان في أول الأمر خفيفاً ، ثم أكد على عهد الشيخ رضي الله عنه ؛ فمن أجل ذلك أصلح مؤلف جواهر المعاني هذا المحل من النسخة التي كانت بيده ، وزاد فيها ما هو صريح في لزوم القضاء في الوظيفة كالورد. وهذا يعني أن ما ورد من عدم لزوم قضائها ينبذ وي طرح لعدم استقرار عمل الشيخ رضي الله عنه وعمل أصحابه عليه".

تقديم الورد :

١. ورد الصباح

يجوز تقديم ورد الصباح بالليل مطلقاً، بعذر أو بدون عذر.
ووقت التقديم يبدأ بعد صلاة العشاء بقدر ما يقرأ القارئ خمسة أحزاب من القرآن وينام الناس.
إذا طلع الفجر قبل الفراغ من الورد ولو بهيئة واحدة فيتمه ويلزمه إعادته بعد صلاة الصبح.

هذا في حق من عنده التحقيق بطلوع الفجر كأهل الحواضر وما في حكمها.
أما أهل البوادي ممن لا يعرف الفجر إلا بالإسفار البين فلا يقدم الورد عن وقته إلا إذا تحقق عنده بقاء الليل بحيث لا يدخله شك ولا وهم

٢. ورد المساء

أولا التقديم نهاراً:

لا يجوز تقديم ورد المساء نهاراً، بعذر أو بدون عذر، سواء قبل دخول وقت العصر أو بعد دخوله وقبل صلاة العصر. هذا هو ما ثبت متواتراً عن الشيخ رضي الله عنه.

ثانياً التقديم ليلاً :

يجوز تقديم ورد العصر ليلاً بشرطين: توقع العذر في وقته المختار؛ ثم تقديمه بعد تقديم ورد الصبح للترتيب ، إذ لا يصح تقديمه، مع وجود العذر، إلا بعد تقديم ورد الصبح.

ورد في الجواهر عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه أنّ أعمال الليل تضاعف على أعمال النهار بخمسمائة ضعف.

جبر الخلل في الأوراد :

١. من زاد سهوا في بعض الأركان أو كلها جبر بمائة من الاستغفار بصيغة الورد، بنية الجبر، بعد الانتهاء من ورده أو وظيفته.
٢. من شك في زيادة أو نقص بني على اليقين، وجبر بمائة من الاستغفار بعد انتهائه من ورده أو وظيفته.
٣. من نكس في الأركان سهوا ، بأن قدم مثلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الاستغفار، فإنه يلغى ما أتى به منكسا (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المثال) ثم يأتي بالأركان مرتبة، ثم يأتي بمائة من الاستغفار بنية الجبر بعد الانتهاء من ورده أو وظيفته.
٤. إذا وقع الشك والسهو في الجبر فلا يجبره ثانية بل يلغيه لئلا يتسلسل.
٥. جبر الخلل هو للمنفرد - الذي يذكر وحده. أما في الجماعة فإمامه يحمل عنه الخلل، كالصلاة. (ففيه خلاف بين ساداتنا الخلفاء فمنهم من أوجب مائة من الاستغفار و منهم من قال أن الجماعة لا يلزمها الجبر)
٦. تعمد الزيادة أو النقص أو التنكيس مبطل للذكر .

فعل المسبوق في الوظيفة :

يذكر المسبوق في الوظيفة مع الجماعة ما أدرك معهم. فإذا كمل الجماعة قضى ما عليه: أي عليه أن يبدأ بذكر الوظيفة من أولها حتى ينتهي إلى حيث ابتداء مع الجماعة. ففعل المسبوق هنا كله قضاء لا بناء فيه، لأنها أقوال كلها.

ذكر المريض والحائض:

ثبت عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن المريض والحائض مخيران في ذكر الورد. فإن أدياه فلهم ذلك، وإلا فلا شيء عليهما، ولا يقضيانه. والتخير هنا للمريض الذي لا يستطيع أن يؤدي الورد مع استيفاء شروطه وضبط عدده إلا بمشقة. والتخير في الأداء في حق الحائض قياسا على قراءة القرآن.

ومن كان فرضه التيمم

من تيمم للصلاة تيمم أيضا لورده، وإلا بطل الورد. لأن الورد صار فرضا بالنذر، ولا يجوز أداء فرضين بتيمم واحد.
وبناءً على هذا يجب إعادة كل ما قرأ من ورد بتيمم الفرض.
إقامة الصلاة أثناء الورد :

من أقيمت عليه الصلاة وهو في ورده أو وظيفته فإنه يصلى مع الجماعة، ثم يبنى على ما مضى، بعد السلام - ولا يستأنف أي لا يبدأه من أوله - ويتم ما بقى بمجرد السلام وقبل أن يتكلم أو يذكر شيئاً من الأذكار التي تفعل دبر الصلوات. قال صاحب الإفادة رحمه الله "هذا صحيح متواتر عن الشيخ رضي الله عنه ومجمع عليه بين أصحابه، فلا سبيل إلى البحث فيه فضلاً عن رده".
وهذا قياساً على الطواف عند إقامة الصلاة، كما جاء في الدرّة الخريذة.

فيما يرفع الإذن عن المرید

قال الشيخ رضي الله عنه: ثلاثة تقطع التلميذ عنا :

١- أخذ ورد على وردنا.

٢- زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات.

٣- ترك الورد تركاً كلياً^١

وأتباع الطريقة التيجانية يعرفون بالأحباب .

وقد انتشرت هذه الطريقة في مصر وجزيرة العرب وبعض أجزاء آسيا ، كما انتشرت بشكل واسع بين البدو المقيمين في الجنوب الأقصى من مراكش كما دخلت بشكل سريع في افريقيا و انتشر مريدوها في تشاد والنيجر ونيجيريا وبشكل أقل في السنغال ومالي .

وأتباع هذه الطريقة لهم فضل في نشر المبادئ الإسلامية بين الوثنيين في افريقيا

^١ الهداية الهادية ص ٣١

وأدخلوا كثيراً منهم في الإسلام وهم الذين حافظوا على لغة القرآن كما ان لهم فضل كبير في رد المبشرين النصارى في افريقيا .
وكان طبيعياً ان يتعرض اتباع هذه الطريقة لكثير من الدسِّ والتشويه والافتراء من المستشرقين والمبشرين واعداء الإسلام .

وما زال اتباع هذه الطريقة على توجههم السابق في نشر الإسلام والدفاع عنه^١ ومن صيغ الصلوات النبوية لهذه الطريقة المباركة
صلاة الفاتح والتي نصها :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمُقْدَارِهِ الْعَظِيمِ

الصلاة الثانية صلاة جوهرة الكمال :

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ
وَالْيَاقُوتَةِ الْمَتْحَقِّقَةِ الْحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الْفُهْمِ وَالْمَعَانِي،
وَأَنْوَارِ الْأَكْوَانِ الْمَتَكَوِّنَةِ الْآدَمِيَّ صَاحِبِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ،
الْبَرْقِ الْأَسْطَعِ بِمُزُونِ الْأَرْبَاحِ الْمَالِقَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ الْبُحُورِ وَالْأَوَانِي،
وَأَنْوَارِ اللَّامِعِ الَّذِي مَلَأَتْ بِهِ كَوْنَكَ الْحَائِطِ بِأَمْكِنَةِ الْمَكَانِي،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الْحَقِّ الَّتِي تَنْجَلِي مِنْهَا عُرُوشُ الْحَقَائِقِ .
عَيْنِ الْمَعَارِفِ الْأَقْوَمِ صِرَاطِكَ التَّامِّ الْأَسْمَمِ .
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ الْكَنْزِ الْأَعْظَمِ .
إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ إِحَاطَةَ النُّورِ الْمُطْلَسَمِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، صَلَاةً نَعْرِفُنَا بِهَا إِيَّاهُ .

^١ أنظر تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٥ - ٤٧

١٣ . الطريقة الجشتية

الجشتيّة هي طريقة صوفية سنية، نسبة إلى قرية جشت من أعمال هراة في خراسان .

أسسها أبو إسحاق الدمشقي الجشتي .

والبعض ينسبها الى الشيخ أحمد ابدال الجشتي .

والطريقة منتشرة في الهند، نشرها هناك خواجه معين الدين حسن السنجري الأجميري .

والطريقة الجشتية من أقدم الطرق الصوفية في العالم المنتشرة في شبه القارة الهندية والباكستانية وأفغانستان وغيرها .

وتنسب إلى الشيخ العارف بالله أبي إسحاق الشامي الجشتي (رحمه الله)

(المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) . ولها جذور عميقة في شبه القارة الهندية والباكستانية وأفغانستان وغيرها من الدول العالم.

وهي طريقة مستقلة بسندها المتصل إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم تتفرّع عن أية طريقة أخرى ، وهي أوسع الطرق انتشاراً في شبه القارة الهندية والباكستانية.

ولها دور كبير في نشر الإسلام في القارة ؛ لأن الإسلام انتشر في القارة عن طريق المشايخ الصوفية.

واشتهرت الطريقة في القارة على يد الشيخ العارف بالله الشريف العلامة شيخ

الإسلام خواجه معين الدين حسن السنجري الجشتي (٥٣٧ هـ / ٦٣٣ هـ)

الأجميري الهندي رضي الله عنه ؛ ولذا نسبها البعض إليه رحمه الله ؛ وقالوا بأنه

مؤسس الطريقة ، لأن له تأثير في نشر الإسلام والعلم والطريقة بشبه القارة

الهندية والباكستانية ، وهو الذي استقدمها إلى الهند ونشرها .

وأسلم عليه خلق كثير من خلال الطريقة الجشتية بعد ان عرفوا الإسلام من

.. خالها ..

والشيخ معين الدين كان يلقب أفتاب ملك الهند أي (شمس مملكة الهند)
والذي كان من اكابر مشايخ الصوفية والأولياء .
كانت ولادة الشيخ معين سنة ٥٣٧ هـ ، وتوفي أبوه وهو في الخامسة عشر من
عمره .

وكان الشيخ كثير السفر حتى وصل بغداد حيث صاحب الصوفي الشيخ نجم
كبري ، مؤسس الطريقة الكبراوية ، وشهاب الدين السهروردي ، مؤسس
الطريقة السهروردية ، والتي كان عمه أبو نجيب بدأ بأنشائها قبل وفاته عام
٥٦٣ هـ .

ومن بغداد سار عام ٥٨٩ هـ إلى مدينة دهلي في الهند ، ومنها انتقل إلى بلدة (اجمير)
وتوفي فيها عام ٦٣٣ هـ وقبره مزار يؤمه الناس للبركة .
وبعد وفاته رحمه الله تعالى خلفه على الطريقة خواجه قطب الدين باختيار ثم
ابا فريد سكر كنج ، وكان لفريد مريدان احدهما علي احمد صابر واتباعه
يعرفون باسم (صابر جشتي) والآخر نظام الدين أولياء ، ويسمى اتباعه باسم
(نظامي) ومنهم نصير الدين محمود بن يحيى يزدي اودهلي ، الملقب جراغ
دهلي أي نور دهلي وكان من ابرز مریدی الشيخ نظام الدين^١
واسلاف الجشتية يرددون ذكر الشهادة ويؤكدون على (إلا الله) ويتزعمون في
اذكارهم ويلبسون ثياباً ملونة .

ويتلقى المرید بعد ان يصلي ركعتين بعض الارشادات والمواعظ . ويتعلم معاني
بعض الكلمات مثل فقير ، فاقة ، قناعة ، يد الله ، رياضة ، ثم يكشف له عن
اسم من اسماء الله ، ثم يتوجه الى احد الأضرحة ويصوم عنده اربعين يوماً ()
تعرف باسم جله كشي) ، ثم يلقي آخر الأمر حدود الطريقة .

^١ انظر الموسوعة الصوفية : ص ١٤٨ - ١٤٩

ويحرم على اتباع هذه الطريقة تعاطي التبغ والكحول وغيرها من المحرمات .
وقد انتشرت هذه الطريقة بعد انحسارها على يد خواجه نور مُجَدِّ قبلاي عالم
وهو من قبيلة كرال .

وانقسمت هذه الطريقة الى خمس فرق هي :
الزيدية نسبة الى الخواجه عبد الأحد بن زيد ،
والأياضية نسبة الى الخواجه فضيل بن اياض ،
والأدهمية نسبة الى ابراهيم بن أدهم ،
والهيبيرية ، والجشتية .

^١ وللجشتية اناشيد تعتبر غذاء الروح .

^١ أنظر تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٧ - ٤٩

١٤ . الطريقة الرحمانية الحفناوية البكرية الخلوئية

يسجل التاريخ لكثير من الطرق الصوفية مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو أو الظالم، ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة، وذلك في عزة مدهشة قل أن توجد في هذا العصر، ولا يخفى علينا دور الطريقة القادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ودور السنوسية في ليبيا غير خاف على أحد، ونجد الدور نفسه قامت به الطريقة الشاذلية في مصر تجاه المحتل، وحفاظا على مصالح العباد، في عصر الشاذلي نفسه، والطريقة الرحمانية من ضمن هذه الطرق الصوفية التي أدت دورا هاما في المجتمع الجزائري والمجتمع التونسي.

ظهرت الطريقة الرحمانية التي تنسب إلى الولي الجزائري مُحَمَّد بن عبد الرحمان القشطلوي الأزهري بوقبرين في القرن الثالث عشر هجرياً / التاسع عشر ميلادياً بشمال إفريقيا ، وانتشرت خاصة بالجزائر وتونس حيث تعددت زواياها وكثر أتباعها.

والطريقة الرحمانية ،طريقة علم وتربية وجهاد ضد النفس وضد العدو المحتل . فلما حصلت الثورة الكبرى المباركة ، ثورة التحرير في الجزائر ، في أول نوفمبر ١٩٥٤ م ،هبَّ رجال الطريقة الرحمانية كرجل واحد ،علماء ،وطلبة ،ومريدون ،وألقوا بأنفسهم وقوداً في أتونها ،وحطبا في نارها ، مجاهدين في سبيل الله . والطريقة الرحمانية ، عرفت جمهور كبير حتى القرن التاسع عشر، وتمكنت من ترسيخ نفسها بقوة وانتشرت في شمال أفريقيا وذلك لأنها طريقة مقاومة وفقت بوجه الاستعمار الفرنسي اضافة لدعوته لتزكية النفس وترقيتها .

مؤسس الطريقة الرحمانية :

الشيخ مُحَمَّد بوقبرين (رضي الله عنه) هو مؤسس الطريقة الرحمانية، ولد حوالي عام ١٧٧٤ ميلادي ، في قرية آيت إسماعيل ، قرب بوغني ، في منطقة القبائل في الجزائر .

ولد الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان القشطولي بين (١١٢٨ هـ - ١٧١٥ م) و
١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م) بقرية آيت إسماعيل قرب مدينة ذراع الميزان بجبال
جرجرة في القبائل الكبرى.

تتلمذ في بداية أمره على يد الشيخ الصديق بن أعراب ، ثم ذهب إلى الحج في
حوالي التاسعة عشر من عمره أي حوالي سنة ١١٥٢ هـ - ١٧٣٤ م ، وفي
طريق عودته أعجب بالأوضاع العلمية بمصر فاستقر هناك مجاورا للأزهر
الشريف ، وتلقى العلوم على أيدي علماء أجلاء منهم :

أحمد بن مُجَّد بن أبي حامد العدوي المعروف بـ (الدردير) (ت ١٢٠١ هـ) ،
علي بن أحمد الصعيدي (ت ١١٨٩ هـ) ، الشيخ علي العمروسي (ت سنة
١١٧٣ هـ) ، وعلى يد المنور التلمساني (ت ١١٧٣ هـ)

وبعد تحصيل العلوم الفقهية من هؤلاء الأعلام، اتجه إلى الشيخ مُجَّد بن سالم
الحفناوي الخلوتي وسلك على يديه ، وهو الذي كلفه بنشر الطريقة والدعوة في
بلاد السودان والهند ، فأقام ست سنوات في دار فور يقرئ ويدعو إلى سبيل
ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى صار له أتباع كثيرون، وحصل له الاقتداء في
هذه المنطقة، ثم أمره شيخه بالعودة إلى القاهرة وألبسه الخرقه وكلفه بالتوجه إلى
الجزائر لنشر الطريقة هناك، وكان ذلك سنة ١١٨٣ هـ - ١٧٦٤ م.

وعاد الشيخ بعد ثلاثين عاما من الغياب عن بلده ، قضاها في تحصيل العلم ،
عاد أخيرا إلى الوطن ، استقر أول ما وصل الى الجزائر ، في قريته آيت إسماعيل ،
حيث كان قد أسس بها زاوية كبيرة ، لنشر المعارف الدينية . وأخذ في نشر
مبادئ هذه الطريقة فالتفت حوله طلاب العلم ، ومحبو حياة الروح ، فأسس
زاوية في البداية رغم احتجاج بعض الفقهاء وذوي الثقافة الدينية المحافظة ،
فأقدم على مناظرتهم بحضور باشا المدينة فأفحمهم بوسع علمه وقاطع برهانه
وأصبح الحاكم التركي أحد أتباع طريقته ومريديه وهو ما جلب اهتماما بالغا

بهذه الطريقة وذيوعا لصيتها .

بعدها قرر الانتقال إلى الجزائر العاصمة ، لإقامة زاوية أخرى ، وذلك لنشر معالم الدين الحنيف ، وتوعية الناس ، ومحاربة الجهل ، وشيد هذه الزاوية العلمية ، وهي أيضا جامعة كبيرة ، حيث يتم بها تدريس العديد من العلوم العقلية منها والنقلية . بمكان بالجزائر العاصمة ، أصبح يسمى فيما بعد بمنطقة الحامة .

ولما تقدمت به السن استقرّ مع مريديه في زاويته الكبيرة التي بناها بمسقط رأسه بأيت اسماعيل في جبال جرجرة. وعند وفاته سنة ١٢٠٨هـ/٩٣ - ١٧٩٤م تولى أبرز تلامذته عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني وعلي بن عيسى المغربي مهمة العمل على نشر الطريقة بالجزائر وتونس .

كان دخول الطريقة الرحمانية تونس في حياة مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطولي عن طريق زاوية سيدي أحمد بوحجر بالكاف ، وزاوية سيدي بن عيسى بالكاف، وزاوية عين الصابون، وزاوية القسطلبي بباجة، وزاوية سيدي البشير (وهو الشيخ محمد البشير ت ١٢٤٢هـ/١٨٤٧م) بتونس العاصمة.

وتولى الشيخ مصطفى بن عزوز (ت ١٨٦٦م) نشر الطريقة في الجنوب التونسي. فقد أسس زاوية بمدينة نفطة وعن هذه الزاوية تفرّعت زوايا أخرى بسليانة والقصرين وثالة، وأبرز هذه الزوايا زاوية سيدي أحمد الزاير التي تأسست سنة ١٨٧٤ في كدية الحلفاء قرب القصرين (الوسط الغربي للجمهورية التونسية) وزاوية سيدي الشيخ مبارك (ت ١٨٦٥م) تأسست بثالة سنة ١٨٦٠م، وزاوية سيدي عبد الملك بهنشير الشط بجهة سليانة، وقد أسسها ابنه حسونة شيخ الطريقة الرحمانية بأولاد عون، وذلك سنة ١٩١١، وقد بلغ عدد مريدي هذه الطريقة سنة ١٩٢٥ عشرات آلاف المريدين.

ومن أبرز أعلام هذه الطريقة في الوقت القريب الشيخ والصوفي الكبير الولي سيدي الهادي الحفناوي الزاير، ومقامه يبعد حوالي ١٠ كلم عن مدينة سببية.

وهو ذائع الصيت يأتيه الناس من كلّ أنحاء البلاد ومن دول عربية وغير عربية من المسلمين طلبا لبركته وتوسّلا به في قضاء حوائجهم وله في ذلك كرامات عدّة.

وقف الشيخ الحاج عمر الذي كان مقدّم الطريقة ابتداء من سنة ١٨٤٥ إلى جانب الثائرين المقاومين في محاولة غزو القوى الاستعمارية الفرنسية لبلاد القبائل وذلك في انتفاضة الشريف بوبغلة سنة ١٨٥٠، التي نظّم صفوفها وتزعّمها بنفسه من جديد سنة ١٨٥٦. وللطريقة الرحمانية أورد في ذكر اسم الله وتوحيده وفي الصلاة على النبي مُجّد ومدحه إضافة إلى إثناها التعبّد بالبسملة. والطريقة الرحمانية أصلها هي الطريقة الخلواتية نسبة الى الاختلاءة والابتعاد عن الناس والتفرغ للذكر والعبادة .

وأصبحت تسمى بالرحمانية ، نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الجرجري ، والد مؤسس الطريقة الرحمانية ، الشيخ أمّجد بن عبد الرحمان بوقبرين (رضي الله عنهما)

انتشار اتباع الطريقة الرحمانية في العالم :

تنتشر في الجزائر في الشرق ، الوسط ، والجنوب الجزائري ، خاصة في الجزائر العاصمة ، مسيلة الجلفة ، قسطينة ، عنابة ، ميله ، ام البواقي ، سطيف ، بسكرة ، باتنة ، وبلاد القبائل .

وفي مناطق عديدة منها ، مصر في القاهرة ومناطق اخرى .

وفلسطين ، وموريتانيا ، في شنقيط ، و نواكشوط ومناطق اخرى ، كما يتواجدون في عدد كبير من الدول الإفريقية ، منها ، مالي خاصة في تمبكتو ، والنيجر ، و تشاد ، وسنيغال ، وهم يتواجدون بكثرة في سنيغال ، وساحل العاج ، وغانا ، وغينيا ، وغيرها من المناطق .

أركان الطريقة الرحمانية :

المذهب المالكي في الفقه

المذهب الأشعري في العقيدة

المنهج الجنيدى في السلوك

الإلتساب الى خط آل البيت الكرام (عليهم السلام)، روحياً، وفكرياً، وعرفياً

من أهم أعمال مريدوا الطريقة الرحمانية :

حفظ القرآن ، وطلب العلم ، ونشر المعارف الدينية ، وتوعية الناس ، وخدمة المستضعفين ، والورد اليومي ، والدعوة والتبليغ ، وتلبية نداء الوطن في المنشط والمكره ، والحلوة والاعتكاف .

المراحل السبع من تنقية الروح :

نفس امارة بسوء - نفس لوامة - نفس ملهمة - نفس مطمئنة - نفس راضية - نفس مرضية - نفس كاملة

من أبرز رجال الطريقة الرحمانية :

الشيخ محمد بوقبرين بن الشيخ عبد الرحمن الجرجري مؤسس الطريقة

الشيخ الحداد وهو محمد أمزيان بن علي الحداد

الشيخ محمد المقراني

الشيخ الطيب زروق

الشيخ العلامة المختار بن الشيخ

الشيخ الطاهر بن احمدوش الحسني القجالي السطايفي

العلامة الشيخ الصديق الطاهر حمادوش

الشيخ علي بن عيسى

الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجلبي

الشيخ عبد الرحمن باش تارزي

الشيخ مُحمَّد بن عزوز جد الشيخ المكي بن الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز

القطب الشيخ علي بن عمر

الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

الشيخ مبارك بن قويدر

الشيخ المختار بأولاد جلال

الشيخ علي بن عمر

الشيخ خليفة أستاذ سيدي علي بن الحملاوي

الشيخ مصطفى بن عزوز

الشيخ علي بن عثمان

الشيخ المختار الشيخ الشريف ابن الأحرش

القطب الشيخ مُحمَّد بن أبي القاسم الشريف الهاملي

الشيخ المكي بن عزوز

الشيخ الحاج السعيد بن باش تارزي

الشيخ الحاج المختار

الشيخ مُحمَّد الصديق حمادوش

الشهيد الشيخ عبد الحميد حمادوش

الشيخ المنور مليزي

الشيخ القريشي مدني

الشيخ مُحمَّد المأمون القاسمي

وفاة الشيخ رحمه الله تعالى :

توفي سنة ١٢٠٨ هـ - = ١٧٩٣ م. ودفن بزاويته.

ترك الشيخ بن عبد الرحمن الأزهري مجموعة كبيرة من التلامذة كانوا بدورهم من

شيوخ الطريقة ونشروها في مختلف البقاع

توفي الشيخ بن عبد الرحمن وكان قد أوصى بالخلافة بعده إلى تلميذه الشيخ
علي بن عيسى المغربي، وترك له جميع كتبه وأوقافه وأشهد على ذلك أهل آيت
إسماعيل، وظل الشيخ علي بن عيسى يدير شؤون الزاوية إلى وفاته ١٨٣٦م -
١٢٥١ هـ .

١٥ . الطريقة الزينية

مؤسس هذه الطريقة الولي الشيخ زين الدين ابو بكر مُجَّد بن مُجَّد الخوافي ، وهي ترجع الى الطريقة الجنيديية .

ولد زين الدين عام (٧٥٧ هـ _ ١٣٥٦ م) في مدينة خوف بين بوشنج وزوزن من أعمال خراسان وتوفي ودفن عام (٨٣٨ هـ - ١٤٣٥ م) في قرية مالين على مسيرة فرسخين من هراة ثم نقلت رفاته الى درويش اباد (وهي الان في محافظة خوزستان جنوبي جمهورية إيران الإسلامية)، ومنها الى عيد كاهراة حيث شيد عليها مسجد .

نال زين الدين اجازته في مصر على يد نور الدين عبد الرحمن المصري وعاد الى آسيا الوسطى ثم عاد لزيارتها مرة اخرى بعد ذلك .

وقد تتلمذ في مصر أيضاً على عبد الرحيم بن الأمير المرزفوني ، كما درس في بيت المقدس على عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي وعلى عبد المعطي المغربي ثم تلقى العلم على استاذ آخر هو خواجه سعد الدين من اهل كاشغر ، وكان من أشهر علماء مدينته وأكثرهم شهرة .

وللشيخ زين الدين عدة مؤلفات منها :

رسالة الوصايا القدسية وقد ألفها في بيت المقدس .

والأوراد الزينية ،

وله أيضاً رسالة في الزهد .^١

^١ تاريخ الطرق الصوفية ص ٥٣ - ٥٤

١٦ . الطريقة السعدية

٤٦٠ هـ - ٥٧٥ هـ

عرفت الطريقة السعدية في بلاد الشام منذ مطلع القرن السادس الهجري وهي تنسب للقطب العارف بالله الشيخ سعد الدين الجبائي الشيباني الحسني رضي الله عنه (مولده ٤٦٠ هجرية وفاته ٥٧٥ هجرية) دفن قرية جبا التابعة لمحافظة القنيطرة في سوريا .

والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة و المعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من بلاد إسلامية بشكل عام وهي طريقة العلماء والفقهاء والسادة الأشراف والأعلام وكبار رجال الدولة في دمشق والباب العالي وشتى البلاد .

ولد مؤسس الطريقة السعدية الشيخ سعد الدين في مكة المكرمة عام ٤٦٠ هـ . حفظ القرآن الكريم ورتله في الحرم المكي وهو في السابعة من عمره، وأتم المرحلة الأولى من تحصيل علومه الدينية لما بلغ اثني عشرة سنة وتابع تحصيله وملازمته لوالده الشيخ يونس الشيباني الإدريسي في مجالسه وحلقاته في أروقة الحرم المكي، وحلقات العلماء من مقيمين ومجاورين وزائرين، فحضر دروس التفسير، والحديث والفقهاء، والتوحيد، على المذهب الشافعي . وكان له عدة أسفار كان أولها الى اليمن وبلاد المغرب وبلاد الشام وبيت المقدس ومصر،

نسبه الشريف:

هو الإمام الكبير والصوفي الشهير الشيخ سعد الدين الجبائي الشيباني الجنائي الإدريسي الحسني قدس الله سره العزيز فهو عريق الأصلين كريم النسبين فهو: سعد الدين بن الإمام الشيخ يونس الشيباني بن السيد عبد الله (المهاجر من طرابلس الغرب إلى مكة المشرفة) بن السيد يونس الشيباني بن السيد علي الشريف السيد مؤيد الدين بن السيد سعد الله الشهير بشيبان (دفن الزاوية

الشييبانية الكائنة في قابس بتونس) بن السيد عبد الرحمن الأكبر بن السيد علي المحجوب بن السيد عبد الله بن مولاي عمر الإدريسي بن مولاي إدريس الأنور بن السيد الأكبر الذي شرفه الله بفتح المغرب بن الإمام عبد الله المحض الشهير بالكامل الحسيني بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بن الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من زوجته السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وأما نسبه من أمه فهو ابن السيدة العابدة الزاهدة أم الخير، ولية الله عائشة بنت السيد أيوب ... ابن السيد الإمام علي زين العابدين بن الإمام سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين الشهيد رضي الله عنه بن السيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بعض صفاته : كان سيدنا سعد الدين: لطيف الذات جميل الصفات أبيض اللون معتدل القامة واسع العينين جهوري الصوت، يستحي الناظر أن ينظر؛ إليه لمهابته وجلالة قدره.

وروي أنه كان ذكياً موهوباً جميل الخلق والخلق ندي الصوت انكب على حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره فأتمه وكان يرتله في الحرم المكي بصوت جميل ندي، وأتم تحصيله للعلوم الدينية في سنّ صغيرة فقد درس الحديث والتفسير والتوحيد والتصوف والفقهاء على المذهب الشافعي رضي الله عنه وكان ملازماً لوالده الشيخ يونس الشيباني الحسيني في مجالسه وما رآه أحد من هذه الأمة إلا وتوسم فيه الرفعة والسيادة والنجابة والوراثة المحمدية، وكان له عدة سياحات طويلة في بقاع الأرض كان أولها الى اليمن ثم مصر وبلاد المغرب

وبلاد الشام وبيت المقدس والعراق مما زاد في تحصيله العلمي والمعرفي وزار الكثير من العلماء والأولياء والصالحين.

وقيل: أنه كان يدون رحلاته، وقام بجمعها ولده الشيخ مُجَّد شمس الدين ورتبها في كتابين الأول: خصصه لرحلاته والثاني: لمروياته.

نال ما نال من الأسرار الربانية ما جعله ينجذب إلى مولاه وأفاض أنوار باطنه على ظاهره وجرت عليه صور المجاهدة من غير مكابدة وعناء، بل بلذادة وهناء حتى امتلأ حب الله في قلبه .

وحين عاد إلى مكة المكرمة تلقاه والده وهنأه بما تفضل الله عليه وأذن له بالدخول في سلك القوم ولقنه الذكر وألبسه الخرقة المحمدية ثم أمره بالتوجه إلى الشام حيث فتوحه فيها فأنشأ رباطه ومسجده في جبأ الشام وصار جنده الذين خرج من أجلهم من العارفين والمجاهدين وصارت جبأ الشام محط الرجال ومنارة للعلم والمعرفة ومنهلاً للعارفين وعمّت بركات الشيخ الآفاق وذاع صيته في الأمصار.

سند الشيخ في الخرقة رضي الله عنه:

وأما سنده في الطريقة :

فللشيخ رضي الله عنه سندان في الطريق أحدهما وهبي والآخر كسي:

أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن والده ومرشده البحر المحيط العلامة الشيخ يونس الشيباني المكي الحسيني وهو أخذ الطريقة عن الشيخ أبو بكر النساج عن أبي القاسم الجرجاني عن أبي عثمان المغربي عن أبي علي الكاتب عن الشيخ علي الروذبادي عن شيخ الطائفة الجنيد البغدادي عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن الإمام علي الرضى عن الإمام موسى الكاظم عن والده الإمام جعفر الصادق عن والده الإمام مُجَّد الباقر عن والده الإمام علي زين العابدين والده الإمام عن والده الإمام الحسين السبط عن والده الإمام علي بن

أبي طالب عن سيد الأنبياء والرسول سيدنا رسول الله مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم. ان ما يميز هذه الطريقة عن الطرق السابقة، أنها تعد الطريقة الوحيدة التي تشكلت في بلاد الشام ومن ثم لاحقاً شهدت حضوراً وانتشاراً خارج الشام (تركيا ومنها إلى البلقان) بعكس الطرق السابقة التي جاءت من خارج بلاد الشام .

وبعد دخول العثمانيين لدمشق، أخذت الطريقة تنتشر إلى تركيا المجاورة، ومنها إلى البلقان، لتكون بذلك أول طريقة تخرج من بلاد الشام باتجاه الولايات العثمانية.

والطريقة السعدية من الطرق الصوفية المهمة والمعدودة في بلاد الشام بشكل خاص وفي بلاد الحجاز ومصر وتركيا ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من بلاد إسلامية بشكل عام .

وهي سير وسلوك إلى الله بمنهاج وشرعية بدايتها الدخول والتحقق بالمقامات والأحوال والآداب والأخلاق ونهايتها المعرفة بالله ومن صحت بدايته صحت نهايته والنهايات ترجع إلى البدايات .

وفاته :

توفي بقرية جبا بمحافظة القنيطرة في سورية سنة ٥٧٥ هجرية ، وقبره ما زال قائماً يُزار للبركة .

وللطريقة السعدية مقامات يترقى فيها السالكون في الطريقة :

- ١- مقام التوبة .
- ٢- مقام الورع .
- ٣- مقام الزهد .
- ٤- مقام الفقر .
- ٥- مقام الصبر .

٦- مقام التوكل .

٧- مقام الرضا :

وهذا آخر مقامات السلوك وهو مقام سام فالصوفي متوكل وراض قال تعالى

(رضي الله عنهم ورضوا عنه)^١

وبعد قطع هذه المقامات يتعرض المريـد السالك إلى جملة أحوال ومواهب شريفة و السادة السعدية يرون أن حال المحبة والشوق لا ينقطع أثره في القلب أبدا بل يرون أن حال المحبة والشوق يتقدم كل مقام ولولا المحبة والشوق لما تحقق المريـد السالك من مقامه الذي فيه وما ترقى إلى مقام آخر فالمحبة أساس لكل حقيقة عند السادة السعدية بل وكمال لكل مقام .

وأول حال من احوال أرباب القلوب عندهم :

١- حال المراقبة .

٢- حال القرب .

٣- حال المحبة .

٤- حال الخوف .

٥- حال الرجاء .

٦- حال الشوق .

٧- حال الأنس .

٨- حال الطمأنينة .

٩- حال المشاهدة .

١٠- حال اليقين .

وللطريقة السعدية مجموعة من الأوراد والأذكار والدعوات التي تقود للارتقاء والوصول .

^١ المائدة ١١٩

أوراد الطريقة

الورد الأصغر: وهو وظيفة تتلى صباحاً ومساءً بترتيب وأعداد مخصوصة، تشتمل على قراءة (الفاحة والإخلاص والمعوذتين وأول سورة البقرة وآخرها مع آية التوحيد وآية الكرسي)، والصلاة على مُحَمَّد ، والاستغفار، وذكر الله، والدعاء.

الورد الأوسط: وهو وظيفة تتلى صباحاً ومساءً بترتيب وأعداد مخصوصة، تشتمل على ما تقدم في الورد الأصغر بأعداد مختلفة.

الورد الأكبر: وهو: وظيفة تتلى يومياً بترتيب وأعداد مخصوصة، تشتمل على ذكر الله بسبعة من أسمائه الحسنى، كل على حدة، ولا يُنتقل من اسم إلى آخر إلا بإشارة من الشيخ، وتتراوح أعداد الذكر بين عشرة آلاف (١٠٠٠٠) ومائة ألف (١٠٠٠٠٠) مرة.

وتلك الأسماء هي: (لا إله إلا الله، الله، هو، حي، واحد، قيوم، قهار)، ولكل اسم منها توجه خاص.

وهذه الأوراد الثلاثة هي الأوراد الخاصة.

ومن جملة الأوراد الأخرى: الورد المثلث * الورد المسبّع * الورد الفضيّ * الورد الرائد (المسمى بحزب الفتوحات) * حزب الصفا * حزب الأنوار والتحسين * مجموعة أوراد الليالي والأيام.

عقبه :

توفي الشيخ وقد أعقب ذرية كثيرة في جبا و الجولان وفي دمشق و حوران و مصر وفي قرية الذيب بديار عكا والقدس والخليل وجنين وطولكرم و نابلس وغيرها من بلاد الشام وبلاد تركيا وقد تفرقوا وانطلقوا من جبا في الجولان في كثير من البلاد وكلهم على حال حسن وسيرة مرضية بارك الله فيهم. وقد أعقب الشيخ سعد الدين تسعة ذكور وأربع إناث فأكبرهم :

- ١- الشيخ مُجَّد شمس الدين وقد هاجر إلى الأناضول وهو أول من أدخل الخرقية السعدية إلى الأناضول وظهر بها واشتهر بها وأرشد السالكين وانتفعت به أمة ثم عاد إلى دمشق وجبا حيث توفي فيها.
- ٢- ومنهم الشيخ يونس الأصغر دفين مصر في باب النصر وله بها ذرية كثيرة وشهرة عظيمة وقبره ظاهر في الزاوية المسماة باسمه .
- ٣- ومن أبناء الشيخ سعد الدين : الأستاذ الشيخ علي الأكحل دفين قرية جبا خارج قبة والده .
- ٤- ومن أولاد الشيخ سعد الدين : الشيخ إبراهيم أبو الوفا دفين رواق والده .
٥. ومن ذرية الشيخ سعد الدين : الشيخ المعمر إبراهيم الأنور بن علي الأكحل دفين قرية الذيب بديار عكا سنة (٦٥١ هجرية) أول من قدم من جبا إلى عكا وله فيها زاوية شهيرة وله فيها ذرية .
٦. ومن ذرية الشيخ سعد الدين : الشيخ حسن الجبائي الميداني صاحب الزاوية السعدية في الميدان في دمشق (٨٠١ هجرية - ٩١٤) دفين مقبرة باب الله .^١

^١ المعلومات حول الطريقة السعدية مستمدة بتصرف من كتاب الوفاء بالعهد، حمودة بن علي حمودة الخضري، الطبعة الثانية، القاهرة

١٧ - الطريقة العليّة القادرية الكسنزانية

الطريقة العليّة القادرية الكسنزانية هي طريقة صوفية شائعة في العراق وإيران ويقع المقر الرئيسي لهذه الطريقة في محافظة السليمانية في إقليم كردستان العراق. وهي من فروع الطريقة القادرية

وسلسلة الطريق الشريفة تبدأ بالشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان مؤسس هذه الطريقة وترتبط بالشيخ الولي عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ثم الى الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وتتصل من خلاله بسيد الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وشيخ الطريقة الحالي هو السيد الشيخ شمس الدين محمد نهر الكسنزان الحسيني

الشيخ السيد عبد الكريم الشاه الكسنزاني مؤسس الطريقة :

الكسنزان هو مصطلح صوفي اتخذه مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية شعاراً لهم حتى باتت طريقتهم تعرف اختصاراً بالطريقة الكسنزانية.

وأصل هذه اللفظة من الناحية اللغوية يرجع الى اللغة الكردية وهي تعني باللغة العربية (لا أحد يدري) أو (لا أحد يعلم).

وأما من الناحية التاريخية فإن هذه اللفظة أول ما أطلقت على جدّهم عبد الكريم الأول الملقب ب (شاه الكسنزان) وذلك لأنه قبل تسلمه لمشيخة الطريقة

اختفى في جبال (قرداغ) شمال العراق لمدة أربع سنوات دون أن يعلم أحد بمكانه، فكان إذا سئل عنه قيل: (كسنزان). وبعد انقضاء السنين الأربع

أخبرهم شيخ الطريقة القادرية آنذاك وهو خاله، بمكانه في الجبل، فذهبوا إليه فوجدوه منقطع لعبادة ربه في كهف في ذلك الجبل.

استلم الشيخ عبد الكريم مشيخة الطريقة يداً بيد من خاله، واستمر لقب الكسنزان مع اسم الشيخ ومن ثم طريقتهم، ثم أطلق على أبنائه وأحفاده، كما أنّ

هذا اللقب جرى على ألسنة الخلق علماً للطريقة العلية القادرية الكسنزانية التي تبنّى مشيختها الشيخ وأبناؤه وأحفاده من بعده.

وقد بيّن مشايخ الطريقة أن لهذا اللقب دلالات روحية خاصة عند أهله فهو يعني (سر الأسرار) أو السر الذي لا يمكن لأي وليّ أن يكشفه مهما علت مرتبته فهو خاص بالعائلة الكسنزانية يتوارثونه يداً بيد إلى قيام الساعة. وأما اسم العشيرة التي تنتمي إليها عائلة الشيخ عبد الكريم الأول فهي عشيرة البرزنجية، والأب الأعلى لهذه العشيرة الشيخ عيسى البرزنجي هو أول من سكن في برزنجة من شمال العراق، فالسادة البرزنجية اليوم هم أكبر العشائر في شمال العراق .

نسب السيد الشيخ عبد الكريم الأول :

السيد عبد الكريم شاه الكسنزان بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد إسماعيل الولياني بن السيد مُحمَّد النوديهي بن السيد بابا علي الوندرينه بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد الثاني بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الأحذب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني (الملقب بشهاب الدين) بن السيد مُحمَّد المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد إسماعيل المحدّث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام مُحمَّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين مُحمَّد ﷺ.

المولد والنشأة :

ولد السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزاني قدس الله سره عام ١٢٤٠ هـ في شمال العراق .

وكان شاباً متوقداً بالذهن مقبلاً على الله بكليته متفرغاً لعبادته سبحانه .

أخذ البيعة من خاله الشيخ عبد القادر قازان وهو من شيوخ الطريقة الكيلانية فلزم الخلوة مبتعداً عن الناس متعبداً في احد كهوف الجبال في قرداغ ، لما يقرب من الألف وستمائة يوماً يمارس خلالها المجاهدات والعبادة لتسمو روحه وتصفو . وقد تبني الشيخ بعدها مشيخة الطريقة ثم ، أبناؤه وأحفاده من بعده . فكان الكسنزان لقب عائلة واسم طريقة .

البيعة والعهد في الطريقة الكسنزانية :

ينبغي على من يريد سلوك نهج التصوف في الطريقة الكسنزانية أن يأخذ ما يعرف بالبيعة أو العهد. ويجب إعطاء البيعة يداً بيد ولذلك يُطلب من مرید السلوك وضع يده (على هيئة المصافحة) في يد أحد الخلفاء، الذين هم دراويش مخولين من أستاذ الطريقة بإعطاء البيعة نيابة عنه. في حالة إعطاء خليفة من الرجال البيعة لامرأة فتقوم بإمسك مسبحة الخليفة بدلا من يده. ثم يقوم المرید بترديد العهد الخاص بالمبايعة جملةً فجملةً بعد الخليفة، معلناً توبته إلى الله وإتباعه لمشايخ الطريقة. ووجوب أن تكون المبايعة يداً بيد هو تطبيق للآية الكريمة التي تصف مبايعة المؤمنين للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَأَيُّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^١

التي نزلت في بيعة المسلمين للرسول الأعظم ﷺ والتي عرفت ببيعة الرضوان . ان هذه البيعة اليدوية وان كانت تبدو طقساً بسيطاً في ظاهرها إلا انها في حقيقتها تحمل الكثير من الأسرار الروحية ولذلك فإنها توصف (باللمسة الروحية) فعن طريق هذه اللمسة ترتبط روح المرید بروح أستاذ الطريقة الذي هو مرتبط روحياً بالشيخ الذي يسبقه وهكذا عبر حلقة الاتصال الروحي بين

^١ (الفتح/١٠).

مشايخ سلسلة الطريقة حتى تصل الى الرسول الأعظم ﷺ فيكون العهد مبايعة للرسول ﷺ^١

ان اخذ المرید لعهد الطريقة يضعه على الطريق الى الله عز وجل كما سيتبين من نص عهد السلوك الذي يردده المرید في اول الواجبات التي يلقيها على عاتقه هذا العهد المقدس هو الرجوع عن الذنب والمعاصي والعمل بنية صادقة على تجنبها والالتزام بسنة الرسول ﷺ فإن الطاعة وحسن الاتباع للشيخ هما اساس مُريد الطريقة .

بالإضافة إلى فروض الشريعة المعروفة من صلاة وصوم وغيرها، يضع النهج الصوفي على عاتق سالكه فروضاً إضافية هي عبارة عن أوراد، أي أذكار، خاصة ذات أسرار روحية عظيمة. وكُشِفَتْ هذه الأذكار لمشايخ الطريقة الكَسَنزائِيَّة نتيجة مجاهداتهم وعباداتهم وخلواتهم وتفانيهم في خدمة الرحمن. ولهذا الأوراد فوائد جمّة في تطهير قلب المرید من هوى النفس والتكبر وكل ما نهى عنه الحق عز وجل ومساعدته في السير على درب الرقي الروحي الذي أخذ العهد على سلوكه. إن هذه الأوراد هي زاد المرید في رحلته على درب السلوك الصوفي الكسنزاني: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٢

ومن هذه الأذكار ما هي يومية وموقوتة وأخرى دائمية تمكن قراءتها في أي وقت، ويُقرأ كل منها بعدد محدد. وللطريقة الكَسَنزائِيَّة أيضا ذكر خاص يؤديه المریدون بشكل جماعي وهم واقفون على شكل حلقة وتتصاحبه إيقاعات خاصة بالدفوف والطبلة.

طقوس الطريقة الكسنزانية :

تقام حلقات الذكر والتوحيد يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع بعد صلاة

^١ تصوف اهل بغداد ص ١١٢

^٢ (البقرة/١٩٧).

العشاء فيقف المريدون على شكل حلقة ، ثم يقف شيخ الحلقة في وسطها ويستعد الجميع بتركيز تام وبرابطة روحية مع الشيخ .
ثم يبدأ الجميع بإشارة من الشيخ بتريد الأوراد التالية ، ويتم الانتقال من ورد لآخر بإشارة من الشيخ .

اوراد الحلقة :

١. الله استغفر الله دائم استغفر الله .
٢. لك الحمد يا قدوس لا إله إلا الله .
٣. يا الله دئم الله .
٤. يا دائم الله دائم .
٥. يا حي انت الحي ليس الباقي إلا الله .
٦. يا باقي انت الباقي ليس الباقي إلا الله .
٧. يا هادي انت الهادي ليس الهادي إلا الله .

وتكون تلاوة هذه الأوراد غير محددة بعدد ، وانما على شيخ الحلقة تقدير ذلك^١

انتشار الطريقة :

انتشرت الطريقة في جميع انحاء العراق فلا تكاد تجد مدينة او قرية إلا وللطريقة فيها تكية يقصدها المريدون والأتباع ، بل جاوز ذلك الى البلدان الأخرى كإيران وتركيا والجمهوريات القوقازية والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا^٢

ولشيوخ الطريقة الكسنزانية المباركة جهود حثيثة في تطوير الجانب العلمي ، ضمنَ جهودهم لتطوير الواقع الخدمي والتربوي في العراق ، حيث أنشأ شيوخ الطريقة كلية علمية انسانية (كلية الشيخ مُجَّد الكسنزان الجامعة) والتي تضم الى

^١ انظر تصوف اهل بغداد ص ١١٣

^٢ موسوعة الكسنزان / المقدمة .

جانب قسم علوم الشريعة والتصوف وحوار الأديان أقسام أخرى في علوم
الاقتصاد والسياسة والقانون واللغة وعلوم الحاسبات والرياضيات التطبيقية .

١٨ - الطريقة البكتاشية

طريقة صوفية يكتنف الغموض جذورها ، ظهرت في أوائل القرن السادس عشر في تركيا وتوسعت في القرنين السابع والثامن عشر ، وأسست شبكة من التكايا المنتشرة في أنحاء الدولة العثمانية .

(وهي طريقة تقوم على التقشف والنظام الصارم ، وتقول بالمساواة بين الأديان ومن البكتاشية من هم على عقائد السنّة ، ومنهم علويون ينتصرون لآل البيت ، ويذمون أبا بكر وعمر وعثمان كما يفعل الشيعة ، ويعترفون بالأئمة الاثني عشر ، ويُزولون الإمام جعفر الصادق منزلة خاصة وشعارهم الله مُجدّ علي ، ويرى المستشرقون ان ذلك منهم كالتثليث عند النصارى ، كما يرون ان التزامهم بشرب النبيذ والتقوّت بالجبن والخبز ، عناصر نصرانية .

وذكرهم فيه الرقص وشيوخهم يُدعون البابا ويتلقون منهم المغفرة ، ومنهم من يبلغ زهده حد العزوف بالكلية عن الدنيا والركون في التكايا وعدم الزواج ، ويتميّز المصرّون على العزوبية بلبس الأقراط في آذانهم ولهم مشايخهم .
وقيل ان الآراء التحريرية في ثورة اتاتورك الخاصة بالمساواة بين الأديان ، وعدم حجاب المرأة هي من تأثير معتقدات البكتاشية .

وللبكتاشية مصطلحات خاصة بهم مثل (التولية ، والتبرية) ومعنى التولية مشايعتهم لآل البيت واما التبرية فهي التبرئة من غيرهم ، والولاية عندهم اربعة وهي : الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة .، والمقامات اربعون لكل باب عشرة مقامات ، وأئمتهم سبعة عشر يسمونهم بالمتحرّمين بعدد اصحاب علي بن ابي طالب الذين خرجوا معه ، وفي كل ذكر يوضع عدد من الفراء في اماكن خاصة بطريقة خاصة ترمز لولي من الأولياء ، وتسمى بوست .

ومن أشهر ادعيتهم : الدعاء الذي يطلقون عليه دعاء علي يقولون فيه :
نادِ علياً مُظهر العجائب ، تجده عوناً لك في النوائب .

ويقولون فيه : يا علي يا علي ادركني يا علي ادركني يا ايليا يا ابا الحسين يا ابا تراب يا ذا الجلال والجمال والهيبة والكمال)¹

والبكتاشية طريقة كثرَ حولها الجدل فينسبها أكثر الباحثون الى المذهب الشيعي فيقولون انها طريقة شيعية الفكر سنية المنشأ والانتشار .

تنسب البكتاشية ومفردها بكتاش : ومعناه الأمير ، والبكتاشي نسبة إلى المنتسب للطريقة العلية البكتاشية وهو: دین ورع زاهد منفذ لأوامر الله سبحانه وتعالى ، متأدب بآداب المصطفى ﷺ ، ومتخلق بأخلاق الإمام علي عليه السلام حسب وصف شيوخ الطائفة.

وأكثر الباحثين ينظرون الى البكتاشية على انها طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ ولكنها تطورت في البلدان السنية كتركيا ومصر ، وكذلك في العراق و انتشرت هناك وفي أماكن أخرى من العالم ، مثل ألبانيا .

وتنسب الطريقة إلى خنكار الحاج مُجَّد بكتاش الخراساني النيسابوري الذي ولد سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ، ونسب نفسه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، سافر أولاً إلى النجف في العراق ثم حج البيت وسافر بعدها إلى تركيا في زمن السلطان العثماني أورخان ثاني سلاطين الدولة العثمانية (ت ٧٦١ م) ، وأسس الشيخ خنكار أول تكية للطريقة ، وانتشرت بعد ذلك بين الجيش الإنكشاري ، وقد تعاطف معها بعض السلاطين في حين رفضها البعض الآخر ، فقد ألغاه السلطان محمود الثاني بعد أن قضى على الجيش الإنكشاري عام ١٨٢٥ م ، وأعادها السلطان عبدالمجيد الأول المتوفى سنة ١٨٦١م ، وفي سنة ١٩٢٥م صدر مرسوم بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومنها البكتاشية ، ورغم ذلك انتشرت في العراق ومصر ، ولها طقوسها وعباداتها المقدسة ولا زالت موجودة في الأماكن التي ظهرت فيها .

¹ الموسوعة الصوفية ص ٩٦

فيما ينسب شيوخ البكتاشيين أنفسهم عقائدياً وقلبياً الى آل البيت رضوان الله تعالى عليهم ، يقول أحمد سري (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة في مصر: الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين^١

ويرى انهم بهذا لا يختلفون عن باقي طرق التصوف السنية ، فيقول :
وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثني عشرية^٢
أما عن جذور هذه الطريقة وسلسلتها فيقول :

والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يداً بيد، وكابر عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة^٣

الطريقة البكتاشية :

يقول الشيخ احمد سري بابا شيخ الطريقة البكتاشية بمصر في كتابه الطريقة الأحمدية والذي يتحدث فيه عن الطريقة البكتاشية ونشأتها وانتشارها في مصر ، يقول واصفاً الطريقة :

((الطريقة العلية البكتاشية ، هي طريقة آل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين ، وهي مؤسسة على اوامر الشريعة السمحاء ، والتزام السنة السنّية ، واجتناب البدع في جميع الحركات والسكنات .

والقصد من الانتساب الى الطريقة هو الوصول الى الله تعالى بالمدائمة على ذكر

^١ الرسالة الأحمدية ص ٦٧

^٢ الرسالة الأحمدية ص ٦٨

^٣ الرسالة الأحمدية ص ٦٩

اسمه الجليل .

وللطريقة العلية آداب وأركان خاصة بها في كيفية تهذيب النفس وتعليمها واجباتها الدينية والدينية ببرامج خاصة يسلكها الطالب بإرشاد مرشد حتى يتخلى تماماً عن الرذائل ، ويتحلى بالفضائل ، ويأمن شر قلبه ، وقد قال رسول الله ﷺ (اتق عدوك الذي بين جنبيك) وكقوله ﷺ (ألا إن في الجسد مضغة فإذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)
والصوفية تتلخص بالإقرار باللسان والتصديق بالجنان بوجود الله تعالى ووحدانيته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر خيره وشره من الله تعالى والبعث بعد الموت .

والفرق بين العوام والصوفيين هو إيمان العوام بهذه الأركان الستة تقليدي وأما الصوفيين فيإيمانهم تحقيقي ، وعلى ذلك فعلم التصوف جامع لعلمي الشريعة والحقيقة .

ويشترط على المتصوف ان يقوم بتنفيذ الأحكام الكونية والشرعية كالإقرار بالله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إذا استطاع اليه سبيلاً .

وقد نبع من الطريقة العلية البكتاشية أولياء عظام نفعنا الله ببركاتهم كانوا نعمة على البلاد والعباد منهم العالم الفاضل والقطب الواصل مولانا السيد ابو عبد الله المغاوري رضوان الله عليه باني صريح مجد الطريقة في هذه الديار الكريمة))¹

مؤسس الطريقة البكتاشية :

يتحدث الشيخ احمد عن مؤسس الطريقة فيقول :

تنتسب الطريقة العلية البكتاشية الى سلطان الأولياء سيدنا ومولانا مُحَمَّد خنكار الحاج بكتاش ولي قدس الله سره العالي والجلي .

¹ الطريقة الأحمدية ص ٥ - ٦

ولد مرشدنا الأعظم في سنة ٤٦٥ هـ في مدينة نيسابور التابعة لولاية خراسان ،
، ووالده الماجد السيد ابراهيم الثاني من السادات الكاظميين والعلماء العاملين
، ووالدته السيدة خاتم بنت الشيخ احمد افندي من علماء نيسابور وأشرفها .
اشتهر الشيخ من صباه بالخلق الحسن والأدب .
اتصل من صغره بالأستاذ الشيخ لقمان افندي خليفة الشيخ احمد يسوي احد
اولياء التركستان وحصل بزمين وجيز على الإجازة العلمية ولما بلغ الرشد ذاع
صيته وكثرت كراماته .

آثر العزلة للتعبد بصومعة اربعين عاماً ، بعدها اشار عليه احمد يسوي بالذهاب
الى بدخشان فسار اليها واشتغل بالجهاد والمغازاة في سبيل الله .
ولما عاد من الجهاد اشار عليه استاذة بالذهاب الى بلاد الروم .
فغادر خراسان وتوجه الى النجف الأشرف وزار قبر مولانا الإمام علي وأقام
مجاوراً أربعين يوماً ثم غادر الى مكة المكرمة ، وجاور الكعبة المكرمة ثلاث
سنوات ، ثم رحل الى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ ، وبعد ان
أقام أربعين يوماً رحل الى القدس الشريف وزار المسجد الأقصى ومرافد الأنبياء
العظام ، ومنها عرج على الخليل فدمشق الفيحاء وأقام في كل منها أربعين يوماً
ثم زار قبر داود عليه السلام ، في حلب وأصحاب الكهف في البستان ، ثم توجه
الى حيث أراد له استاذة فحط ركابه في ناحية (صوليحة قره أويوك) والتي
تبدل اسمها بعد ذلك الى ناحية (الحاج بكتاش) نسبة الى جنابه الشريف وهي
تابعة لمدينة (فير شهري) على مسافة ست ساعات منها .

واتخذها مقاماً له وباشر منها في الوعظ والارشاد ونشر العلوم الصوفية .
ووصل اسمه لمسامع السلطان اورخان الذي ذهب اليه للتبرك به ، ودعا
للحضور الى الاحتفال الذي أقيم بمناسبة تأسيس جماعة الانكشارية ويقال انه
هو الذي أسماهم بهذا الاسم ، وبارك الجندي الذي أحضر بين يديه ووضع كتمه

على رأسه وقد بقيت عادة وضع قطعة من القماش على شكل كُمَّ خلف لباس رأسهم الى اواخر أيامهم .

وتوفي الشيخ في عام ٧٣٨ هـ عن ثلاث وتسعين عاماً في عهد السلطان اورخان ودفن في الناحية المسماة باسمه الشريف^١

نسب مؤسس الطريقة البكتاشية :

يقول الشيخ احمد ان نسب السيد مُجَّد مؤسس الطريقة البكتاشية يرجع الى الدوحة العلوية الهاشمية ، حيث يورد تسلسل النسب للشيخ :

(السيد مُجَّد بكتاش ولي بن السيد ابراهيم الثاني بن موسى ابن اسحاق بم مُجَّد بن ابراهيم بن حسن بن ابراهيم بن سيدنا موسى الكاظم ابن سيدنا الإمام جعفر ابن الباقر ابن زين العابدين بن الحسين بن علي)^٢

علاقته بالدولة العثمانية :

تتفق الروايات التاريخية أنّ حاجي بكتاش ولي كانت له علاقة مباشرة بالدولة العثمانية، وتحديدأ بجيش الانكشارية، القوة الضاربة في الجيش العثماني طيلة قرون. فتذكر بعض الروايات أنّ أورخان غازي -ابن عثمان الأول- عندما علم بعلم حاجي بكتاش ولي وبركته ذهب إليه مع بعض جنوده ليباركهم.

قابلهم الشيخ، ودعا لهم وأعطاهم رايةً مرسوماً عليها سيف ذو الفقار (سيف علي بن أبي طالب) ، ومن يومها ارتبطت الانكشارية بالشيخ بكتاش ولي، ثمّ لاحقاً بطريقته الصوفية: الطريقة البكتاشية.

حتى اصبحت الطريقة البكتاشية هي الطريقة التي يتلقّى فيها الانكشارية تعليمهم الديني. قبل أن تتطوّر الأمور مع الطريقة البكتاشية لتصبح مؤثرة في

^١ الطريقة الأحمدية ص ٧ - ٩

^٢ الطريقة الأحمدية ص ١٠

الجيش الانكشاري أرسل حاج بكتاش ولي ٣٦٠ من تلاميذه بوظيفة الإرشاد إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانية.

توفي حاج بكتاش ولي عام ١٣٣٧، بعدما كانت الدولة العثمانية قد أرست قواعدها في الأناضول .

ومع الوقت أصبح في كلّ معسكر أو ثكنة عسكرية شيخٌ من البكتاشية يدرّس الجنود ويؤدّبهم دينياً.

ظلت هذه العلاقة الوطيدة بين الطريقة البكتاشية والجيش الانكشاري حتى كانت نهاية الجيش الانكشاري عام ١٨٢٥، عندما أنهى وجودهم السلطان محمود الثاني بعدما تحول الجيش الانكشاري إلى قوّة معيقة ضدّ تطور الدولة العثمانية، وتحكّم في مقاليد السلطة وتولّي أو تخلع السلطان الذي يناسبها.

وبإنهاء السلطان للجيش الانكشاري، انتهى وجود الطريقة البكتاشية في تركيا، ولكنّ ظلّ وجودها قوياً في البلقان، ولا زال رئيس أو شيخ الطريقة حتى الآن مقرّه تيران في ألبانيا، في التكيّة الرئيسية للطريقة البكتاشية .

بشكلٍ عام ، يقال إنّ الطريقة البكتاشية لها أصول شيعية، بالتحديد اثني عشرية، ولكن أيضاً المعروف أنّ الشيخ بكتاش ولي طوّر طريقته بشكلٍ خاص لتصبح طريقةً صوفيةً سنيّة، وإن كان فيها بعض التأثير بالتشيع ، وعموماً، فقد كان للطرق الصوفية في الأناضول تأثير كبير ، ولا ننس أنّ الدولة الصفوية الشيعية كان أصلها طريقةً صوفيةً سنيّة، تغيّرت بمرور الوقت، وأصبحت طريقةً شيعيةً مسلّحة، اجتاحت إيران وبعض المناطق في العراق لتؤسّس السلالة الصفوية الشيعية، التي أصبحت لاحقاً المنافس الرسمي للدولة العثمانية في الشرق .

(كانت الفرصة الذهبية لانتشار الطريقة من خلال الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الانكشاري -أي الجيش الجديد- وهو الذي كان عماد الحروب

التركية بعد ذلك، ثم كان هو الجيش المتسلط على مرافق الحياة كافة في تركيا.. وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها، وبعض هذه القبور غطيت بالذهب الخالص. تنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية.

مر على الطريقة البكتاشية أيام مد وجزر في تركيا فبينما ناصرها بعض السلاطين، عارضها آخرون مفضلين طريقة أخرى غيرها فقد أمر السلطان محمود الثاني بإلغاء الانكشارية بعد أن عاثت في الأرض فساداً، وأغلق كذلك الزوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد المتوفى سنة ١٢٥٥هـ عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى.

وفي سنة ١٩٢٥م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية، وكان آخر مشايخها هو صالح نيازي الذي سافر إلى ألبانية وانتخبه الدراويش البكتاشيون ليكون (دده بابا) وهي أعلى منزلة في الطريقة أي شيخ مشايخ الطريقة .

وبعد اغتيال صالح نيازي سنة ١٩٤٢م تولى بعده ابنه عباس دده بابا الذي قتل سنة ١٩٤٩م بعد دخول البلاشفة إلى ألبانية .

ومنذ ذلك الوقت انتقل المركز الرئيسي للطريقة ليتحول إلى مصر وتكون القاهرة هي المقر الحالي لهذه الطريقة..)^١

التقسيمات والدرجات لأتباع الطريقة البكتاشية :

وقد قسم أرباب هذه الطريقة المنتسبين إلى طريقهم على النحو التالي حسب درجاتهم:

١- العاشق: وهو الذي يجب الطريق ويعتق مبادئها وتسيطر عليه الروح البكتاشية، وله رغبة في الانضمام إلى الطريقة، ويكثر من الحضور إلى التكية

^١ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٠٩-٤١٢

ويسمع ما يدور بها. ويرشحه الشيخ ليكون في المنزلة التالية وهي درجة الطالب.

٢- الطالب: وهو الذي يعلن رغبته في الانضمام ويرشحه الشيخ لذلك ليتقبل الإقرار، ويعطي العهد. وتقام له حفلة بذلك.

٣- المحب: وهو الطالب الذي انتسب إلى هذه الطريقة بعد حفلة الإقرار والبيعة.

٤- الدرويش: الذي يتبحر في آداب الطريقة وعلومها ويلم بأركانها ومبادئها. ويهب نفسه للخدمة العامة فيها.

٥- البابا: وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها الدرويش إلا بعد مدة طويلة حيث يكون قد عرف الرموز الصوفية وأحاط بها..

٦- الددة: وهو الخليفة، ولا يمنح هذه المنزلة إلا شيخ المشايخ ويكون هذا رئيساً لفرع من فروع الطريقة في مصر.

٧- الددة بابا: شيخ المشايخ وينتخب من بين الخلفاء وهو المدير العام لشئون الطريقة في العالم وهو الذي يعين البابوات وله حق عزل المشايخ..^١

تصوّف متشيع أم تشيع سني :

(الحاج بكتاش ولي) شخصية صوفية من القرن الثالث عشر الميلادي، هاجرت من خراسان (شرق إيران) إلى الأناضول ، انتشرت دعوته بين قبائل التركمان في المرحلة السلجوقية ، وينسب له البكتاشيون قدر كبير من المعجزات في الكتاب الذي يروي سيرة أوليائهم "ولاية نامة".

إنّ التشيع للإمام علي عليه السلام والأئمة الاثني عشر في البكتاشية لا يقترن باعتماد الفقه الجعفري إلا ما قلّ منه ، والتزام معتنقي البكتاشية لقرون بفقته

^١ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب ص ٤١٥

الدولة العثمانية السنّي الحنفي جعل الرأي منقسماً بين احتساب "البكتاشية" على أهل السنّة ، أو احتسابهم كجزء من "العالم الشيعي المتعدد" ويُخفون تشيعهم تُقِيّة .

وقد يكون اختلاط تعاليم البكتاشية ، التصوفية السنية في الأساس ، بالمعتقدات الشيعية "المغالية" لذوي العمامات الحمر من قبائل القزلباش التركمانية ، هو الذي جعل البكتاشية في تركيا تأخذ هذا المسار "المتشيع" في نهاية الأمر .

لقرون طويلة أصرّ البكتاشيون في السلطنة العثمانية على انتمائهم "السنّي" ، خاصة مع المؤسس التنظيمي للفرقة ، بلم سلطان ¹ ، مطلع القرن السادس عشر . ومن الناس من اعتبرت هذا "الاندماج بالقلب السنّي" تقيّة وتورية ، ومنهم من اعتبره مزوجة بين "حب شيعي" لآل البيت ، وغربة عملية عن التراث الفقهي للتشيع ، كما أنّ حب آل البيت في البكتاشية ، ودمجهم بين النوروز وميلاد الإمام علي ، واحياؤهم بشعيّة خاصة وبطعام خاص بهم لذكرى عاشوراء ، إنما يتكامل مع تبجيلهم لأعلام الصوفية ، مثل الحلاج الذي تبدأ طقوس الانحراط في البكتاشية بـ"تعلق المبتدئ في دار المنصور ، وهي مشنقة الحلاج" ، ومثل جلال الدين الرومي ، في حين تتأرجح التقديرات الدراسية حول أثر ابن عربي عند البكتاشية ، وحول مدى اقتراحهم من فكره .

وفي البكتاشية تأثير مهم من فرقة "الحروفية" ، يتضح خصوصاً بكيفية رسم صور الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام بتركيبية مشكلة من حروف أسمائهم .

عموماً نواجه مع البكتاشية حالة دينية تاريخية استثنائية وغامضة ، ليس لها أي

¹ بلم سلطان (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) هو الشيخ الثاني في الطريقة البكتاشية ، بعد الحاج بكتاش وليّ .

يعتبر مجدد الطريقة ، وإليه نسب كثير من الأفكار الشيعية التي ظهرت في البكتاشية .

حدود واضحة عقدياً، مما أدى إلى تضارب التأويلات التاريخية حول منابعها وروافدها. يرى البعض أن البكتاشية جماعة صوفية ذات أصول شيعية، ويرى آخرون أنها جماعة صوفية ذات أصول سنّية، بينما اعتبرها فريق ثالث جماعةً صوفيةً متأثرةً بالمسيحية . وفي ضوء هذا الاختلاف حول الأصول والجذور، من المهم إدراك أن التاريخ المعاصر للبكتاشيين، كجماعة صوفية منتشرة في تركيا وألبانيا والدول العربية، يخضع لحركية المدّ والجذر، وفقاً للتطورات والتراجعات السياسية والحضارية.

تتميز البكتاشية بأنها جماعة ذات حدود مائعة؛ إذ تحتوي على مظاهر التسنن ومظاهر التشييع ومظاهر التصوف، وفي الوقت نفسه تتضمن أنماطاً دينية تتناقض مع التسنن والتشييع والتصوف. ولعلّ ثنائية الدمج والتنافر شكلت مصدراً لبقائها وانتشارها وتأثيرها، بعدما أضحت حالة دينية قادرة على التمثّل وفق القناعات الشكلية لكل فرد ، من دون أن تفرض على أتباعها التقيّد بطقوس دينية ملزمة ومحددة. فقد تجد تماثلات للبكتاشية عند أفراد وجماعات لا يصنّفون أنفسهم على أنهم بكتاشيون. وهذا لا ينفي بناء قيادة دينية عند البكتاشية، تنهض على هرمية لا تختلف كثيراً عن هرميات المؤسسات الدينية الأخرى.

ان التماهي البكتاشي مع الإمامية الاثني عشرية ، وقدرتها على الاندماج والتعايش ، وكما يظهر جلياً في ألبانيا حيث تحظى البكتاشية هناك بحضور لافت في التاريخ المعاصر، سمح لها بالحفاظ على إرثها العابر للأديان؛ فضمن التقليد السنوي الألباني، يجتمع المؤمنون البكتاشيون والمسلمون السنّة والمسيحيون في جبل توموري (Tomorri) للاحتفال والصلاة من أجل الازدهار. إنّه الجبل المقدّس الذي كان يُطلق عليه في الأزمان السحيقة اسم

«عرش الآلهة»، وكان الكتاب الألبان والأجانب يعتبرونه أوليمبوس ألبانيا أو دودونا (Dodona) أي حرم الآلهة .

هذا التلاقح الإسلامي - المسيحي ، والحركة بين المذهبين السني والشيوعي ، شكّل جزءاً أساسياً من قاعدة السياقات التوافقية بين الديانتين الكبيرتين .

ويسلط الأستاذ طارق حرب في كتابه تصوف أهل بغداد على مقدار اقتراب الفكر البكتاشي من الفهم الشيعي وبشكل متطرف حيث يرى :

(على الرغم من ان البكداشية لا تعد نظاماً دينياً ثابتاً إلا ان هناك عدة عوامل مشتركة تجمع بين الممارسات التي يتبناها البكداشيون والمعتقدات التي يؤمنون بها ، وهذا ما ورد في المعتقدات الرئيسية التي برزت في الفن التصويري لهذه الطريقة وهي :

أولاً : ان علياً هو صاحب الرسالة ومُجّد هو الناطق بها .

ثانياً : إن النبي مُجّد ﷺ يمثل الجانب الظاهر من الخالق بينما يمثل علي الجانب الباطن ، وهكذا فعليٌّ ومُجّد يمثلان تجلياً للحقيقة الإلهية باعتبار ان الفكر الصوفي يقوم على الظاهر والباطن .

ثالثاً : أن الله وعلياً ومُجّد يشكلون معاً ثلوثاً مقدساً يعكس حقيقة واحدة ، ولعبور بوابة (الحقيقة) على الإنسان ان يعبر أولاً بوابة (الشريعة) ثم بوابة (الطريقة) تليها بوابة (المعرفة) ، وترتبط هذه البوابات الأربع بالعناصر المكونة الأربعة : الماء والهواء والنار والتراب ، وترتبط ايضاً بمستويات الوجود الأربعة وهي المعادن والنباتات والحيوانات والإنسان ، وللوصول الى الصفاء الروحي الذي يؤدي الى عبور البوابات الأربع لابد للمرء من مرشد يأخذ بيده .

يعتقد البكداشيون أن الحقيقة والكمال موجودان داخل كل البشر وأن (الله مُجّد علي)

يتجلى في جميع مخلوقاته الحيّة والجامدة ، لاسيما في الوجه البشري والجسد ، لذلك فإن كل انسان مسجد وكل وجه انساني محراب ، وبناء عليه يأبى البكتاشيون تدنيس هذا المحراب (الوجه) بوضع الجبهة على الأرض اثناء السجود ، ويقدم البكتاشيون كذلك الحرف العربي لأنه أداة الوحي الأولى التي حملت كلمات الخالق . ويعتنون بالأرقام عناية خاصة ، وأحيانا يُجَلِّونها محل الحروف في لوحاتهم .

وتعد الطريقة البكتاشية منغلقة على أفرادها فلا يسمح للعامة بالمشاركة في طقوس الطريقة او مشاهدتها ، بل تقتصر على اعضاء الطريقة وأفرادها من الرجال والنساء فالطريقة لا تؤمن بالفصل بين النساء والرجال)¹

ضريح مؤسس الطريق :

يوجد ضريح بكتاش ولي في مدينة نفشهير وسط تركيا، في منطقة تدعى "قصبه حاجي بكتاش". وهو مزارٌ ومتحف يقصده السياح والزوّار بدايةً من عام ١٩٦٤.

وفي عام ٢٠٢١ صُنِّفَ المزار من قبل منظمة اليونسكو على أنّه أحد الآثار العالمية .

¹ انظر تصوف أهل بغداد ص ٨٥ - ٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾



الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٥	التصوف والشريعة	١
٢٥	الزهد في فكر وسلوك رجال التصوف	٢
٢٨	الزهد في القران الكريم	٣
٣٠	الزهد في السنّة النبوية	٤
٣٩	الزهد والتصوف	٥
٤١	التصوف والشعر	٦
٤٧	رحلة مع شعر التصوف	٧
٥٤	بدايات شعر الزهد	٨
٥٤	في صدر الإسلام	٩
٦٣	تأملات في شعر الزهد	١٠
٦٦	الشعر الصوفي المعاصر	١١
٦٩	الحب الإلهي	١٢
٧٢	بدايات الحب الإلهي	١٣
٧٩	رحلة مع نماذج من شعر الحب الإلهي	١٤
٨٠	رابعة العدوية .. شهيدة العشق الإلهي	١٥

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٨٤	ابن الفارض ... سلطان العاشقين	١٦
٨٩	الحسين بن منصور الحلاج	١٧
٩٣	جلال الدين الرومي	١٨
٩٩	ابن عربي	١٩
١٠٧	سمنون المحب	٢٠
١١٤	السهروردي المقتول	٢١
١٢١	ابو بكر الشبلي	٢٢
١٢٩	عفيف الدين التلمساني	٢٣
١٤٣	الشيخ عبد القادر الكيلاني	٢٤
١٤٦	السيد احمد البدوي	٢٥
١٤٨	الشيخ ابراهيم الدسوقس	٢٦
١٥٠	السيد احمد الرفاعي	٢٧
١٥٢	عبد الغني النابلسي	٢٨
١٥٥	ابن الخيمي	٢٩
١٥٨	الشيخ علي عقل	٣٠

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
١٦١	الششتري	٣١
١٦٤	مُحَمَّد بن ادريس الشافعي	٣٢
١٦٧	ابن قضيبة البان	٣٣
١٧٠	الموسي ابو العباس	٣٤
١٧٣	عبد الهادي السوداني	٣٥
١٧٥	ابو الوفا الشرقاوي	٣٦
١٧٩	مُحَمَّد اقبال	٣٧
١٨٢	البوصيري	٣٨
١٨٧	الشيخ عبد الرحيم البرعي	٣٩
١٩٠	احمد الحلواني	٤٠
١٩٢	ابن عطاء السكندري	٤١
١٩٧	علي بن مُحَمَّد وفا	٤٢
٢٠٤	جمال الدين الصرصري	٤٣
٢١٣	وقفه مع شعر التصوف	٤٤
٢١٩	الطرق الصوفية	٤٥

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٢٣٤	الطريقة القادرية	٤٦
٢٥٦	الطريقة الرفاعية	٤٧
٢٨٤	الطريقة الأحمدية	٤٨
٣٠٠	الطريقة البرهانية	٤٩
٣١٧	الطريقة الشاذلية	٥٠
٣٣٤	الطريقة المولوية	٥١
٣٤٤	الطريقة الأكبرية	٥٢
٣٦٨	الطريقة الأدرسية	٥٣
٣٨١	الطريقة المسلمية	٥٤
٣٨٥	الطريقة النقشبندية	٥٥
٤٠٣	الطريقة السهروردية	٥٦
٤١١	الطريقة التجانية	٥٧
٤٢٨	الطريقة الجشتية	٥٨
٤٣١	الطريقة الرحمانية	٥٩
٤٣٨	الطريقة الزينية	٦٠

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
٤٣٩	الطريقة السعدية	٤٧
٤٤١	الطريقة العلية القادرية الكسنزانية	٤٨
٤٥٢	الطريقة البكتاشية	٤٩